

سلسلة الصين الثقافية

تأليف تساي يان شين

المعمار الصيني

ين ما عائشة

دار النشر الصينية عبر القارات

تساي يان شين أنثى، ولدت في أبريل ١٩٨٠، بمسقط رأسها مدينة جياشينغ بمقاطعة تشجيانغ. في عام ٢٠٠٩ تخرجت من كلية المعمار والتخطيط العمراني بجامعة تونغجي بشنغهاي، وحصلت على درجة الدكتوراة، وتعمل بالتدريس حالياً في كلية المعمار بجامعة جياوتونج الجنوب الغربي بمدينة تشنغدو. اتجاه الدراسات الرئيسي: فن المعمار التقليدي بالصين، الحفاظ على المعمار القديم وإعادة استغلاله.

المحرر المسئول: تشنغ لَي

تصميم جرافيك: يانغ جينجفَي

المعمار الصيني

تأليف تساي يان شين

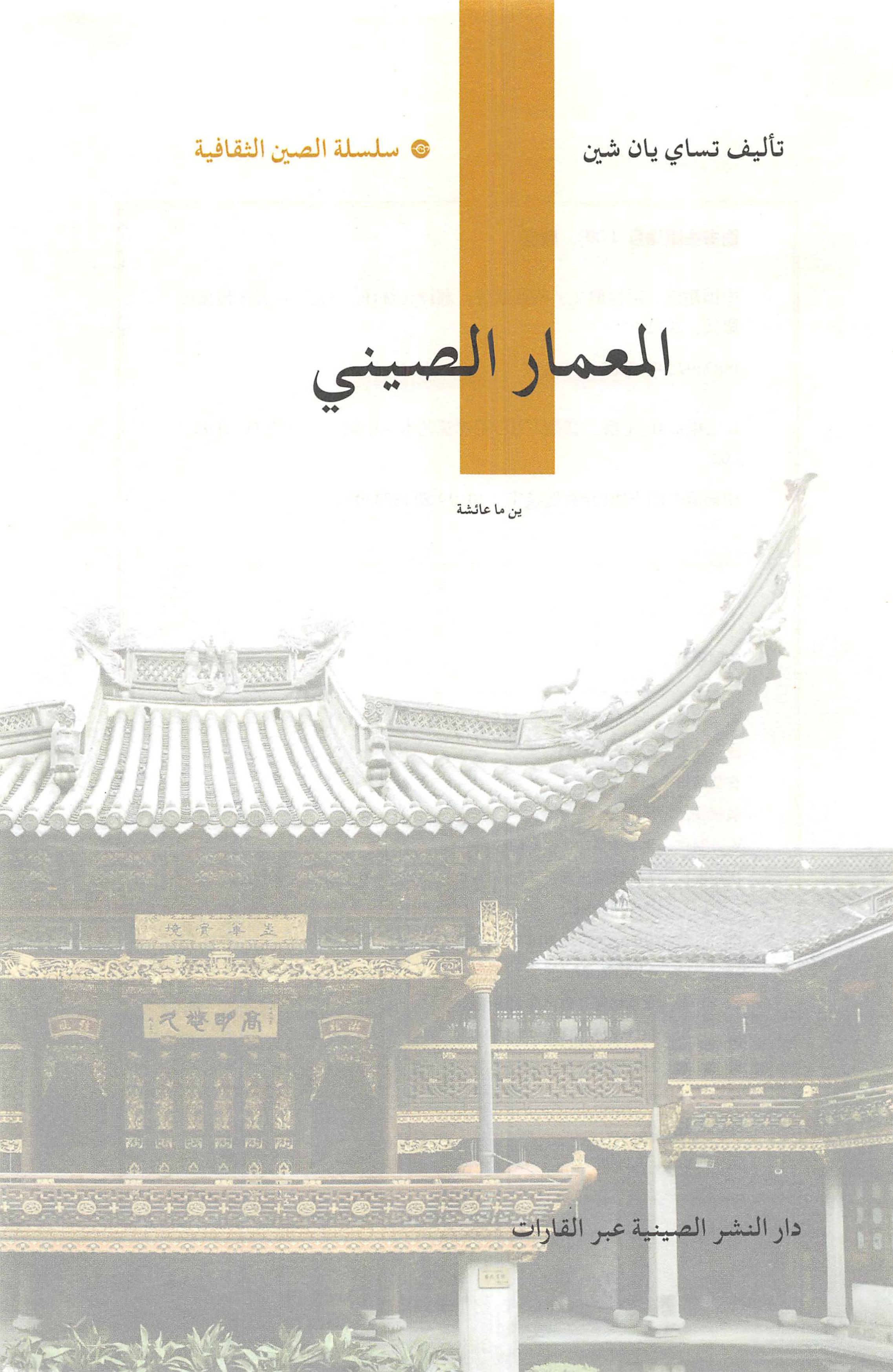
لا يقتصر دور المعمار الصيني القديم على كونه مرجعية التصميم المعماري الحديث في الصين، بل له تأثير عالمي، حيث أصبح ميراث ثقافي يجذب أنظار العالم. فالاستمتاع بالمعمار الصيني مثل فتح كتاب تاريخ ثقيل جداً. في الأساطير القديمة قبل التاريخ، نجد إنجازات تشين شه هوانغ (الأمبراطور الأول لأسرة تشين) وهان وو، حماس امبراطورية تانغ، لافتات القصور المحرمة لأسرتي مينغ وتشينغ، فضلاً عن حكمة العامل العادي وذكائه الذي كمن في التاريخ لآلاف السنين، كلها سجلها التاريخ في شكل المعمار.




ISBN 978-7-5085-1919-7

9 787508 519197 >

RMB 110.00



تأليف تساي يان شين

سلسلة الصين الثقافية

المعمار الصيني

ين ما عائشة

دار النشر الصينية عبر القارات

图书在版编目（CIP）数据

中国建筑：阿拉伯文 / 蔡燕歆著；翻译无忧译. —北京：五洲传播出版社，2011.1

ISBN 978-7-5085-1919-7

I. ①中… II. ①蔡… ②翻… III. ①建筑艺术—中国—阿拉伯 IV. ①TU-862

中国版本图书馆CIP数据核字（2010）第188330号

中国建筑

著　　者　蔡燕歆
译　　者　翻译无忧　马　莹
责任编辑　郑　磊
装帧设计　杨婧飞
设计制作　北京翰墨坊广告有限公司
出版发行　五洲传播出版社（北京市海淀区北三环中路31号生产力大楼B座7层 邮编：100088）
电　　话　010-82005927, 010-82007837（发行部）
网　　址　www.cicc.org.cn
承 印 者　北京博海升彩色印刷有限公司
版　　次　2011年1月第1版第1次印刷
开　　本　720×965毫米　1/16
印　　张　11.5
字　　数　100千字
定　　价　110.00元

الفهرس



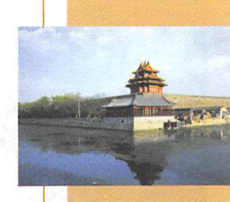
المقدمة ١

المدينة القديمة ٥

بناء العاصمة ٨

المدن المحلية ١٧

الدفاع العسكرى ٢٤



سلطة الإمبراطور وتقديره ٣١

بناء القصور ٣٢

بناء المعابد ٤٢

بنايات المقابر ٤٩



قصر الآلهة ٦٣

العمارة الكونفوشية ٦٥

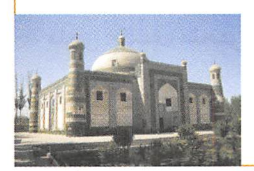
تأسيس معاهد العلوم التقليدية ٧٠

العمارة البوذية ٧٤

العمارة الطاوية ٨٩

العمارة الإسلامية ٩٥

الأبنية المسيحية ١٠٦







الخوض في مجال الحدائق اصبح متعة ١١١

الحدائق الملكية ١١٣

الحدائق الخاصة ١٢٢

معمار العامة ١٣١

الأفنية الرباعية في بكين ١٣٣

مساكن الكهوف في الشمال الغربي ١٣٥

مساكن هويتشو ١٣٧

مساكن المناطق الجبلية في باشو ١٣٩

تولو مقاطعة فوجيان ١٤١

خيام منغوليا ١٤٦

«آيوانغ» التبت ١٤٧

مساكن دياوفانغ لقومية التبت ١٤٩

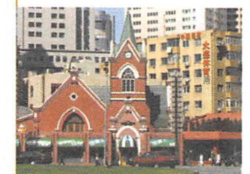
مباني البامبو لقومية داي في مقاطعة يوننان ١٥٠

التبادل بين الصين والغرب ١٥٣

أسلوب الغرب متدرج الشرقية ١٥٥

معمار الشكلية القومية الجديدة ١٦٥

نحو هندسة البناء الجديد ١٦٧



ملحق: كشف ملحض لتاريخ الصين ١٧٧

المقدمة

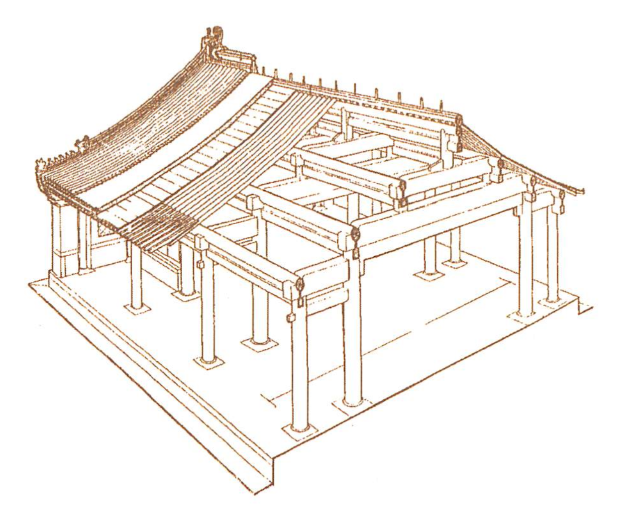
يمكن تتبع تاريخ تطور المعمار الصيني بالعودة إلى العصور القديمة أي عشرة آلاف عام قبل يومنا. فقد بدأ المعمار الصيني القديم في ذلك الوقت مسيرة تطور أساسه من الهياكل الخشبية، ممهد بالطوب والآجر والحجر. حيث لا يقتصر دور المعمار الصيني القديم على كونه مرجعية التصميم المعماري الحديث في الصين، بل له تأثير عالمي، ليصبح ميراث ثقافي يجذب أنظار العالم. فالاستمتاع بالمعمار الصيني مثل فتح كتاب تاريخ ثقيل جداً. في الأساطير القديمة قبل التاريخ، نجد إنجازات تشين شه هوانغ (الأمبراطور الأول لأسرة تشين) وهان وو، حماس امبراطورية تانغ، لافتات التحريم بالقصور الامبراطورية لأسرتي مينج وتشينج، فضلاً عن حكمة العامل العادي وذكائه الذي كمن في التاريخ لآلاف السنين، كلها سجلها التاريخ في شكل المعمار.

يمكن القول من حيث أنواع العمارة، إن المعمار الصيني يضم قصور الأباطرة، محراب المعبد، غرف المنازل، استراحات الملوك ومقابرهم ومعمار الحدائق وغيرها. من بينها استخدمت القصور، المعابد، المقابر وغيرها شكل معماري وأسلوب تخطيط عام متشابهين، أي التماثل والوحدة، التمييز بين الهام والثانوي، وخط محوري أوسط يجمع زوايا الأفنية المربعة، ليعكس السمات القومية من الاحتواء المغلق بإحكام، أو النمط الكونفوشيوسي الخالص. يختلف في ذلك معمار الحدائق، فتخطيطها حر ورشيق، سماتها تتغير بشكل لا نهائي، تسعى بقوة إلى المشاعر الطبيعية، وتحمل بشكل أكبر آثار فكر الطاوية.

أما من ناحية المظهر الخارجي المعماري، ينقسم كل بناء إلى ثلاثة أقسام هي العلوي والأوسط والأسفل. القسم العلوي هو السقف، والسفلي القاعدة والأساسات، أما الأوسط فهو الأعمدة والأبواب والنوافذ والجدران. تعد الأسقف هي الجزء الأكثر أهمية في المعمار الصيني القديم، فجميعها تتميز بانحناءات بديعة ومرتخية، يمكن أن تنقسم إلى أسقف الشرفات، أسقف شيه شان (بواجهة جملون مستعرض ناتئ)، الأسقف بالجملون المعلق، أسقف ينغشان (بجملون منحدر من جانبين فقط)، أسقف هرمية (مدببة مستديرة أو مضلعة) وغيرها، كل منها تعبر عن طبقات مختلفة.

الهياكل ذات الإطارات الخشبية في المعمار الصيني، تتكون من الأعمدة، العارضات والمدادات




رسم تخطيطي لهيكل خشبي من المعمار الصيني القديم

وغيرها من القطع الهامة، وتتصل القطع ببعضها بالتعشيق عن طريق ثقب ولسان، لتكوين إطار ثري بالمرونة. هذا الشكل المتصل بتعشيق الثقب واللسان تم اكتشافه في آثار عمارة المجتمع البدائي بـهيمودو بمدينة يوياو في مقاطعة تشجيانغ، مما يوضح أنه تشكّل ما يزيد عن ٧٠٠٠ عام قبل يومنا هذا. ما بين أعلى الأعمدة وأسفل هيكل السقف هناك قطع تتكون من قطع خشبية متداخلة رأسياً وأفقياً وطبقات فوق بعضها، يطلق عليها دوقونغ. وهي قطعة فريدة يمتاز بها المعمار الشرقي الذي تمثله الصين، حيث يمكنها حمل الجملون، كما أنها تتمتع بتأثير زخرفي قوي.

في فن المعمار الصيني القديم، تعد الزخارف المعمارية أحد الوسائل الهامة للتعبير. حيث كان العامل في الصين قديماً يستغل سمات المعمار بالإطارات الخشبية، مستخدماً السكين، المطرقة، الإزميل، المثقاب، القلم وغيرها من الأدوات لرسم الأشكال والتشغيل الفني على الخامات مباشرة، لذلك تتميز زخارف المعمار الصيني التقليدي معظمها بالقيمة العملية، مترابطة بشكل لصيق مع الهيكل، أو يمكن القول إنها تشغيل فني لقطع الهياكل، وليست إضافات وجودها كعدمه. ورغم تمتعها بجمال الزخارف، لكن الأهم هو جمال الهياكل التي تعكس مطابقة خصائص الخامات لمنطق علم الديناميكا. وفي الوقت نفسه، استخدم في الزخارف المعمارية التصوير التقليدي الصين، النحت، فن الخط، الألوان، التصميمات، الأشكال وغيرها من الفنون المختلفة، مما زاد بشكل كبير من قوة التعبير الفني للمعمار.

اتخذ الفكر الكونفوشيوسي الذي احتل مكانة الحكم في المجتمع الصيني القديم من "الاستقامة" إطاراً أساسياً، وهي استخدام النظام لوضع القواعد على الدرجات المختلفة، لتتغلغل بشكل طبيعي جداً إلى بناء العمارة وفنونها الزخرفية. التخطيط كله في المعمار لا يهدف إلى "السعي للمظهر" فحسب، بل التمييز بين البسيط والأنيق أيضاً. أنواع العمارة، المساحة، أشكال الزخارف، ألوانها، تشابكها، موضوعها وغيرها كلها تتبع الدور الاجتماعي للبناء، فهي الوسيلة الهامة لإظهار القيمة الاجتماعية للبناء.

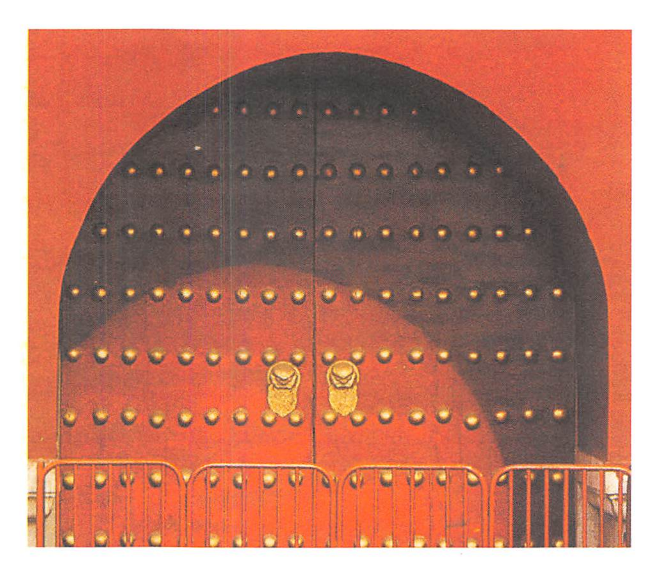
ينشأ فن المعمار ويتطور ويتشكل وينضج في ظروف اجتماعية وبيئة طبيعية معينة، وبالتالي يجب أن يحمل علامات هذا العصر وهذه المنطقة. فتطور العصر ينعكس بشكل أساسي في التغيير والابتكار



المستمرين بالأسلوب المعماري، مضمون الموضوع والأسلوب الفني؛ الاختلافات بين المناطق تأتي بدرجة كبيرة من الاختلاف في البيئة الطبيعية والطقس؛ فضلاً عن ذلك، فالصين دولة متعددة القوميات، حيث تفضل القوميات المختلفة في أسلوب فن المعمار أن تستخدم زخارفها التقليدية لتحمل سماتها، مما يظهر الأساليب الثرية للقوميات.

لم يبلغ "علم المعمار" المكانة التي يستحقها في تاريخ الثقافة الصينية القديمة. حيث توارثه عدد لا يحصى من العمال جيلاً بعد جيل، وفي ظل الإدارة المنعزلة لفن المعمار الصيني التقليدي، لم ينظر إليه كعلم متخصص ومستقل في عهود كثير من الأسر الحاكمة، ولم يتشكل "تاريخ المعمار" الشامل والنظامي. لحسن الحظ، اتخذت أعمال أدبية كثيرة موضوعها من المدن أو المعمار، فهذه الأعمال تعكس من جهة الموجات الكبرى في مدن تلك العصور والبناء المعماري، ومن جهة أخرى تصف ملاح عمارة المدن في ذلك الوقت. وعلى مر العصور تناثر الكثير مما يتعلق ببناء قصور الأباطرة بالعواصم، وتخطيط المباني الضخمة والسير الذاتية للموظفين الكبار أو كبار الصناع وغيرها في الأنواع المختلفة من كتب التاريخ بالسيرة الذاتية والمؤلفات الكلاسيكية. فضلاً عن ذلك، انتشرت بعض المؤلفات المتخصصة خارجة من بين أيدي المعماريين، ورغم ندرتها، لكنها أعطتنا لمحة عن بناء العمارة القديمة.

تتشابه أعمال التخطيط المعماري في الصين قديماً مع آلية التصميم الحديث، حيث يبدي المعماريون والمشرفون على التصميم المعماري اهتماماً كبيراً بالأبحاث في المباني المعاصرة أو من الجيل السابق، مستخدمين دائماً طريقة عمل النماذج ورسم الأشكال في إجراء التصميم. فابتكر عمال البناء الصينيون بعد ممارسة دامت فترة طويلة أشكالاً ثرية بالتجسيم (مثل "الرسم الأكسونومتري" الحديث)، لتوجيه تنفيذ الأعمال. بعد عهد أسرة هان (٢٠٢ قبل الميلاد- ٢٢٠ م) أصبح وضع "أشكال التصميم المعماري" و"وثائق الشرح" أمراً لا يغيب عن تصميم المباني الكبيرة. حتى تطور وضع رسومات البناء ليبلغ درجة ناضجة جداً منتصف



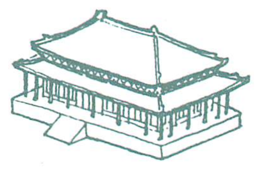
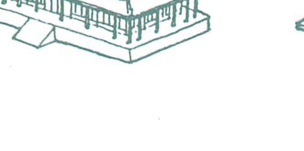
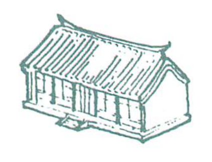
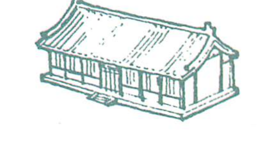
البوابة الحمراء ذات المقبض الذهبي بالقصر الامبراطوري- بكين



القرن العاشر الميلادي.

من "القصر الشتوي" لأسرة تشو (١٠٤٦ ق. م– ٢٥٦ ق. م) إلى "سوان فانغ (هيئة كانت تختص بالبناء)" و"يانغفانغ (حجرات العينات)" لأسرتي مينج وتشينج (١٦١٦– ١٩١١)، أي منذ حوالي ألفين أو ثلاثة آلاف عام، ظلت الصين تتمتع بأعمال تصميم متخصص وتنفيذ أعمال وخلط خامات البناء تتولاها هيئات إنشاء وموظفون مسئولون. فأعمال هذه الهيئات الرسمية جعلت كفاءة الأيدي العاملة ومنظمات إنتاج ونقل المواد تصل إلى مستوى عال، فتحقق وانتشر مضمون جوهري للمعمار التقليدي الصيني وهو «المعيارية» و«النمذجة».



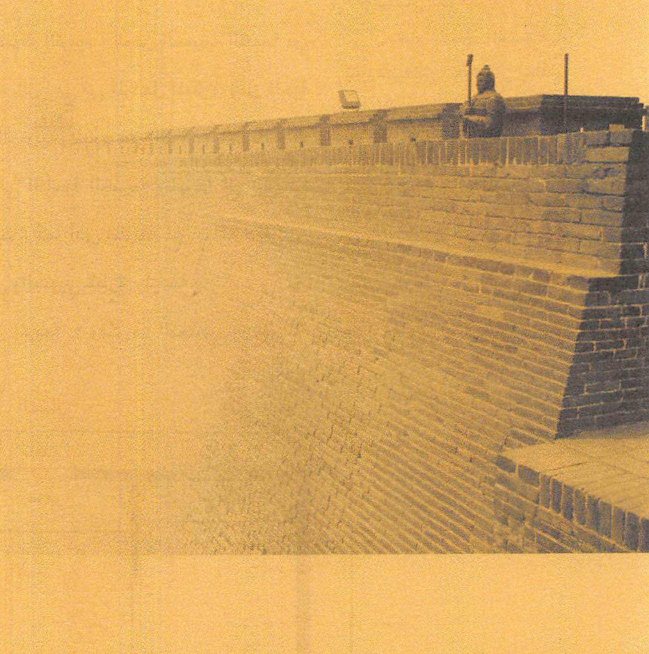





أشكال مختلفة للأسقف في الصين القديمة تمثل طبقات مختلفة من البناء

بعد دخول منتصف القرن التاسع العشرين، ومع الانحلال التدريجي للنظام الاقطاعي، وتدفق الثقافة الأوروبية إلى الشرق، وتطور العلوم والتكنولوجيا الحديثة بالمجتمع والتغيرات في تذوق أهل العصر الحديث للجمال والوضع النفسي الثقافي، طرأ تغيير كبير على المعمار الصيني في القرن العشرين، وظهرت الكثير من المباني العامة تجمع بين الطرازين الصيني والغربي؛ وبصفة خاصة في الثمانينات بعد تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح الصيني، حيث طرأ تغيير سريع في ملامح المدن، لتصبح أساليب المعمار أكثر تنوعاً وثراء. وفي الوقت الراهن، يصبح السعي وراء الخلط الحيوي بين أسلوب العصر وأسلوب القومية هو الموضوع الهام للمعمار الصيني الحديث.

يقوم هذا الكتاب في البداية بالتعريف بسمات العمارة التقليدية لبعض الأنواع الرئيسية في العصور القديمة بالصين وعملية تتطورها، وفي النهاية يقدم وصف موجز لعمليات التطوير المعقدة والعديدة للمعمار الصيني في العصرين الحديث والحالي، آملين أن نعرض على المهتمين الملامح والتفريعات الكاملة للمعمار الصيني.

المدينة القديمة



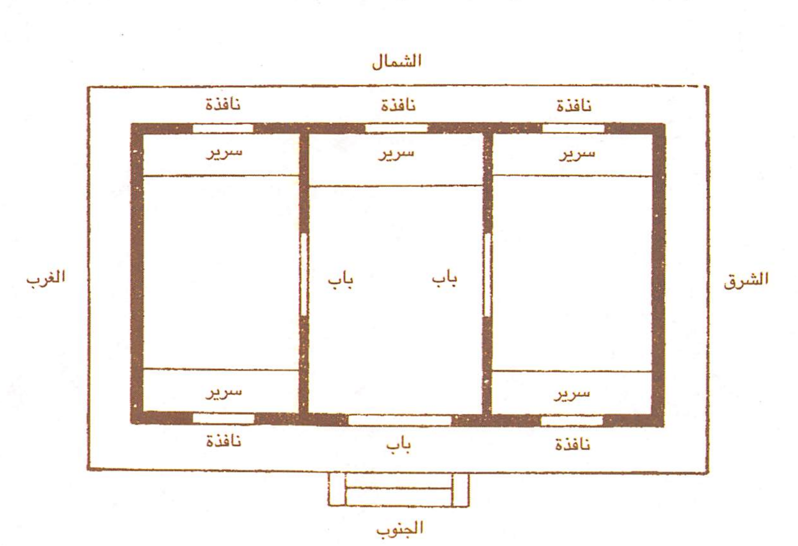
طبقاً للبيانات التاريخية المتاحة الآن وبراهين نتائج علم الآثار، فإن المدن الصينية الاول قد ظهرت في نهاية المجتمع البدائي(أي منذ حوالي ٣٠٠٠- ٢٠٠٠سنة)، حيث أن هذه الفترة تُزامن فترة إنشاء المدينة الأولى في الخارج. وفي ذلك الوقت كان حجم المدن صغير جداً، والمرافق الداخلية بدائية وغير كاملة، ولذا فإن المعنى الدقيق لها لا يتعدى « القلعة « ليس أكثر، فلا يمكن مقارنتها بالمدينة المعاصرة. وحتى عهد أسرة تشو، حيث كان تقدم وتطور المدن الصينية إلى حد ما سريع، إلى جانب أنها شكلت قواعد محددة في بناء المدن وفقاً لدرجات الفروق والتميز في النظام الإقطاعي، مثل تخطيطات المدن وجميع مستويات عروض الطرق وغيرها من القواعد المفصلة إلى حد ما ل« تشو لي . كاوكونغ تجي».

كما جاء المصدر الأول للإطار المكاني للشبكة التربيعية للمدن الصينية القديمة من استخدم « نظام المربعات التسع» كممثل للنظام الزراعي في المراحل المبكرة؛ ومن ناحية آخرى فإن مناخ الصين الدافئ على النواحي الجنوبيةً والبارد على النواحي الشمالية قد أدى بصورة مباشرة إلى أن واجهة المباني إلى الناحية الجنوبية وظهرها إلى الناحية الشمالية أي محجوبة عن الريح ومواجهة للشمس، كما أدي بطريقة غير مباشرة إلى أن نظام طرق المدينة قد استخدم الإتجاه الشمالي والجنوبي كطرق رئيسية.

كما أن قول « السماء الدائرية والأرض المربعة « وفكر « التخاطر بين السماء

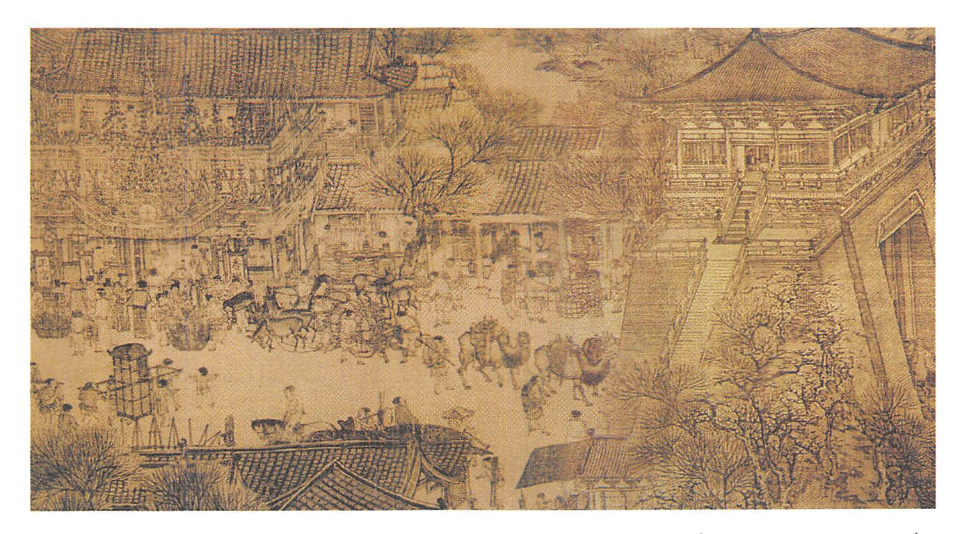
تسلسل المعلومات

إن نظام المربعات التسع هو نظام ملكية الدولة للأرض في مجتمع العبيد الصيني حيث كان هذا النظام في عصر أسرة تشو الغربية شائع ومتداول. وفي ذلك الوقت كانت الطرق والقنوات تتقاطع، مما أدى إلى تقسيم الأرض إلى قطع مربعة، حيث كانت على شكل «井»، ولذلك سميت «بالمربعات التسع»



نظرية "الواجهة للجنوب والخلفية للشمال" في التخطيط الإسكاني في الصين القديمة





جزأ من «لوحات ضفاف النهر في عهد أسرة تشينغ ومينغ» التي رسمها الرسام جانغ دذدوان من أسرة سونغ الملكية.

والإنسان» ونظريات العناصر الخمسة للشمس والقمر قد أرست قواعد فكر «المدينة المربعة» الصينية القديمة، وفي التخطيط العمراني للمدن كثيراً ما كانوا يسعون إلى «اختيار الوسط» «و «التناظر»، ومن خلال التصاميم الأساسية الواضحة لجميع المدن الرئيسية المحورية فإن هناك الكثير من المدن وأسماء المباني الواقعة بداخلها والمواقع إلخ التي قامت تعكس الكثير من المعانى الرمزية القوية.

إن علم البيئة الروحية « رؤية الأرض وتذوق الماء» قد إنطلق من احترام الثقافة الصينية القديمة لتقاليد بيئة أرض شانتشوان، والتي كان لها تأثير كبير بالنسبة لتصميم وإختيار موقع المدينة. فالأمثال الأكثر شيوعا ترجع إلى عام ٥١٤ قبل الميلاد، حيث قام وو تسيه شو وزير مملكة وو بتحديد مواقع عاصمة مملكة وو، وقام بنفسه برؤية التربة، إلى درجة أنه قام شخصياً بتذوق ماء النهر، وفي النهاية قام ببناء مدينة قه لو(حالياً مدينة سو تشو). كما أن إجراء المسح الميداني في حقيقة الأمر، هو التعرف على نوع وجودة الأرض ونظام المياه، وفي الوقت نفسه رؤية الظواهر الفلكية والبيئة الروحية، وهكذا تم تحديد موقع المدينة.

إن التغير في الأنماط والأحوال الاقتصادية والإجتماعية قد دفع بالتقدم في تصاميم وتخطيط المدن. حيث قامت أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧) بضمان الأمن الإجتماعي وذلك من أجل تسهيل الإدارة، كما استخدمت المدن نظام ساحة القرية المغلقة: حيث أن الأسواق و

تسلسل المعلومات

إن «مشاهد جانب النهر بمهرجان تشينغ مينغ» بمثابة بوتيك للرؤية الموجودة عند الرسام تشانغ تسيه دوان بعصر أسرة سونغ الشمالية (٩٦٠-١١٢٧)، حيث وصف مشاهد إزدهار عيد الموتى بمدينة بيان تجين عاصمة سونغ الشمالية، كما عبر بصورة حية عن العادات والأعراف والحياة الإجتماعية اليومية لبيان تجين التي صورت الحالة الاقتصادية لمدينة سونغ الشمالية. كما يعد هذا العمل شكل من أشكال الناجاماكي حيث استخدم طريقة تكوين الصور للرسم المنظور المبقع، كما ساق المشاهد المعقدة إلى لفائف مرسومة موحدة مليئة بالتغيرات.

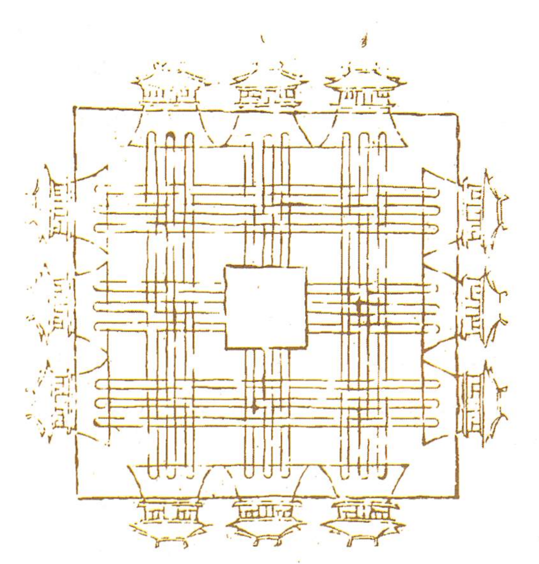


الساحات الخاصة بالأحياء قد قُسمت بواسطة خطة نظام الطرق للأشكال المربعة، فالساحة تضم حائط وباب، والسوق يضم حائط وباب، حيث يقوم الخبراء بالحراسة، فتفتح وفي اليل يقومون بإغلاقها. فكان هذا الشكل قد جلب الكثير من الإزعاج في حياة الأشخاص، كما تم تحديد خطوات التقدم الاقتصادي والإجتماعي. وحتى عهد أسرة سونغ(٩٦٠-١٢٧٩)، حيث أحرزت الزراعة والصناعة اليدوية والتجارة تقدم سريع للتجارة الخارجية فضلا عن العلوم والتكنولوجيا، كما كسرت بشكل تدريجي نظام ساحات القرى، والتي لم تعد تنحصر على المدن، حيث حلت الكثير من المتاجر التجارية بدلاً منها، كما بدلت البنية العمرانية الداخلية للمدينة الأشكال المغلقة بالأشكال المفتوحة. ومن خلال لوحات« مشاهد جانب النهر بمهرجان تشينغ مينغ» بعصر أسرة سونغ التي تعد ثروة وطنية للصين يمكنك رؤية المشاهد الصاخبة والمزدحمة للشوارع التجارية المفتوحة والمغلقة في ذلك الوقت.

بناء العاصمة

في بداية تأسيس الأسر السابقة للدولة، كان هناك إهتمام كبير باختيار موقع العاصمة، فدائماً ما كانوا يقومون بإرسال وزراء ذوي ثقة للتحقق من الأحوال الجغرافية والهيدرولوجية، والإشراف على البناء. فأساس اختيار موقع العاصمة دراسة العناصر التي هي بكل تأكيد المتطلبات العسكرية والسياسية للسادة الحكام. كما كانت مسألة الموارد المائية من المسائل الهامة جداً، فبدءا بمياه الشرب، فضلاً عن مياه الحدائق ومياه النقل المائي. كما يعد النقل المائي خط الإمدادات للسلع والمواد وموصل الغذاء للعاصمة الصينية القديمة، ونكاد نقول بأنه كان بمثابة شريان الحياة لكل أسرة حاكمة.

وفي القرن الحادي عشر قبل الميلاد، قامت أسرة تشو بالقضاء على أسرة شانغ (١٦٠٠- ١٠٤٦ قبل الميلاد)، وشيدت العاصمة قاو



تخطيط المدينة الملكية لأسرة تشو الموجودة في «مذكرات تشولي.كاوجونغ»



جينغ (حالياً جنوب غرب مدينة شيآن بمقاطعة شنشي)، كما قامت مجموعة من العشائر الإقطاعية القديمة والنبلاء بالوصول إلى جميع المناطق لبناء المملكة. ومع نظام الإقطاع القديم، بدأت مملكة تشو بعمل أنشطة لبناء المدن والتي كانت على نطاق واسع ولم يسبق لها مثيل، حيث قامت ببناء العديد من مراكز الحكم والدفاع—المدينة، وتحقيقاً لهذا الغرض وضعت مجموعة من الأنظمة الصارمة في بناء تصاميم المدن، حيث كانت هذه الأنظمة معروفة باسم « نظام بناء الدولة» التي أحدثت ذروة في بناء المدن، حيث أرست قواعد نظام تصميم العاصمة الصينية القديمة « المملكة في الأمام والمعيشة في الخلف» (فنصف الجزء الأمامي هى منطقة العمل أما النصف الآخر للجزء الخلفي فعادة ما تكون منطقة معيشة، كما تسمى أيضاً « المملكة في الخارج والبلاط الملكي في الداخل».

مبدأ الوسط الذي كان يدعمه ويؤيده العصر الصيني القديم، حيث كان يراعى في تشييد المدينة وبناء العاصمة كلمة « الوسط « . فمن مدن مملكة تشو يمكن نرى أن الطرق الكاملة لتخطيطها وتصميمها، فجميع المدن لها ثلاث بوابات على كل جانب، وقصر الإمبراطور الموضوع في الوسط أصبح المعيار والمقياس لبناء وتخطيط المدن الصينية القديمة.

ومن فترة الربيع والخريف (٧٧٠-٤٧٦قبل الميلاد) وصولاً لتشينغ ومينغ، كانت جميع المدن تقوم بإعداد المدينة والأسوار الخارجية وذلك لضمان المحافظة على أمن الحكام. فما يسمى بـ «بناء المدن لحماية الملك وصنع سور خارجي لحماية الشعب» كان يشير بشكل واضح إلى أن المدينة (قصر الإمبراطور والمدينة الإمبرطورية أو المدينة الداخلية) هى التي تحمي حاكم البلاد وأن السور الخارجي (المدينة الخارجية) هو الذي يعتني بالشعب. فمن الطبيعي أن تضم المدينة ثلاث أسوار: لقصر الإمبراطور؛ وللمدينة الإمبراطورية أوالمدينة الداخلية؛وللمدينة الخارجية. كما يوجد الكثير من المدن التي لديها أربع أسوار. كما كان يقوم حكام العصر القديم بالمحافظة على سلامة أنفسهم تدريجيا من خلال تطبيق هذه الطريقة.

مدينة تشانغ آن فى عهد اسرة تانغ واسرة سوى --- اعظم عاصمة فى الصين القديمة

فتعتبر تشانغ آن (شى ان حاليا) من اكثر المدن التى اتخذتها الاسر الملكية على مدار تاريخ الصين عاصمة لها حيث اتخذها ثلاث عشرة أسرة ملكية عاصمة للبلاد، كما انها تعد من اعرق العواصم تاريخيا فى العالم يحث يصل تاريخها الى الف ومائة عام . وتعد هذه المدينة اكبر مدينة فى العالم فى ذلك الوقت التي لها طرقات على نطاق واسع، و بشكل رقعة الشطرنج، كما ان تصميم خطوطها المحورية المتناظرة يمنا ويسارا فى غاية الدقة، فلذلك لم تصبح نموذج لتخطيط المدن الصينية فحسب بل اثرت فى شكل عواصم البلاد االمجاورة فى ذلك الوقت.



وبعد انتهاء اسرة هان الشرقية التى استمرت من عام (٢٥-٢٢٠) وبمرور اكثر من ثلاثمائة عام على الانقسامات والحروب تولى الامبراطور يانغ تشينغ الملقب ب «ون سوى» الحكم (٥٨١-٦٠٤) وفى العام الثانى لحكمه (٥٨٢) بدا الامبراطور فى بناء المدن على نطاق واسع بالاضافة الى(مدينة تشانغ ان فى اسرة تانغ فى عهد سوى) . وقد تم بناء المدينة طبقا لرسومات التخطيط ، واستشهدوا بموقف تساو وى (٢٢٠-٢٦٥) فى مدينة يي (شمال ان يانغ ب خنان حاليا)، كما استشهدوا ايضا بموقف بى وى (٣٨٦-٥٣٤) فى مدينة لوه يانغ , وقد تم جمع حدائق القصر والمكاتب الحكومية في وسط الجزء الشمالي للمدينة بأكملها ، مما جعل قصر الإمبراطور والهيئات الرسمية والمساكن العادية تنفصل، و اتخذوا شارع سوزاكوا المقابل للباب الكبير لقصر الإمبراطور والمدينة الإمبراطورية المحور الرئيسى للمدينة.

وفى عام ٦١٨ ميلادي، اسست اسرة تانغ مدينة داشينغ عاصمة لها التى تغير اسمها الى تشانغ ان. وقد حافظت مدينة تشانغ ان على النمط الاساسى لمدينة دا شينغ، وبنفس الشكل إتخذت المحور الرئيسى، فالتماثل بين جانبى الطريق وشرق المدينة وغربها ومواقع ساحات المساكن يبرز اهمية قصر الإمبراطور. الطرق داخل المدينة تحولت الى شبكات تربيعية ذات تصنيف واضح، فالشارع الكبير من الجنوب للشمال به احدى عشر خط والشارع الكبير من الشرق للغرب به اربعة عشر خط . واتخذوا الطرق الستة التى تقود الى بوابة المدينة طريق اساسى واطلق عليه «الطريق السادس» ،والطرق الأخرى هي طرق فرعية، كما يوجد على جانبى الطريق بالوعات منظمة، ومزروع ايضا على الطريق شجر صفيراء اليابان.

وهذه الطرق قسمت المناطق السكنية داخل المدينة الى ١٠٨ساحة وهناك ايضا سوقين مجمعين: السوق الشرقى والسوق الغربى. وانطلاقا من وجهة النظر الأمنية والإدارية فمساحات المساكن والأسواق مغلقة، وتفتح الساحات وتغلق في أوقات محددة وتتطبق المدينة حظر التجول، وفى الليل لا يستطيع السكان الخروج حيث ينتشر فى الشارع دوريات الحراسة وهي من إختصاص يوجين يو وى (الضابط المسئول عن الامن العام لمدينة تشانغ ان ومسئول عن الجنود اللذين يقومون بالحراسة). وحتى اليوم مازال موجود السور القديم لمدينة شى ان وقصر دا مينغ لاسرة تانغ وانقاض قصر شينغ تشينغ. التي تحفظ شكل المدينة الإمبراطورية في عهد أسرة تانغ.

أكبر مناطق تشانغ آن المختلفة عن العواصم السابقة توجد مُقامة في المناطق

تسلسل المعلومات

الشمال معبد الأجداد واليمين معبد إله الأرض، لذا ففي الجانب الايسر للمدينة الإمبراطورية يوجد معبد اجداد الامبراطور كما يعتبر ايضا مكان يقدم فيه الأباطرة القرابين للسلف وفى الجانب الايمين للمدينة يوجد معبد إله الارض، بالاضافة الى مكان أرض القرابين التي يقدمها الأباطرة، وإله الخمس حبوب.



التخطيط العمراني ل»ساحة القرية» لمدينة تشهانغ ان في عهد أسرة تانغ

الطبيعية الخلابة العامة . كبحيرة تشو جيانغ التى تقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية للمدينة، و حديقة زهور لو الخصبة ، وغيرها من المناظر الجميلة كل هذه الاماكن تعتبر من اشهر الاماكن السياحية بمدينة تشانغ ان فى ذلك الوقت . فمكان قريب من المياه واخر يتسلق فيه انه حقا يناسب عادات الناس السياحية فى ذلك الوقت عند قدوم الفصل السادس من الفصول الاثنى عشر الأرضية وفى الاحتفال بمهرجان تشونغ يانغ . وحاليا يحاول العلماء الجدد ان يتتبعوا جولة منعطف النهر حتى يصل الى تشو جيانغ ونستطيع ان نصف هذا المشهد فى عدة كلمات وهى «عندما ترى منظر جميل وتمطتى جوادك ويسير بسرعة حتى ينهكه التعب ايضا لايستطيع ان يرى كل الورود التى تملا تشانغ ان « .



مدينة بكين في عهد يوان ومينغ وتشينغ --- مثلة السيادة الإمبراطورية

اتخذت كلا من يوان ومينغ (باستثناء العاصمة نانجينغ في أوائل عهد أسرة مينغ) وتشينغ في مرحلة ما بعد المجتمع الإقطاعي في الصين بكين كعاصمة لهم، لتحل محل تشانغ آن، ولوه ينا غ، وكايفنج وغيرها من العواصم.

كانت دا دو(بكين حاليا) عاصمة أسرة يوان (١٢٠٦ - ١٣٨٦) أحد أروع وأجمل تخطيط بين عواصم العالم في القرن الرابع عشر ميلادي ، فقد وصفها ماركو بولو (Marco Polo ١٢٥٤ - ١٣٢٤) في كتاب رحلاته هكذا: «المدينة غاية في الجمال، وتزيينها غاية في البراعة، فنحن لن نستطيع وصفها !» وقد قامت الطبقة الحاكمة لمنغوليا في عهد أسرة يوان من أجل التوجه إلى التحول الصيني عند تخطيط دادو عاصمة أسرة يوان بالاقتداء بنهج «تشو لي . كاو قونغ جي» : « الشمال معبد الأجداد واليمين معبد إله الأرض، و الملكة في الأمام والمعيشة في الخلف»، وقد تم دعوة النيبالي أنيكو (Aniko ١٢٤٤- ١٣٠٦)، والعربي اختيار الدين بالإضافة إلى المصمم الرئيسي ليو بينج تشونج وغيرهم من المصممين الأجانب الذين شاركوا في التصميم. كانت مدينة دادو في ذلك الوقت بها ثلاث أسوار، و احد عشر بوابة، والطرق داخل المدينة واسعة والتخطيط المعماري منظم. وللتكيف مع شكل الحياة المنغولية، تركوا في شمال المدينة قطعة أرض تشبه المراعي الشمالية، لكي يمارس فيها الإمبراطور وأبناؤه ركوب الخيل.

كانت دادو عاصمة أسرة يوان هي السلف لمدينة بكين الحالية، اختيار موقع المدينة والتصميم الجرافيكي لها، كان له تأثير مباشر على تأسيس مدينة بكين في عهد أسرتي مينغ وتشينغ مستقبلا.

وفي عهد أسرة مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤) أعيد بناء مدينة بكين على أساس مدينة دادو عاصمة أسرة يوان. في أوائل عهد أسرة مينغ تم بناء العاصمة نانجينغ فلم يكن لموقع مدينة بكين نفس الأهمية. وتسهيلا لمهمة سكان منغوليا في الدفاع عن الناحية الشمالية، تخلت حكومة مينغ عن خمسة أميال من المناطق المقفرة بشمال بكين، فقلت مساحة المدينة. ووصولا إلى الإمبراطور تشو دي من سلالة أسرة مينغ (١٤٠٢- ١٤٢٤ في الحكم) عندما قرر نقل العاصمة إلى بكين، وقام بتحريك سور المدينة الإمبراطورية صوب الجنوب مئات الأمتار من أجل زيادة طول الطريق أمام بوابة القصر، فكانت هذه هي البداية المخططة لتأسيس مدينة بكين. وفي أواسط عهد أسرة مينغ تم بناء سور إضافي آخر خارج السور الجنوبي وذلك من أجل مقاومة الغزو المتكرر لفرسان المغول من الجنوب، ونتيجة لعدم كفاية الموارد المالية في هذا الوقت، لم يتم استكمال بناء الثلاث جهات الأخرى، لذلك أصبحت مدينة بكين على شكل رمز « 凸 ».

اُتخذت مدينة بكين من قصر الإمبراطور (المدينة المحرمة) مركزا، وقد تم تصميمها وفقا لمبدأ تناظر شرق وغرب المحور الأوسط . طول هذا المحور حوالي ٨ كيلومتر، ونقطة الانطلاق تكون من البوابة الجنوبية

يونغ دينغ التي خارج المدينة ، وإذا اتجهنا من الجنوب ناحية الشمال مرورا ببوابة تشينغيانغمن داخل المدينة، سنجد بوابة تيان آنمن بالمدينة الإمبراطورية، بوابة الأستقامة، وبوابة الهاجرة لقصر الإمبراطور، ثم بوابة الجبروت الإلهي التي تمر بقصر الإمبراطور، وعبورا لجبال جين شان، وفي النهاية تقف عند برج الطبل وبرج الجرس بالطرف الشمالي. ويزين أعلى المحور مسلة حجرية صينية، جسور وميادين مختلفة

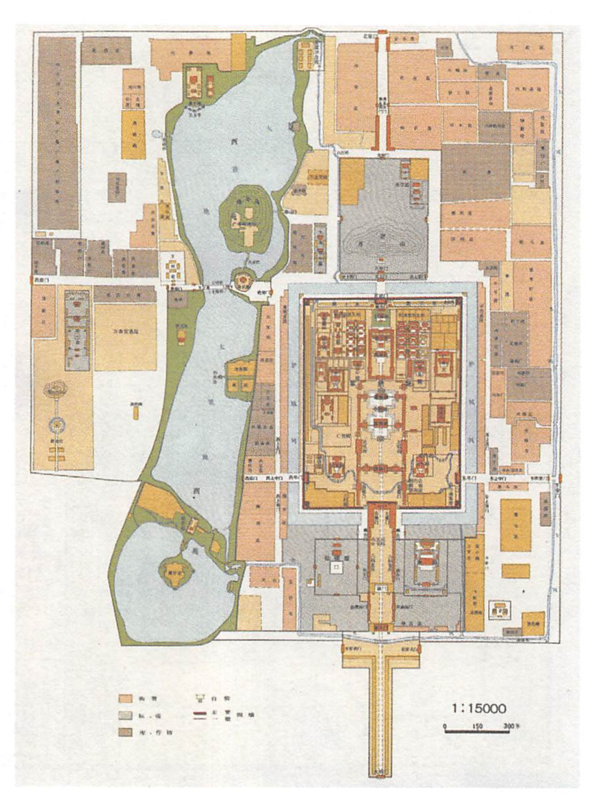
اول أكبر عاصمة في عام الإيجابية (١٣٤١-١٣٦٨)



الأشكال والأبعاد، ومجموعة من البنايات ضخمة الكتلة، مما يجعل الأماكن الخالية أعلى المحور مليئة بالتغيرات، ومن الأشياء التي يبرزها تصميم المدينة، ليس فقط تعزيز جو المهابة على بنايات القصر بل وإبراز السلطة العليا للأباطرة الإقطاعيين التي ليس لها مثيل.

ومن الجدير بالذكر أن جبال جين شان التي تقطع المدينة المحرمة من ناحية الشمال. هي جبال صناعية تكونت من تراكم الطين الذي استخدم عند حفر خندق المدينة، والاسم البديل لها «جبال العشرة آلاف عام «، ويشار إليها « جبال الفحم»، ثم تغير اسمها في بداية عهد أسرة تشينغ إلى جبال جينغ شان. وهي ليس فقط تقع على الخط المحورري الأوسط، وهو مكان مرتفع، وقمته الرئيسية تقع في موقع مقصورة يانتشون بالقصر الخلفي في عهد أسرة يوان، وإن استخدام حامية الجبل هنا، يحمل معنى تيار القمع السابق، لذلك يسمى أيضا «جبل الحماية» مما ينطوي على أثر عميق.

تم تصميم مدينة بكين في عهد أسرة مينغ أيضا وفقا للطقوس التقليدية. فبالإضافة إلى بناء معبد أجداد الإمبراطور بالقرب من الجانب الأيسر (الشرقي) لقصر ا لإ مبر ا طو ر (لتقديم القرابين للأجداد)، وبناء معبد إله الأرض وإله الخيرات على الجانب الأيمن (الغربي) (لعبادة إله الأرض والوادي)، بني أيضا من الجوانب الاربعة الشمالية والجنوبية والشرقيه والغربية داخل المدينة وخارجها معبد السماء، ومعبد الأرض، ومعبد الشمس، ومعبد القمر على التوالي. لكن من



المدينة الملكية في عهد اسرة مينغ في اعوام الوحي والسمو والتبرك (١٦٢١-١٦٤٤)



«خرائط تيكو التفصيلية» والتي أصدرها جوانغ شو في العام الرابع والثلاثين من حكمه (١٩٠٨م) تعد تسجيل دقيق للغاية لشوارع وحوراي وجميع المباني الرئيسية لمدينة بكين.



حيث الطرق ونظام جريان الأنهار داخل المدينة ظل على إمتداد نظام تصميم دادو في عهد اسرة يوان. فكان أساس الطرق والشوارع داخل المدينة هو التوازي مع الطريقين الرئيسيين الأيمن والأيسر للمحور، أما الشوارع المتبقية فتتصل كلها مع هذين الطريقين. وبسبب إعاقة المدينة الإمبراطورية ومسبح شتشاهاي، والحديقة الغربية وغيرها لحركة الاتصال بين الجزئي الشرقي والغربي بمدينة بكين، لذلك فإن المواصلات بين الشرق والغرب غير مريحة نسبيا . والطرق المؤدية إلى المناطق السكنية تماثل الطرق الرئيسية عرضا فتبلغ ٦ أو ٧ أمتار ، والمسافة بين الشوارع ما بين٥٠ أو ٦٠ متر ، فتلك هي «أزقة» مدينة بكين المتميزة.

وقد ظلت أسرة تشينج تستخدم الأبعاد والتصميمات الأساسية للمدينة في عهد أسرة مينج. فسبب تدمير العديد من القصور بفعل الحرائق والزلازل ، لذلك أعيد بناء معظم القصور في فترة كانج شي (١٦٦٢ــ ١٧٢٢). في الوقت نفسه أجريت تعديلات على الأحياء السكنية، ونقل المساكن العادية بها إلى خارج المدينة، فأصبحت المدينة مقر إقامة الملوك والأمراء والأرستقراطيين وجنود الرايات الثمانية المتمركزين في الثكنات التي يحرسونها. وكانت هذة المبادرة تعزيزا لتنمية وتطوير المدينة الخارجية، ولتشكل العديد من المناطق التجارية الهامة. وإلى جانب ذلك أضيف بناء عدد من معابد اللامية وذلك من أجل تعزيز وحدة المغول والتبت وغيرها من الأعراق الأخرى. يرتكز بناء مدينة بكين في عهد أسرة تشينج على بناء القصور الملكية والحدائق الملكية في الضواحي الشمالية الغربية، مرورا بأكثر من ١٣٠ عاما ثلاث أجيال من الأباطرة كانجشي، يونج تشين (١٧٢٣- ١٧٣٥) ،تشيان لونج (١٧٣٦- ١٧٩٥)، تم بناء ما يسمى بـ «ثلاث جبال وخمسة حدائق».

تعتبر مدينة بكين في عهد أسرتي مينج وتشينج نموذج بارز لبناء العاصمة الصينية القديمة، قال عنها المهندس المعماري ومصمم المدن الأمريكي المشهور إيدماوند باكون (١٩١٠-٢٠٠٥ Edmund Bacon) في كتابه «تصميم المدن» (Design of Cities): «ربما يكون العمل المنفرد الأكثر عظمة للبشرية على سطح الأرض هو بكين، تلك المدينة الصينية التي تم تصميمها لتكون مقر إقامة الأباطرة، ولتصبح رمزا لمركز عالمي........ فهي رائعة ومميزة من حيث التصميم ، كما أنها بالنسبة إلى المدن حاليا هي مصدر يقدم أفكار غنية للتصاميم.»

تصميم مدينة بكين في عهد أسرتي مينغ وتشينج يكاد يحافظ على روح العصر الحديث، وعلى الرغم من أن أسوار مدينة بكين تكاد أن تكون قد تهدمت إلا القليل منها،

تسلسل المعلومات

تشير الثلاث جبال إلى الجبل العطري، وجبل نبع اليشم، وجبل العمر المديد، يوجد على تلك الجبال الثلاثة على التوالي حديقة العناية الإلهية، حديقة الهدوء والصفاء، القصر الصيفي، ثم أضيف حديقة تشانج تشون و حديقة الكمال والجمال

إلا أنها تحتفظ اسم وموقع بوابة بكين في فترتي مينج وتشينج. سكان بكين القدامى يعرفونها باسم « تسع داخليا وسبعة خارجيا وأربعة لمدينة الإمبرطور » . وهذا يعني التسع بوابات بالمدينة الداخلية، والسبع بوابات بالمدينة الخارجية، والبوابات الأربعة لمدينة الإمبراطور.

وبعد هدم بوابة وأسوار مدينة بكين، تغيرت شبكة الطرق القديمة تدريجيا. وخاصة منذ ثمانينيات القرن ٢٠، فمع تزايد سرعة تجديد المناطق الحضرية حطمت الطرق الرئيسية التي تم أنشاؤها حديثا بمدينة بكين شبكة الطرق القديمة في بكين، و مازالت بعض المراكز الحضرية تحتفظ بعدد معين من القصور، منازل النبلاء والمعابد ذات القيمة العالية والمحفوظة بشكل جيد.

المدن المحلية

حيث إن المدن المحلية هي نقطة الارتكاز والحصن المنيع الذي يطبق منها البلاط الملكي الحكم العسكري والهيمنة السياسية في كل مكان، فهي أيضاً في كثير من الأحيان تعتبر المركز المحلي للثقافة والاقتصاد، ومن بين هذه المدن توجد بعضها التي تعتبر مركز لوسائل النقل والمواصلات، وبعضها مركز للحرف الفنية اليدوية، وبعضها تعتبر مواني للتجارة الخارجية وبعضها يجمع بين اثنين من هذه الوظائف. وتتوزع هذه المدن على نطاق واسع جداً، كما يعد تأسيسها وتخطيطها جاء وفقاً للظروف المحلية وتناسبها مع المناخ والتضاريس ووسائل النقل ومواقع الدفاع وغيرها من المتطلبات.

هناك العديد من المناطق في الصين التي تتكون من مناطق مسطحة ومستوية من الناحية التضاريسية، والمنازل الشرقية رباعية الزوايا دارجة وشائعة جداً، وتكون المدينة على شكل مربع، والعديد منها على شكل مربع أو مستطيل، والطرق واسعة ومستقيمة، وهي دائما ما تصمم على شكل الرمز "十" أو على شكل الرمز "丁" ، وفي مركز المدينة دائماً ما يوجد برج الطبل وبرج الجرس وأبراج الجرس والطبل تمثل الهيئات الرسمية في الشمال أو في الأماكن الأخرى القريبة منها. ويمكن مشاهدة هذه المميزات من مدينة شي آن ومدينة بينغ ياو القديمة.

في العديد من مناطق الأنهار والجبال الشاهقة ، تكون التضاريس معقدة وكثيرة التغيرات، وتخطيط المدينة مرن إلى حد ما، كما و نظام الطريق أيضاً يكون في أكثر الأحيان متناسب مع التضاريس الجغرافية ويبدو في شكل غير منتظم: أو إن هناك مدن تنشأ على طول الأنهار، وغالباً ما تتكون المدن من أشكال محددة، فإذا بنيت على مدينة لان تشو بوادي النهر الأصفر؛ أو بناء المدن في المناطق الجبلية، فإن أهم شيء أن يمتد الطريق بشكل طبيعي بمحاذاة الخط الكنتوري، مثل المدينة الجبلية الصينية الشهيرة تشونغ تشين.



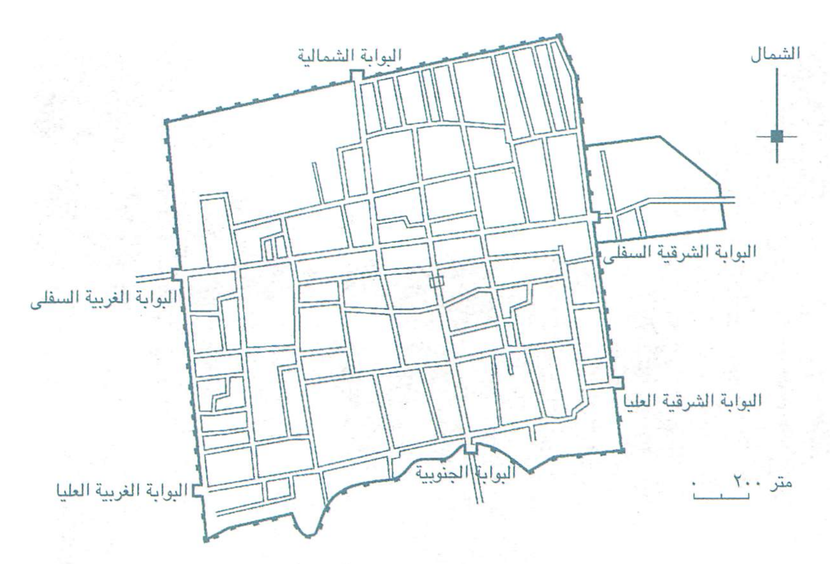
تتخذ منطقة جيانغنان الغنية بالأنهار والبحيرات النقل المائي أساسا لها، كما صممت المنازل الموجودة على الطريق كي تكون المنازل بمحاذاة ضفتي طريق النهر، وإن المدن الصغيرة القديمة التي كانت دائما بمحاذاة النهر تطورت وأصبحت لها أشكال ونطاقات محددة، أما المدن الكبيرة فإنه بسبب وجود الطرق النهرية التي على شكل الرمز "十" وهو يعني «عشرة» أو على شكل الرمز "井" وهو يعني «بئر» فقد إتخذت من مفارق الطرق مركزا مما جعلها كالقطع . أما في وسط المدينة فإن الطرق متعرجة، وممرات الجسور متداخلة مع بعضها البعض، والجدران المطلية باللون الأبيض والقرميد ذو اللون الأسود، كل هذا يشكل مناظر طبيعية في غاية الروعة. فمدينة سوتشو تمثل هذا النوع من المدن.

ولا يزال هناك بعض المدن تحول الرسوم البيانية والجغرافية للمدن إلى أشكال دائرية وذلك من أجل الدفاع عن الوطن أو السيطرة على الفيضانات والحماية منها أو من أجل الحصول على بعض المعاني الرمزية. وعلى سبيل المثال فإن محافظة سوتشيان التي بنيت حديثاً في عصر أسرة مينغ خُطط لتحويلها إلى شكل دائري من أجل السيطرة على الفيضانات؛ ومحافظة قاو التي تم تجديد بنائها وأصبحت المدينة من الخارج على شكل دائري وهذا من أجل تسهيل مقاومة العدوان والتصدي لانتهاكات القراصنة اليابانيين.

بينغ ياو --- مركز المحافظة في عهد أسرة مينغ وتشينغ الأكثر إكتمالاً والباقية حتى الأن

تقع مدينة بينغ ياو القديمة بمقاطعة شانشي، وبها من المدن الثقافية المشهورة التي لها تاريخ يزيد على ٢٧٠٠ عام. وعند مشاهدة هذه المدينة القديمة الآن، في العام الثالث لعهد هونغ وو (١٣٧٠) تم استكمال النماذج بعد التوسيعات. وكان مساحة المدن القديمة ٢,٢٥ كيلو متر مربع، ويكون الشارع الجنوبي الكبير هو المحور. ووفقاً للتخطيط التقليدي للمدن في العصور الصينية القديمة، فإنه في جانبي المحور المركزي يتم توزيع المعابد والهيئات الرسمية والمعابد الطاوية وغيرها؛ أما الأبنية السكنية فهي تقع في وسط المدينة بأكملها، والشارع الجنوبي والشارع الشرقي والغربي وشارع المدينة الإلهة وشارع يامن جميعهم عبارة عن شوارع تجارية مصممة على شكل الرمز"干"، أما باقي النطاقات فهي تتجاوز المدن الصغيرة التقليدية العادية، وهي تعكس إزدهار التجارة والأعمال التجارية المحلية. أما باقي أسماء شوارع المدن الصغيرة القديمة في الصين فهي لا تزال تحتفظ بالأسماء القديمة التي كانت موجودة في عهد أسَرة مينغ وتشينغ، و صممت أشكال الطرق والأزقة والشوارع على شكل "井" وعلى شكل "丁"، ويطلق السكان المحللين على الباقي «أربعة شوارع كبرى وثمانية شوارع صغرى واثنين وسبعين زقاق صغير».

وسورالمدينة القديمة بينغ ياو يظهر على شكل مربع، مثله كمثل وضع السلحفاة، وتبلغ عدد بوابات



لوحات بينغياو المسطحة في عهد أسرة مينغ

المدينة ستة بوابات، في الجهة الجنوبية والشمالية بوابة واحدة في كل منهم، وفي الجهة الغربية والشرقية بوابتين في كل منهم. وكما قيل إن أسوار المدينة وخنادقها كمثل رأس السلحفاة، والبئران الموجودان في خارج البوابة يرمزان إلى عين السلحفاة. أما بوابة المدينة الشمالية فهي ترمز إلى ذيل السلحفاة، وهي تعتبر أكثر الأماكن إنخفاضاً في المدينة كلها، كما إن جميع المياه المجمعة في داخل المدينة لابد وأن تتدفق من هذا المكان. وهناك أربعة باربيكان في الشرق والغرب ، ويتم عمل مقارنة نسبياً بين كل زوجين، فبوابات الباربيكان من البوابة الغربية العليا والبوابة الغربية السلفى والبوابة الشرقية العليا يتم فتحهم جميعاً في اتجاه الجنوب، ويبدو شكلها مثل النتوء الأمامية من مخالب السلحفاة، أما البوابة الخارجية لبوابة الباربيكان الشرقية السفلى هي الوحيدة التي تفتح دائما في اتجاه الشرق، وقد قيل إنه عند بناء المدينة كانوا يهابون أن تزحف السلحفاة بعيداً، فتم سحب ساقها اليسرى مباشرة وربطها عند منصة سفح الجبل والتي تبعد عشرة كيلومتر عن المدينة، إن السلحفاة من الحيوانات طويلة العمر، وهي في العصور الصينية القديمة تمثل البشرى السارة، إن هذه الأسطورة تحمل في معناها الأمل والرغبة في أن تكون مدينة بينغ ياو القديمة راسخ كالصخرة العاتية، والرغبة في الأستمرار إلى الأبد.

يعتقد الناس إن بينغ ياو بها «ثلاث كنوز». حيث إن سور المدينة القديمة هو واحد من هؤلاء الثلاثة.

إن الخروج من البوابة الشمالية من المدينة القديمة إلى االشمال الشرقي يوجد معبد حراسة المدينة، وهو ثاني كنوز المدينة القديمة، وقد بنيت القاعة الكبرى لتمثال بوذا بهذا المعبد في فترة السلالة الملكية الخامسة





"ري شنغ تشانغ " جزأ من المؤساسات المصرفية بمدينة بينغ ياو في مقاطعة شانشي قديما.

(٩٠٧-٩٦٠)، ولها تاريخ يزيد عن ١٠٠٠ عام، وإن التماثيل الملونة للسلالة الملكية الخامسة في داخل قاعة الأصنام بالمعبد تعتبر من كنوز فنون النحت النادرة والتي لايمكن الحصول عليها بكثرة. أما الكنز الثالث فهو معبد شوانغ لين الذي يقع في الجنوب الغربي من المدينة والذي تم إعادة بنائه في محافظة وو بينغ في غضون سنتين من سلالة تشي الشمالية (٥٧١)، وفي داخل القاعة الكبرى التي بها ما يزيد عن عشرة مقاعد بالمعبد يوجد ما يزيد عن ٢٠٠٠ قطعة من التماثيل الطينية الملونة منذ أسرة يوان حتى أسرة مينغ، وقد أشاد بها الناس قائلين عنها إنها تعتبر «مجموعة كنوز فنون النحت الملونة».

وبعد التحدث عن بينغ ياو فلا يسعنا سوى التحدث عن «تجار شان شي» و«متاجر تبديل العملات»، وهذا ليس بسبب إن هذا المكان هو مهد «تجار شان شي»، بل إنه في نفس الوقت يعتبر مكان ولادة متجر تبديل العملات «ره شنغ تشانغ» والشكل البدائي المصغر لأول مصرف حديث صيني. وفي ظل حركة العمل بمتجر تبديل العملات «ره شنغ تشانغ»، فإن هناك تطور سريع في مجال تبديل العملات، وفي فترة الإزدهار وصل عدد متاجر صرف وتبديل العملات هنا إلى ٢٢ متجر، وفي نفس الوقت أصبحوا مركز الصناعة المالية الصينية. وبعد أربعينات القرن التاسع عشر تم توسيع نطاق أعمالها لتشمل العديد من البلدان المجاورة.



لقد مر بالمدينة القديمة بينغ ياو العديد من الأحداث التاريخية، وبالرغم من المرور بالعديد من التغيرات، إلا إن أسوار المدينة والشوارع والمنازل الشعبية والمتاجر والمعابد وغيرها من المنتشآت الأخرى لاتزال سليمة الأساس إلى حد كبير، ولم يحدث أي تغير أو تحريك للأشكال والنماذج الأصلية تقريباً، وتعتبر أكثر المدن الصينية القديمة في فترة أسرة مينغ وتشينغ إكتمالاً والموجودة حتى الأن.

تشونغ تشينغ --- الجبل يعتبر مدينة، والمدينة تعتبر جبل

«مدينة الجبال» تشونغ تشينغ تقع على تلال الجبل في منطقة تقاطع الطرق بين نهر تشانغ ونهر جيا لين، وفي فترة الممالك المتحاربة (٤٧٥-٢٢١ قبل الميلاد) وفترة أسرة تشينغ (٢٢١-٢٠٦ قبل الميلاد) وفترة أسرة هان تكونت بالتدريج مدينة المياه السطحية والجبال الخلفية بمحاذاة النهر، وهناك ثلاث جوانب من هذه المنطقة تواجه النهر، وجانب واحد يدعمه الجبل، ويتم الإعتماد على الجبل في حراسة وتحصين المدينة. ولكن كان هناك تغيرت كبيرة في مستوى انحدار المياه بدرجة عالية من وسط المدينة، وتكونت كمية كبيرة من الأنفاق والغرف الطولية المرتفعة والمنخفضة والعليا والسفلى، وتغيرت الفراغات بشكل كبير. وعند مشاهدة هذه المباني من بعيد وهي تبدو ذات طبقات متعددة ومتشابكة، كما إن الطرق متجه إلى أعلى، فتبدو ملامح هذه المدينة فريدة جداً.

وفي المساء يتلألأ ويتألق ضوء المصابيح بمدينة الجبال، والأكثر من ذلك هو ظهور المنظر الليلي الغريب والرائع، وأصبحت سنوات تشيان لونغ لأسرة تشينغ إحدى «مناظر بايو الاثنى عشر».

وقامت أسرة مينغ في البداية بتوسيع المدن القديمة في تشونغ تشين، وهذا حتى تتناسب وتتوافق مع البيئة الروحية، ووفقا لعدد القصور التسعة ورموز التنجيم الثمانية يتم عمل ١٧ بوابة للمدينة، هذا من أجل إظهار المعنى الضمني لها هو «أسوار المدينة المنيعة». وهذه ١٧ بوابة يوجد منها ٩ بوابات تعتبر من البوابات الخاصة التي تقدم المياه وتوفرها للعمال وتدخل مياه النهرين إلى المدينة. وبعد ذلك في حالة حدوث الحرائق بكثرة داخل المدينة، فإن السلطات المحلية تعتقد إن فتح بوابات المياه على مصراعيها لا يمكنه التحكم في حوادث شرارات النار، ويتم على الفور غلق جميع بوابات المياه الثمانية الباقية، ولذلك أصبح هناك مثل على ذلك ألا وهو «فتح تسع بوابات، وغلق ثمانية بوابات، وهم جميعاً سبعة عشر بوابة».

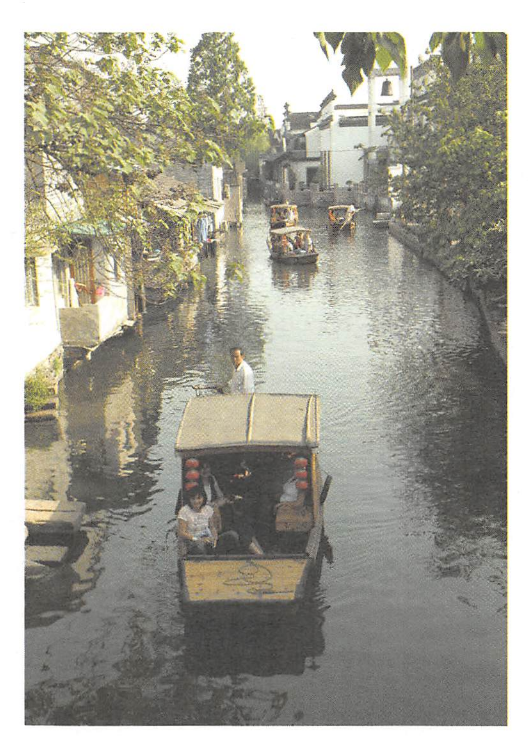
إن باب تشاو تيان يعتبر من أكبر بوابات المدينة من حيث الحجم، ويوجد في أعلى البوابة أربعة رموز من الكتاب الأصلي: «المر المنيع بتشونغ تشينغ القديمة». وبسبب إن هذه البوابة والتي تتبع نهر اليانغستي في المر الشرقي مواجهة للعاصمة نان تينغ التي كانت موجودة في ذلك الوقت في بداية فترة أسرة مينغ والتي كان يحكمها ابن السماء، ويقوم الموظفون الحكوميون المحليون في هذا المكان باستقبال مبعوثي الامبراطور، ويستقبلون المرسوم الامبراطوري، لذلك تسمى « بوابة تشاو تيان « . تقع بوابة تشاو



تيان على تقاطع الطرق بين نهر اليانغستي ونهر جيالينغ في الشمال الشرقي من مدينة تشونغ تشين، فهذه البوابة تكون في صدر النهرين، والحواجز في ثلاث جوانب، وترتفع تضاريسها عن مستوى سطح البحر، وينحدر الجانبين تدريجياً إلى أسفل. في الجهة اليسرى من نهر جيالينغ يكون التدفق قليل، وتجمع الأوجاوا، وعند هذا المكان تصب في نهر اليانغستي. وكلما تاتي فترة بداية فصل الصيف ومنتصف فصل الخريف، فإن مياه نهر جيا لينغ ذات اللون الأخضر الزمردي ومياه نهر اليانغستي ذات اللون الأصفر البني يتضارون معاً في سيل جارف، وتتكون في هذه المنطقة دوامة، وأحيانا تكون واضحة جداً صافية ووحلة ومتعكرة أحيان أخرى، في منظر مذهل للغاية.

سو تشو مياه نهر اليانجستى التى كالشعر واللوحة الفنية

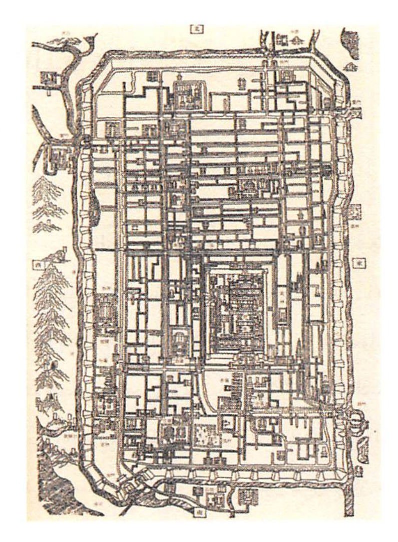
بدا بناء سو تشو فى القرن السادس قبل الميلاد ، حيث كانت فيما سبق عاصمة لمملكة وو .كما ظلت في كل عصور الأسر الملكية تشين، هان، جين (٢٦٥-٤٢٠)، وتانغ تزخر بعدد سكان كبير فى جنوب شرق الساحل، كما تعد واحدة من المدن الكبيرة والهامة نسبيا. وفى عصر سونغ شهدت ولاية بينغ جيانغ (سو تشو حاليا) درجة عالية من التقدم والازدهار فى مجال النقل البحرى والتجارة والصناعة ، ويمكن ان نرى تخطيط مدينة سو تشو فى ذاك الوقت في لوحة «خريطة بينغ جيانغ» منحوتة على نصب منذ عام ١٢٢٩ ميلادي وتصور هذه اللوحة المدينة بوضوح.



سوتشو قرى المياه

وفى ذلك الوقت كانت سو تشو مدينة مصممة على شكل مستطيل فيتميز الشمال والجنوب بطول نسبى اما الشرق والغرب به قصر نسبى واسوار المدينة بها التواءات وعدد ابواب المدينة كلها خمسة بوابات ، وبنى على





"خريطة بينغجيانغ" في عهد أسرة سونغ

جانب بوابة المدينة صمام مائى، وُحفر خارج سور المدينة خندق واسع. وقد تجمعت طرق المدينة ذات الشبكات التربيعية مع الطريق الموازى لمجرى النهر الرئيسى ليكونوا معا الطريق الرئيسى المؤدى للبوابة، واطلق عليه الناس اسم « ثلاثة طرق افقية واربع طرق عمودية». ولذلك تفرع من النهر العديد من الروافد تتجه إلى كل الاحياء السكنية , وُبنيت الجسور فوق النهر فأصبح على ضفتي النهر الطرق والمتاجر والبيوت الغنية بصفات مدينة جيانغ نان ومياهها. وقد أحيط السور الدائرى للمدينة من الداخل والخارج بالخنادق كما وجد ايضا طريق مواصلات وخندق مزدوج. لذلك فان كل الطرق المائية فى المدينة تجمعوا معا وكونوا شبكة مواصلات متكاملة ونظام لصرف المياه.

والأتجاه الجنوبي لمركز داخل المدينة تكون المدينة الفرعية التي يوجد فيها حكومة وجيش بينغ جيانغ، وقد بنى اهم مبنى على الخط المحوري الأوسط الواضح. وبسبب اهتمام اسرة سونغ بالديانة البوذية و الديانة الطاوية لذلك انشئت الكثير من المعابد داخل المدينة، وقد ُسجل على «خريطة بينغ جيانغ» ان عدد المعابد انذاك وصل الى اكثر من مائة معبد، والمعابد الكبيرة نسبياُ الحق بها ابراج عالية. وقد ُبنيت الكثير من المعابد على جانبى وطرفى الطريق الرئيسى لتعكس المكانة الهامة التى احتلتها العمارة الدينية.

وفى عهد اسرة سونغ تجمع فى مدينة سونغ تشو الكثير من طبقة ُملاك الارض وطبقة المثقفين وكبار الموظفين والتجار الاغنياء، وقد قاموا ببناء الكثير من المنازل الضخمة وكانت الحدائق الخاصة بنفس الحجم، وفى اسرة مينغ وتشينغ ظلت تظهر اعمال جيدة وتكون بالتدريج اسلوب فريد لفن بناء الحدائق الكلاسيكية فى سو تشو. ووفقا للسجلات فان مدينة سو تشو تحتوى على عدد كبير من الحدائق سواء كانت كبيرة او صغيرة يصل عددها لما يقرب من مائتى حديقة، من بينهم حديقة تسينغ ليانغ وغابة الأسد وحديقة تشوه جينغ وحديقة ليو، وهذه الحدائق على التوالى تمثل الطابع الفنى للاسر الملكية سونغ، يوان، مينغ، تشينغ، وقد اطلق عليهم «الاربع حدائق الكبرى» فى سو تشو. بالاضافة الى تلك الحدائق يوجد ايضا حديقة وانغ شى، وحديقة خوان شيو شان جيوانغ، وحديقة اى بو، وحديقة او، وحديقة تو سى وغيرها من الحدائق وكل حديقة منهم تختص بالسمات الفنية الخاصة بها من ناحية التصميم و التركيب والشكل.

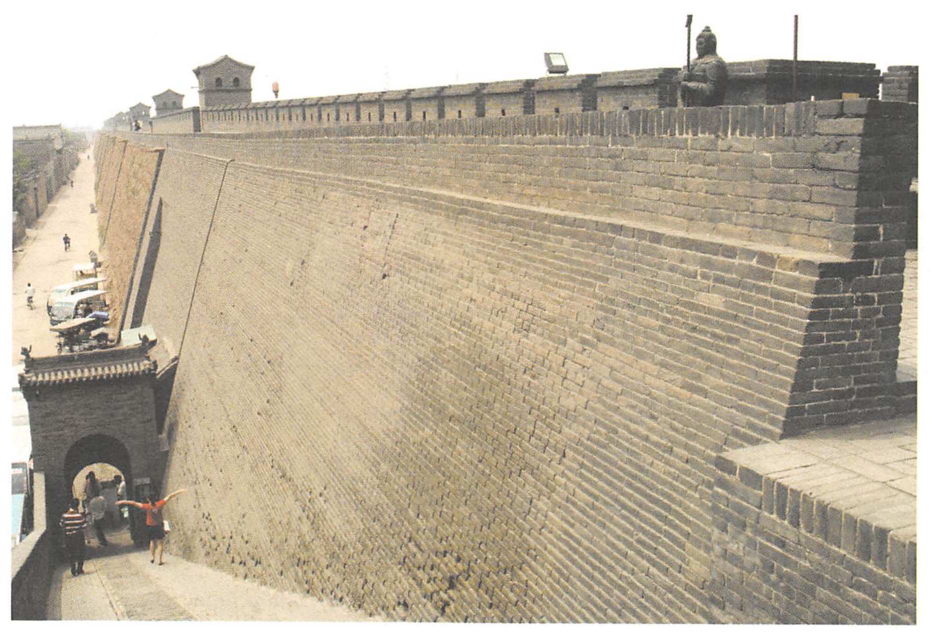


الدفاع العسكرى

أسوار المدن

ان الحروب المتكررة فى الصين القديمة جعلت من ظهور التحصينات والخنادق المحيطة بسور المدينة امر حتمى لابد منه ، كما انها كونت الشكل الاول لبعض المدن . ومن المنطقى ان يصبح سور المدينة اهم بناء دفاعى للمدن الصينية قديما . فالاسوار القديمة بعضها ُصنع من الخشب وبعضها ُيبنى من الاحجار والبعض الاخر يبنى من التراب المُدك . اما اسوار المدينة قبل اسرة تانغ فكانت تبنى بقليل جدا من الطوب او الطوب اللبن، وبعد ذلك اخترع الصينيون فى البداية البارود واستخدموه بشكل واسع فى حصار المدن وكان يسبب دمار كبير ،ولكن بدأت بعض المدن الهامة في إحاطة النقاط الجوهرية فى السور بالطوب .

وبعد اسرة مينغ زاد الطوب المستخدم فى سور المدينة ليصل لشكله الطبيعى ،و فى بعض الاسوار ُاستخدم فى البداية الطوب وبعد ذلك يُملا الوسط بالتراب المُدك اما البعض الاخر ُيبنى من التراب المُدك



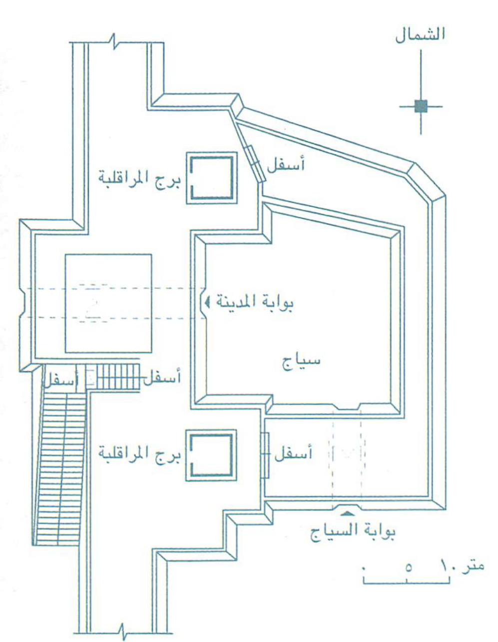
جدار المدينة القديمة بينغياو في شانشي



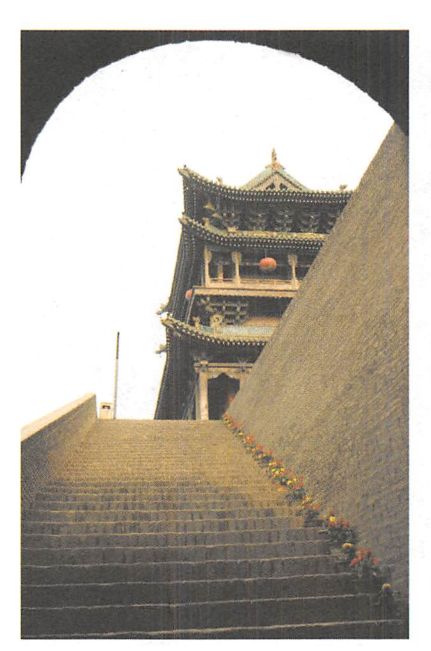
ومن الجانب الخارجي يضاف الطوب، وعدد قليل من اسوار المدن باكملها أو أجزاء من أبواب المدن يضاف الطوب من الجانبين الداخلي والخارجي. ويتوقف عرض وطول السور على حجم المدينة، وعلى درجة اهمية الدفاع، وعلى مقدار حجم وعدد الفتحات وأبراج البوابة في سور المدينة ولأن مستويات المدن ايضا مختلفة لذلك فالاسوار مختلفة.

وكان الجزء الظاهر لأسوار بعض المدن على شكل حصن «وجه الخيل»، والغرض الرئيسى من ذلك هو بناء مدينة متماشية مع التضاريس تجعل الاعداء بين فكى الكماشة وذلك من اجل تعزيز القدرة الدفاعية، وبعض المدن الهامة قامت ببناء الباربيكان. هذا بالاضافة الى منشات لصرف المياه على طول سور المدينة او مد المزاريب لاماكن بعيدة نسبيا او البالوعات المبنية فى الجهة الداخلية من سور المدينة. وهذا يوضح الأسوار النموذجية إلى حد ما فى منطقتين.

السور القديم لبينغ ياو يعد السور القديم لمدينة شان شى بينغ ياو واحد من اكثر الاسوار الكاملة والمُحافظ عليها فى الصين ، وقد بدأ بنائه فى عام ٨٢٧ قبل الميلاد حتى عام٧٨٢ قبل الميلاد. وفى بداية بناء المدينة ُبنى السور فقط من التراب المُدك وعلى نطاق صغير نسبيا. وفى عام ١٣٧٠ ميلادي بنى السور على حجمه الحالى. وقد قام مينغ تشينغ دا (١٥٠٦-١٥٢١)، جيا جينغ (١٥٢٢-١٥٦٦) بالاصلاح والبناء



لوحات مسطحة لباربكيان بينغياو



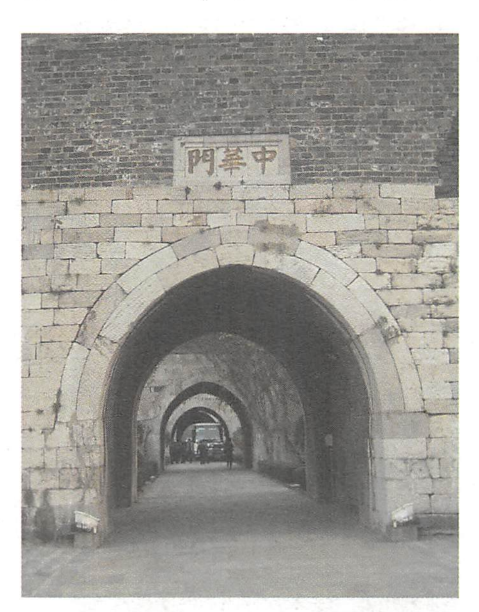
بوابة المدينة القديمة بينغياو في شانشي



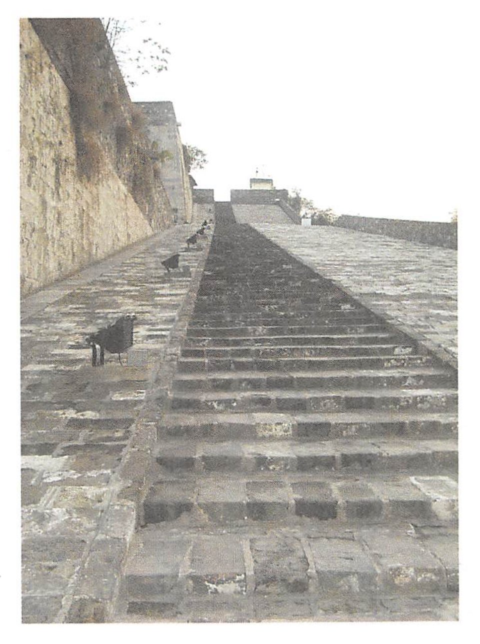
هذا بالاضافة الى إعادة بنائه وإصلاحه اكثر من عشر مرات فى بداية عصر اسرة تشينغ.

ويبلغ محيط سور مدينة بينغ ياو حاليا ٦١٦٣ متر وقد بنى جسم السور من التراب المُدك وُاحيط من الخارج بالطوب ،ويصل عرض القاعدة الى عشرة امتار وعرض القمة الى ثلاثة امتار ويتروا ح الارتفاع ما بين ستة الى عشرة امتار . ويوجد ستة باربيكان ، و كانت تحتوى ستة ابراج بوابة وأربعة أبواب مراقبة ،والمعبد الموجود حاليا (معبد جوان دى ويقع المعبد فى اسفل البوابة الشرقية فى الباربيكان) وسور المدينة به ثلاثة الالف فتحة فى بالاضافة الى اثنين وسبعين برج مشاهدة ويحكى ان هذا رمز لثلاثة الالف تلميذ من تلاميذ كونفشيوس واثنى وسبعين شخص صالح ،ومنذ مئات السنين لعبت اسوار المدينة الصلبة المبنية من الطوب دور كبير فى الدفاع عن المدينة فى الامور العسكرية و حماية المدينة من الفيضانات وغيرها من المخاطر الاخرى.

السور القديم لمدينة نان جينغ المدينة المركزية ينغ تيان (مدينة نان جينغ حاليا)فى عصر اسرة مينغ هي أول مدينة صينية عُرف عنها أنها بنيت بالطوب. وقد بدأ بناؤها فى عام ١٣٦٦، ومن الشرق ترتبط المدينة بجبل تشونغ، ومن الغرب تحازى المدينة الحجرية، ومن الجنوب تطل على نهر تشين هواي ، ومن الشمال تطل على بحيرة شيون وو، الامر الذى جعلها العاصمة القوية والمدينة المركزية الشرقية لستة اسر ملكية (فى عام ٢٢٢-٥٨٩ ميلادي اتخذوا مدينة نان جينغ حاليا عاصمة لهم والست اسر هم دونغ وو، دونغ جين، سونغ، تى، ليانغ) ،هذا بالاضافة الى مدينة جين لينغ (٩٣٧-٩٧٥)فى عهد اسرة تانغ الجنوبية واحتوت المدينة على الجبال والمياه والتعاريج والإلتواءات فأحدث أشكال غير منتظمة فمن الجنوب إلى الشمال واسع ومن الشرق إلى الغرب أضيق قليلا، فالمسافة من الشمال للجنوب ١٠ كليو متر والعرض بين الشرق والغرب يقرب الى ٦ كليو متر ويصل محيطها الى ٣٤ كليو متر . بينما يتراوح ارتفاع السور من ١٤ متر الى ٢١ متر ويصل عرض القاعدة الى حوالى ١٤ متر وتتراوح القمة ما بين ٤-٩ متر . وقد



باربكيان المتعدد لبوابة جونخوا بنانتينغ, والتى تضم الاف القوات الخاصة داخل التبت.



طريق الخيول على امتداد جدار مدينة نانتينغ. وكان يستخدم هذا الطريق وقت الطوارئ فكانت تركب الخيل وتمر بطول جدار المدينة, مشكلة بذلك قوة دفاعية إحتياطية ضخمة.

ُصمم وفقا للموقع الجغرافى لمدينة نان جين وحاجتها الدفاعية.

ويصل اجمالى البوابات لسور مدينة نان جين الى ثلاثة عشر بوابة ويوجد فى الجزء الاعلى من كل بوابة برج شاهق من بينهم بوابة الكنز (بوابة الصين حاليا) التي تعد أعظم البوابات . بوابة الكنز وبوابة سان شان (بوابة شوى شى حاليا) وبوابة تونغ دى (لم تعد موجودة حاليا) وكل بوابة من البوابات الثلاثة لها اربع طرق لسور المدينة ليكونوا معا الباربيكان الثلاثى ويكونوا رمز "目". وكل بوابة من بوابات المدينة لها بابين باب داخلى واخر خارجى ، و الجهة الخارجية يكون « الباب الثقيل» الموضوع من أعلى السور، والجهة الداخلية تكون من من الخشب المُحاط بالحديد لتصبح البوابة ذات درفتين . وفى الباربيكان المُقام فى الجهة الخارجية لبوابة الكنز ُبنى «سانغ بينغ تونغ «وهذا المبنى هو مبنى خاص وينقسم الى طابقين علوى وسفلى وبه ثلاثة وعشرين خندق و كل خندق يمكن ان يستوعب مايزيد عن مائة جندى وعدد الخنادق مجملا يمكن أن يختبئ فيه ثلاثة الف جندى . هذا بالاضافة الى ان الاسوار الفاصلة بين بوابات المدينة بها الكثير من الفتحات (الحصون) حيث يصل عددها الى ١٣٦١٦ حصن ، كما يوجد ايضا مائتى كوخ .

ان بناء مدينة نان جينغ فى عهد اسرة مينغ هو ثمرة حكمة كل سكان المقاطعات التي صبت في وسط نهر اليانغيستى . وفى ذلك الوقت امر الحكام سكان الخمس مقاطعات الواقعة على مصب وسط نهر اليانغستى وهم خو بى، خو نان، جيانغ شى، ان خوى، جيانغ سو ان يقوموا ببناء المدينة بالطوب وفقا لحجم محدد وان يطبعوا على الطوب اسماء صانعى الطوب واسماء مسئولين الاشراف والعمال اللذين يصنعون الطوب. وحجم كل قطعة من الطوب المستخدم ٤٠ سم ×٢٠ سم ×١٠ سم ،ليتراوح وزنها من ١٥ الى ٢٠ كليو جرام . ولكى يزيدوا من قوة سور المدينة استخدموا حجر الجرانيت لبناء قاعدة السور



، ويصب الجير بين الطوب المكون لسور المدينة ، ويتجمع زيت التونغ وسائل الأرز اللزج ليكونوا السائل السميك الذى مر عليه ٦٠٠ عام ولم يفسد .

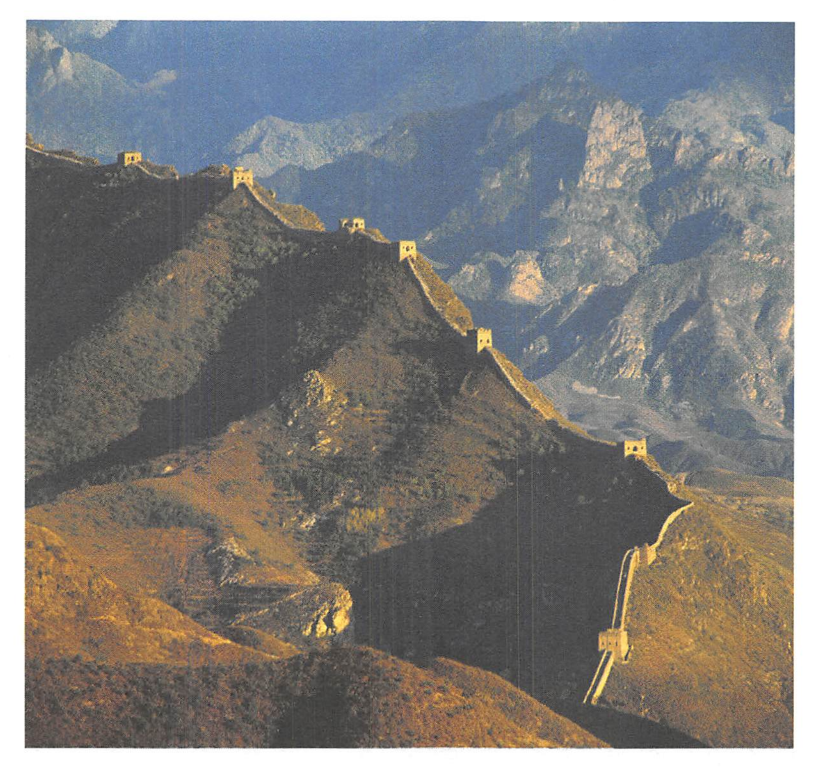
سور الصين العظيم

إن سور الصين العظيم يُعد واحداً من أعظم الإنشاءات المعمارية في تاريخ الصين، كما يُعد من أكبر المشاريع الدفاعية الصينية القديمة، حيث أنه معروف في تاريخ البشرية بأنه من أعظم العجائب المعمارية. فمن ناحية الشرق يقع نهر يالوه، كما يمر بمقاطعة لياو نينغ وخبي وشانشي ومنغوليا الداخلية وشنشي ولياو شيا وغيرها من المقاطعات، ومن ناحية الغرب حتى جيايوقوان بمقاطعة قان سو، كما أنه يقطع الإتجاه الشمالي للصين، ويكون إمتداده على طول الصحراء الشاسعة والجبال المتموجة، حيث يمتد طوله بدون إنقطا ع إلى أكثر من ١٢٠٠٠ هولي/نصف كيلو متر(أكثر من ٦٠٠٠كيلو متر)، ولذلك يسمى « سور الصين العظيم «.

وفي الفترة التاريخية كان الغرض الأول من بناء سور الصين العظيم هو استخدامه في مقاومة القوميات بأسفل الجنوب المرتحلة إلى الشمال. وفي بداية فترة الممالك المتحاربة، كان الجانب الشمالي للممالك الثلاثة تشين و تشاو ويان بـ «الممالك المتحاربة السبع العظام» يستخدم كطريق التنقل والإرتحال الأساسي لقومية الهون، ومن أجل منع الغارات المتكررة في أسفل الجنوب من جانب فرسان قومية الهون، قاموا ببناء سور الصين العظيم على جميع الحدود الشمالية. وبعد قيام أول إمبراطور لملكة تشين(٢٢١قبل الميلاد- ٢١٠ قبل الميلاد) بتوحيد جميع البلاد، قام بإرسال جيش جرار مكون من ٣٠٠ألف محارب بالإضافة إلى حوالي ٢ مليون شخص من أسرى الحرب والمجرمين والمجنديين، وذلك من أجل منع شن غارات متكررة من قبل قومية هون، كما ربط سور الممالك الثلاثة تشين و تشاو ويان والذي أصبح نموذج مصغر لسور الصين العظيم. وقد قامت بعض الأسر الحاكمة مثل أسرة هان وأسرة وي الشمالية (٣٨٦-٥٣٤) وأسرة تشي الشمالية (٥٥٠-٥٧٧) وسوي(٥٨١-٦١٨) وجين(١١١٥-١٢٣٤) بتكميل البناء وعمل إصلاحات للسور. ووصولاً إلى عصر أسرة مينغ قام حكام هان بالبدء مرة آخرى في بناء السور على نطاقة واسع وذلك لمنع قومية منغوليا الشمالية وقومية نوتجين الشمالية الشرقية من شن غارات متكررة عليها، ومنذ السنة الأولى ومنذ عهد إمبراطورية هونغ وو(١٣٦٨)، وبمرور أكثر من ٢٠٠ عام تم الإنتهاء من مشروع بناء سورالصين العظيم.

ومن أجل تعزيز الأعمال الدفاعية عن السور وإدارته، وتسهيل حركة إرسال القوات على طول خط السور، قامت حكومة أسرة مينغ بتقسيم خط السور إلى ٩ مناطق دفاعية، فكانت كل منطقة بمثابة مركز حماية، بحيث يتم تعيين قائد عام للقيادة. وتضم المراكز التسعة أكثر من ١٠٠٠ممر جبلي(أهمها نقاط



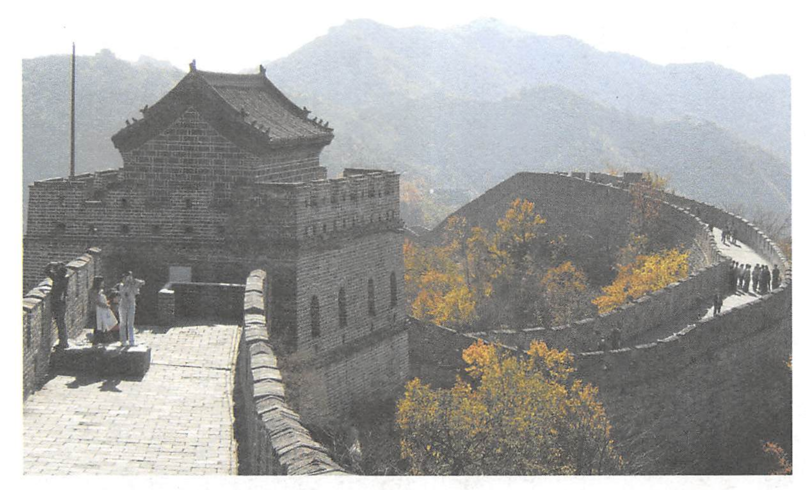


عندما تطل على سور الصين العظيم من أعلى يمكن أن ترى موقع هذا السور كم هو منيع وحصين.

إرتكاز محطات القوات)، كما يتكون الممر الجبلي عادة من سور المدينة وبوابة المدينة وطابق بوابة المدينة وباربيكان، كما يحتوى بعضهم على كابيلا وخندق.

ويُعتبر سور المدينة هو الجزء الأساسي لسور الصين العظيم. بحيث يُستخدم هذا الجزء من شانشي لمر شانخاي كنموذج، فالمقطع العرضي الخاص به هو عبارة عن شبة منحرف، فالجزء السفلي له واسع والجزء العلوي ضيق، ومتوسط عرض القاع ٦متر، وعرض القمة ٥متر، والإرتفاع ٦,٦متر، كما يقوموا بعملية البناء بالطوب المدكوك في الداخل وفي الخارج يقومون بوضع وترتيب الكتل الحجرية والطوب الضخم. فقمة سورالمدينة يمكن أن تسع لـ٥ خيول أو ١٠ أشخاص يقومون بالدخول بشكل منظم، كما يُستخدم من ثلاثة إلى أربعة طبقات من الطوب لرصف سطح الأرض، فالطبقة العليا تكون عبارة عن طوب مربع، بحيث يُستخدم الجير لسد الفجوات بين الطوب ولتثبيته بالكامل، كما أن جانبي بهما أسوار من الطوب، فإرتفاع السور المنخفض للجانب الداخلي حوالي متر، أما فتحات الجانب الخارجي فيكون ارتفاعها ١,٦متر، وفي أعلى كل فتحة يوجد ثغرة، أما الجزء السفلي لها فيضم الكوة، بالإضافة إلى أن





برج سور الصين العظيم موتيانيو ببكين

سور المدينة يضم بالوعات تصريف المياه وصنبور الرشح وغيرها من المعدات.

إن نظام أبراج المنارة القديم والمحكم قد جعل الدور الدفاعي لسور الصين العظيم أكثر فعالية. ففي حالة وجود عدو، يقوم البرج بإطلاق الدخان نهاراً ويشعل النار ليلاً لإعطاء التحذيرات. وطبقاً لما هو مدون، فإن أبراج المنارة التي كانت في عهد أسرة تانغ كانت تصل إلى ٢٠٠٠ متر ليلاً ونهاراً؛ حتى عهد أسرة مينغ، حيث حل بهذه الأبراج الكثير من التحسينات والإصلاحات، ففضلاً عن قيامها بإطلاق الضوء والدخان، كانت تقوم أيضاً بإطلاق المفرقعات، فيمكن أن تصل سرعة نقل المعلومات ليلاً ونهاراً إلى أكثر من ٧٠٠٠ متر.

إن بناء سور الصين العظيم ليس فقط من المشاريع الكبرى بل أيضاً هو إجتياز قمة إثر قمة وممر لعبور الهضاب والمروج إلى جانب بناءه الذي هو في غاية الصعوبة. وقد قام الحرفيون القدامى بإستغلال التضاريس الطبيعية بمهارة وبراعة كما استخدموا المواد المحلية، وذلك من الإمتداد الدقيق للسور ووصولاً للحواجز والقلاع والأبراج التحذيرية للعدو والأعمدة الدخانية وغيرها من ترتيبات الأنظمة الدفاعية المتكاملة، حتى تشيكل هيكل سور المدينة وإختيار المواد، فدقة تصاميمه المناسبة قد جعلت الأشخاص يقومون بتمجيده ويرفعوه إلى مرتبة الذروة. كما أن روح الجد والإجتهاد والوقوف بعزم وثبات التي أظهروها في مراحل البناء المعقد والشاق والمميت قد حازت على إعجاب شعوب العالم.

سلطة الإمبراطور وتقديره



كان الإمبراطور الصيني في العصور القديمة يسمى « ابن السماء» وكان له سلطات وصلاحيات ليس لها مثيل. فتلك الأنوا ع من البنايات مثل القصور والمعابد والمقابر هي رمز السلطة والحكم للإمبراطور، وهي أكبر بنايات في العصور الصينية القديمة، فتتميز بالسياسية المتميزة والأثر العميق للآداب التقليدية للإقطاعين في تصميماتهم . فأسرفت الأسر الإقطاعية السابقة الكثير من القوى البشرية والقوى المادية والقوى المالية ، واستخدمت كل ما هو معروف من التقنيات والفنون في ذلك الوقت كي تبني هذه البنايات ، فهي تعكس بدرجة كبيرة أكبر إنجازات تكنولوجيا البناء في عصر ما.

وسُميت مجموعة البنايات الكبيرة التي كان يسكنها الإمبراطور الصيني القديم باسم القصر، فكان يمثل البناء الفخم الواسع الكبير كرامة واناقة البيت الإمبراطوري.

أما المعابد فهي بنايات فريدة تفرق بين المباني الدينية وغير الدينية. فكانوا يعبدون أشياء كثيرة كالجبال والأنهار الطبيعية أوأشخاص متميزين من السلف. وكان يحترم الصينيون القدماء الأفكار التي تنادي بها الكونفوشيوسية «وكأنها طقوس من السماء»، وأدخلوا هذا النوع من العبادة في نطاق الطقوس . وتحول المذهب الكونفشيوسي إلي مذهب الدولة وأصبحت آدابه نظام في الدولة وأصبحت المعابد بنايات تحت إدارة الدولة لذا يمكن تسمية هذا النوع من المباني باسم «المباني الأدبية» وتشمل معبد السماء للقرابين، ومعبد شه جي إله الأرض ومعبد عبادة السلف الأولين وكانت مخصصة أساسا للأباطرة.

المقابر وهي بنايات تشير إلى مدافن الأباطرة ومقابر الملكات الصينيين القدامى والبنايات التي يقدم العامة لها القرابين فهي مثل أهرامات المصريين القدماء وتاج محل في الهند. فكانت معرفة الصينيين القدماء أنه بعد الموت هناك عالم أخر سيعيشون فيه الخلود الروحي، وكانت تنادي الكنفوشيوسية في تشييع الجنازة بالبر للموتى فيجب «التفكير مليا عند اتباع الجنازة ، فالموت ميلاد جديد». وهذا تصديق لمعتقد الخلود الروحي ومراسم الدفن «فالموت ميلاد جديد» فقد أجهد الأباطرة أذهانهم كي يبنوا لانفسهم المقابر، فكانت كل مقبرة إمبراطورية وكأنها قصر فخم تحت الأرض.

بناء القصور

يمكن أن يُقال أن القصور هي أهم أنواع البنايات في العصور الصينية القديمة. ففي الفترات الطويلة للمجتمع الإقطاعي في الصين كانت تمثل مركز النظام المركزي للسلطة الأمبراطورية ووصلت إلى التطور الكامل، فالقصور هي المجسد الأشمل للأيديولوجية الإقطاعية ، فهي تعبر في العديد من النواحي عن أعلى مستويات فنون البنايات التقليدية .

وأول قصر عرفته الصين هو بقايا قصر أرلي تو بمدينة يان شه بمقاطعة خه نان في بداية عهد



شانغ. فهو موجود على قاعدة مدكوكة وكان يتخذ من ممر شرفة وي فناءا له، واتخذ من وسط الجانب الجنوبي بابا كبيرا، وأتخذ من الجزء الخلفي لخط المحور ساحة للقصر، ويقسم القصر من الداخل إلى صالة الانتظار الأمامية المفتوحة و الغرف الخلفية المغلقة، وقمة حجرة الكاهن وهي سي آه متعددة الغرف (أيضا وو ديان متعددة الأطناف).وبعدها، مجمع الفناء والصالة الأمامية والغرف الخلفية (المملكة في الخارج والبلاط الملكي في الداخل) تحولت إلى طريقة تنظيم القصور المتواصلة لفترات طويلة، وأصبح السقف المتعدد الأطناف أرقي طرق الأسقف للبنايات في العصور الصينية القديمة.

بني قصر دامينغ الموجود حتى الأن في عهد تانغ عام ٦٣٤، ويقع في مدينة تشانغ آن (مدينة شي آن بمقاطعة شان شي حاليا) على مرتفعات لونغشو الشمالية الشرقية، فإذا نظرت من أعلى يمكنك أن تري المدينة بأكملها. فأضخم ثلاث قصور هي قصر يوان وقصر شوان تشينغ وقصر تسه تشن على التوالي. ويشمل القصر الرئيسي قصر يوان وهو مبني مكون من أحدى عشر صالة مفتوحة ، فعلى مسافة ١٥٠ متر جانبي القصر بُني شئ يدعى الطائر الأسطوري المحلق، وبرجي العنقاء ليربط بين الممر المعلق وجسم القصر، وأيضا منحدر طوله يصل إلى ٧٠ متر ويستخدم في الصعود ويسمي «طريق لونغ وي».



أثار القصر الأمبراطوري الذي يعود تاريخه لأوائل عهد أسرة شانغ. والذي يبلغ من العمر أكثر من ثلاثة الف عاما.



وبمرور الزمن، لم يبق من قصور العصور الصينية القديمة إلا قصر بكين لأسرة مينغ وتشينغ وقصر شن يانغ لأسرة تشينغ بقوا بالكامل حتى الأن.

قصر بكين لأسرة مينغ وتشينغ

يسمى قصر بكين لأسرة مينغ وتشينغ «المدينة المحرمة»، ويسمى أيضا « القصر الإمبراطوري «وهو أوسع وأتم بناء ذو هيكل خشبي في العصور القديمة والذي ما زال باقي حتى الأن على مستوى العالم، وهو أيضا أكبر وأتم بناء أثري صيني باقي حتى الأن، وبدأ بنائه في السنة الرابعة لحكم مينغ يونغله (١٤٠٦)، وانتهي بناؤه في السنة الثامنة عشرة لحكم يونغله (١٤٢٠)، ومجموع الأباطرة الذين اعتلوا عرشه ٢٤ إمبراطور.

وكل العواصم السابقة بُنيت بنظم محددة أهمها إحترام الآداب. «يجب أن يسكن الملك في قلب العالم ، آداب أيضا» وأن تصبح «الصين» في أعلى مكانة ، لذلك فإن إختيار موقع العاصمة وما بها من قصور يبرز أيديولوجية الأختيار «موقع الدولة في قلب العالم ، وموقع القصر في قلب الدولة». يقع القصر الإمبراطوري في قلب مدينة بكين ، وهذا نتيجة أتباع هذه الفكرة . و بُني القصر من الداخل بنظام أن تكون الجدران حمراء ومن القرميد المزجج الأصفر فيُنتج مقارنة حادة على مساحة كبيرة من الألوان الطبيعية ، وفي ظل أن قطاع كبير من المساكن في بكين مزينة بالقرميد الرمادي فتُظهر أكثر روعته وجماله وتبرز التأثيرات الكاملة .



القصر الإمبراطوري في بكين تحت السماء الصافية لأغسطس ٢٠٠٨

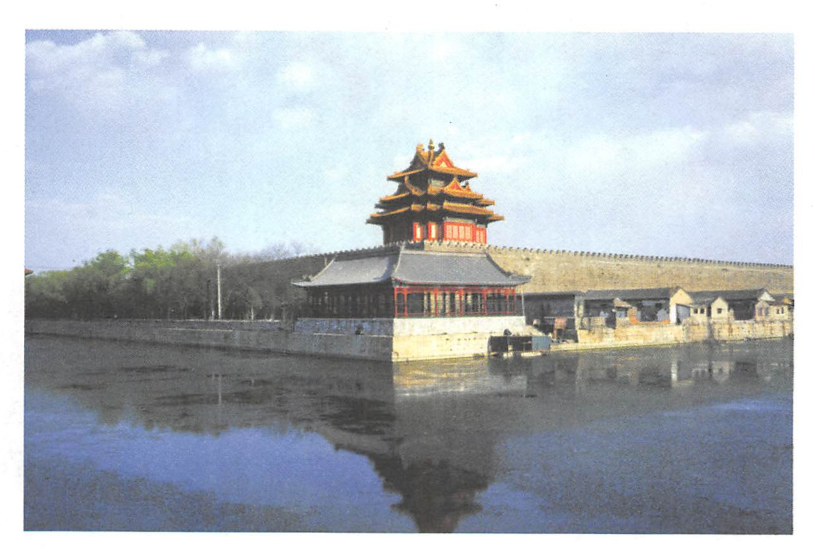


«لوحة القصر الإمبراطوري في عهد أسرة مينغ» هي صورة كاملة المعالم للمدينة المحرمة في عهد هذه الأسرة. كما تصور لنا اللوحة صورة مصمم القصر الإمبراطوري كواي شيانغ في الجانب اليمنى السفلي وسط اللوحة مرتديا الزي الرسمي.



أُستخدم نظام الهياكل الخشبية في البنايات الصينية القديمة ، فهي تضاهي البنايات الغربية ، فهندسة البنايات الفردية كثيرا ما تكون عبارة عن مستطيلات بسيطة فكتلة البنايات ليست ضخمة . فبمقارنة متحف اللوفر المشهور في فرنسا وقصر فرساي بالقصر الإمبراطوري فيمكن أن يتضح أن الهندسة المعمارية للهيكلين الأولين معقدة، والمنظر الخارجي فخم، أما فخامة وجمال البيوت الملكية في العصور الصينية القديمة لاتظهر في بنايات المونومر بل تظهر في مهارة تجمع الوحدات معا على أساس إختلاف أشكال وأحجام الفراغات داخل وخارج الغرف و طبقا لتناسب طول البنايات ورؤية الفرد وغيرها من المقاديرالمعتدلة يتحدد نتائج البناء. فيحتل القصرالإمبراطوري بالكامل أكثر من ٧٢٠ ألف متر مربع ، وينقسم إلى أكثرمن ٨٧٠٠ حجرة، فساعدت البنايات المتباينة وفراغات الفناء في تكوين مجموعة من الأنظمة المحكمة والقريبة من الكمال وإبراز بنايات القصر المركزية.

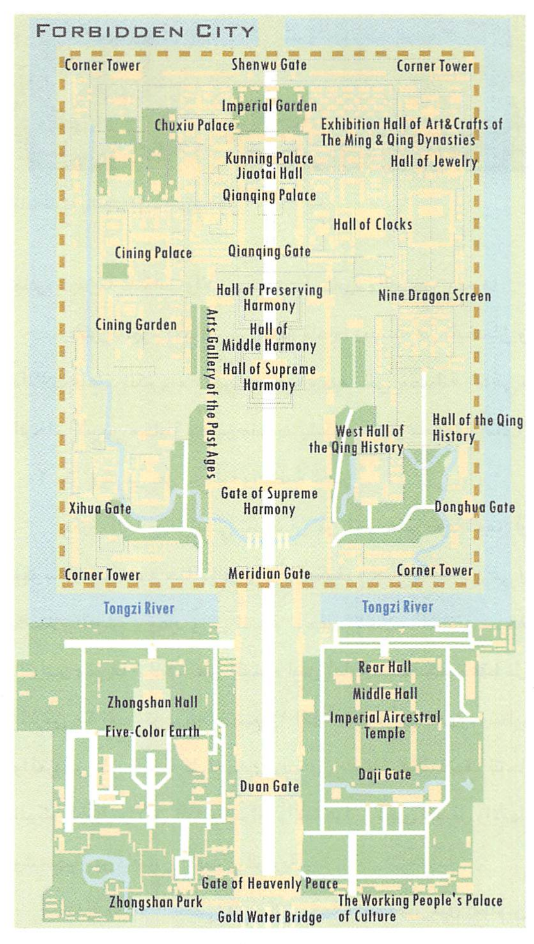
ويحاط القصر الإمبراطوري بالخنادق من الجهات الأربعة ، ويوجد في الزوايا الأربعة للسور أبراج مراقبة ، و٧٢ تل ثلاثي الأطناف ، فبنوا نماذج رائعة . وسور المدينة به أبواب للإمبراطور من جميع الجهات ، وأبرز هذه الأبواب الباب الرئيسي بوابة الهاجرة ، فتصميمه على شكل "凹"، ويُفتح في الوسط ثلاث أبواب ، وكل جانب يُفتح فيه باب ، ووسط برج البوابة يوجد تسعة قاعات ذات أسقف ووديان متعددة الأطناف، وفي أطراف الجانبين يوجد جناح زاوي متصل مع الشرفة. وهذا أيضا هو أرقي مستويات الأبواب الكبيرة في العصور الصينية القديمة . خمسة أشكال لأسقف الحجرات وكأنها أجنحة منبسطة لخمسة عنقاوات لذا يسمى « برج العنقاوات الخمسة «.



برج القصر الإمبراطوري



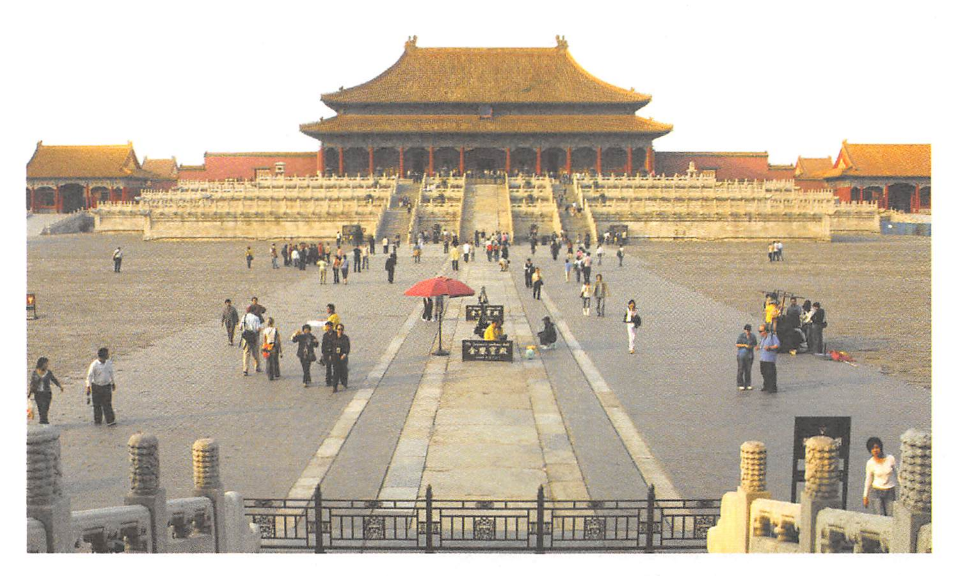
وصُممت الشرفة ذات الألف قدم على الخط الأمامي للقصر ، ففي شرق الشرفة (الشمال) معبد أجداد الإمبراطور ، وغرب الشرفة (اليمين) معبد إله الأرض ، وهو أيضا يورث تصميم النظام القديم « الشمال معبد الأجداد واليمين معبد إله الأرض « . ونُظمت جميع البنايات الرئيسية في القصر الإمبراطوري على الخط المحوري الواضح ويمتد هذا الخط المحوري مع الخط المحوري لمدينة بكين بالكامل ، وهذا جسّد مدى تقدير مكانة القصر الملكي . وعلى الخط المحوري يستخدم الفضاء المغلق المتواصل والمتناظر، ليُشكل تنظيما بنائيا أكثر إنفتاحا، وأيضا يوجد العديد من الفناءات المساعدة من اليسار واليمين التي ليس لها مثيل، فالبنايات واسعة وعديدة وواضحة للجميع ،وذات صدى واسع ،وتناظر تام، وفي غاية النظام ،فأظهرت نبل وفخامة الثلاثة قصور التي على الخط المحوري الأوسط.



جميع اللوحات الخاصة بالمدينة المحرمة في عهد أسرة مينغ

يقسم القصر الإمبراطوري تقريبا إلى قسمين كبيرين المملكة في الخارج (القاعة الرئيسة للسلطة التنفيذية وتنظيم حفلات الأمبراطور الضخمة وإقامة الاجتماعات) البلاط الملكي في الداخل (المكان الذي يعيش فيه الأمبراطور والملكات ومعالجة شؤون الإدارة اليومية). ولكي تتكيف مع دورها فإن شكل بنايات الجزء الأمامي بالخارج تؤكد على الفخامة والجمال والعظمة فهي ترمز إلى علو مكانة الأمبراطور التي لايضاهيها علو؛ أما البلاط الملكي بالداخل فتغلب علية روح المعيشة فأكثر البنايت فناءات





قاعة تايخا بالقصر الإمبراطوري

منفردة ومزينة بالمكاتب والأجنحة وأشجار الورد والصخور وغيرها.

ويتكون الجزء الأمامي من ثلاثة قاعات رئيسية هم تايخديان وجونغخديان وباوخديان، فهي بذلك «الثلاث قاعات الكبرى» . فهي مصفوفة جميعا على مصطبة شومي تسوه وهي ثلاث طبقات من صخور الرخام الأبيض محاطة بحاجز منحوت بشكل جميل و سياج . وأمام القاعة ساحة كبيرة تصل إلى حوالي ٢٠٠ متر تزيد من جو الفخامة والعظمة للمبني .

يتكون الجناح الرئيسي تايخديان من احد عشر غرفة، وهو أرقي القاعات مستوى في الصين ، فهو مشهور باسم « جناح العرش « . ويُستخدم جناح تايخديان في إقامة أضخم مراسم الأسرة الملكية: كإعتلاء العرش ، وعيد رأس السنة وحفل الإنقلاب الشتوي ، وحفلات أعياد الميلاد ومراسم إصدار القوانين وغيرها ، لذلك فإن الجناح ليس أمامه منصة كبيرة فقط بل أمامة ساحة كبيرة تبلغ مساحتها أكثرمن ٣٠ ألف متر مربع ، لتسع ١٠ ألاف شخص مجتمعين ، وتنظيم جميع أشكال وألوان الإحتفاليات. والمعروض على المنصة كل له مغزى وأسلوب مختلف: فالسلاحف النحاسية والكركي النحاسي يرمزان إلى الحكم الطويل والأمن الدائم للدولة والأستقرار الأبدي للجبال والأنهار ، فالمزولة هي آداة حساب الزمن وشه جيا فهو المقياس المعياري للرمزية .

وقاعة الوئام الوسطى هي مكان راحة الإمبراطور قبل الطقوس الضخمة؛ وقاعة الوئام الدائم هي القاعة التي يقيم فيها الملك المآدب لأمراء الولايات الخارجية كل عام في رأس السنة . وأيضا يقام فيه



إمتحانات القصر للعلماء . وإذا إتجهنا إلى الشمال من قاعة الوئام الدائم لمررنا بباب الصفاء السماوي الرائع وعندها يكون محيط الجزء الداخلي . والأجزاء الرئيسية في الجزء الداخلي هي قاعة الصفاء السماوي وقاعة وفاق السماء والرض وقاعة الطمأنينة الأرضية ويقعوا أيضا على الخط المحوري الأوسط. فقاعة الصفاء السماوي هي غرفة نوم الإمبراطور ترمز إلى السماء وتمثل الشمس أيضا؛ أما وقاعة الطمأنينة الأرضية فهي غرفة نوم الإمبراطورة وترمز إلى الأرض وتمثل القمر. وفي سنة في عهد جياجينغ لأسرة مينغ ، وطبقا لقول « الوئام بين السماء والأرض والإنسجام بين القمر والشمس « بُني بين القاعتين قاعة الوئام ، وبهكذا أحدثت نمط المراسلة بين الثلاث قاعات الداخلية والثلاث قاعات الخارجية . وبحسب الآداب فإن مستوى بناء القاعات الداخلية يقل درجة عن الخارجية ، لذلك تكون المضيفة هنا من طابق واحد ، و يبدو مقياس القصر صغيرا أيضا وهو مفعم بالحيوية . ويوجد بالجانبين الشرقي والغربي للقاعات الداخلية مسكن الوصيفات ستة قاعات على الجانب الشرقي وستة قاعات على الجانب الغربي ، وهذه الاثنتي عشر قاعة متبوعة باثني عشرة نجم ، ويحيطون بقاعة الصفاء السماوي و قاعة الطمأنينة الأرضية رمز السماء والأرض

قصر تشن يانغ لأسرة تشينغ

قصر تشن يانغ هو قصر إمبراطوري لحكام أسرة تشينغ قبل التنصيب ، وأيضا قصر تشن يانغ الإمبراطوري وعند قيام إمبراطور أسرة تشينغ بعد تشيانلونغ بدورية لزيارة مقابر الاجداد أتخذ منه أيضا قصر للإمبراطورية في شينغجينغ، فهو يمتاز بالأماكن القوية والبنايات المميزة والسمات القومية الغنية . وينقسم القصر إلى ثلاثة أجزاء : الممر الشرقي والممر الأوسط والممر الغربي، فهي مصممة على ثلاث محاور عمودية على التوالي.

يتخذ الممر الشرقي من داتشنغديان وشيوانغتينغ أساسا له ، فهو المكان الذي يقيم فيه أباطرة تشينغ الأحتفالات الكبرى ومقابلة أمراء الولايات لمناقشة أمور الدولة . فهذا المبنى كسر شكل الفناء التقليدي الصيني ، يواجه داتشنغديان وسط المساكن الجنوبية ، ويتخذ شيوانغتينغ من الجناح الشمالي لوانغتينغ والجناح الأيمن لوانغتينغ مقدمة له مقسمة إلى سلسلتين مفتوحتين ، وأمام داتشنغديان ترتيب متناظر على شكل 八 على الطريق المحوري المتشكل على طول الطريق الملكي من الشمال إلى الجنوب ومحاط بساحة مجمعة على شكل سلمي .وعلى الجانب الشرقي للجناح الشمالي لمقصورة الملك تحولت إلى مقصورة شيانغ ذات العلم الأصفر ومقصورة تشنغ ذات العلم الأبيض ومقصورة شيانغ ذات العلم الأبيض ومقصورة تشنغ ذات العلم الأزرق ؛ وعلى الجانب الغربي للجناح الأيمن لمقصورة الملك تحول إلى مقصورة تشنغ ذات العلم الأصفر ومقصورة تشنغ ذات العلم الأحمر ومقصورة شيانغ ذات العلم





قاعة داجينغ بالقصر الإمبراطوري بمدينة تشينغ تشهنغ يانغ

الأحمر ومقصورة شيانغ ذات العلم الأزرق ، لتبرز موقع داتشنغديان المركزي . وتمثل المقصورات ذات الأعلام الثمانية نظام «الثمانية أعلام « الفريد لقومية مان في عصر أسرة تشينغ : فكل أهل قومية مان يندرجون تحت الأعلام الثمانية وتحت حكم وأمر الإمبراطور ؛ وتنظيم جناح داتشنغديان ومقصورات الملك العشرة يؤكد على طريقة إعداد الخيام لتحالف الجيش في قومية مان المفتوحة ، ويعكس تماما سمات السلطة في قومية مان .

والممر الأوسط هو البناء الأساسي في قصر تشن يانغ الإمبراطوري . وباب دا تشينغ الجنوبي هو الباب الرئيسي ، وبدخول الباب الرئيسي والمرور بالطريق الملكي يمكن الوصول مباشرة إلى القاعة الرئيسية تشونغ تشنغ ديان . وقاعة تشونغ تشنغ ديان التي تقع على المضيفة التي على شكل قاعدة شومي هي أكبر مبني بطابق واحد فى القصر ، وهي مكان الاجتماعات اليومية ومعالجة الشؤون الحكومية ، فبنائها ينصهر فيه بعض طرق بناء قصور قومية هان (مثل المضيفة التي بقاعدة شومي ، والأسقف ذات القرميد المزجج ، والأبواب الجرارة الملونة بالطلاء الأحمر وغيرها) وأشكال تزين أطناف معابد اللامية بمنطقة التبت وتشانغ ، وبه أيضا فخامة قصر الملك خان، وقداسة المعابد الدينية وتبرز ايضا الألوان القوية للمناطق الشعبية ، فهي الفريدة بين أبنية القصور الصينية القديمة .

وخلف البلاط الملكي الداخلي توجد حديقة رباعية فهي تقع على مرتفع مثل القلاع فهي قوية دفاعيا ، وهذه هي العادات التي اتبعتها القوميات في حالة الحرب . ويقع برج البوابة في الجانب





الحديقة الخلفية للقصر الأمبراطوري بمدينة تشينغ تشهنغ يانغ

الجنوبي لبرج العنقاء ، وهو أيضا مكان راحة الإمبراطورة وأيضا مكان تلقي العلم ، فيبلغ إرتفاعها ثلاث طوابق ، ولها شرفات من الجوانب الأربعة وفي كل طابق القرميد المزجج الأصفر والأخضر والأعمدة والنوافذ والدرابزين الملونة بالطلاء الأحمر ، فهي تظهر رائعة الجمال تحت السماء الزرقاء والسحب البيضاء . وقاعات النوم الخمسة اللاتي خلف برج العنقاء أكثر مجسّدا لملامح مساكن قومية مان ، وخصوصا القاعة الوسطى تشينغ نينغ قونغ . فبابها الرئيسي غير مفتوح على الوسط بل وسط الجانب الشرقي وبدأ في الأنتشار منذ سلالة لياو والعصر الذهبي ، و شكل المباني السكنية أختلط بالحياة اليومية والمعتقدات الدينية لأهل قومية مان في كيان واحد، وسُمي « الغرف الجيوبية «؛ وبداخل الغرفة « منعطفات كانغ « المتصلة من الثلاث جهات الجنوب والغرب والشمال ؛ وطرق تزيين غرف النوم تحافظ بشكل كبير على الروح

«سارية سولون» بالقصر الإمبراطوري بمدينة تشينغ تشهنغ يانغ



القومية البسيطة.

وامام الباب الرئيسي لقصر تشينغ نينغ ينتصب عمود خشبي ملون بالطلاء الأحمر، ووضع هذا العمود الخشبي على قاعدة من الرخام الأبيض ، ومثبت على قمته دلو من القصدير فهو « عمود سولون» و «العمود الروحي» لتقاليد قومية مان في تقديم القرابين للسماء وهو أيضا العلامة الأساسة لمنازل قومية مان . وحسب تقاليد قومية مان عند استخدام ذلك العمود في تقديم القرابين للسماء يجب وضع سقط الخنزير المفتت والمقطع في الدلو القصديري العلوي لتطعم منها الغربان لتكون قربانا للسماء . وهذه العادة كان مصدرها أسطورة شائعة : حيث يحكى أن مؤسس أسرة تشينغ نورهاتشي (١٥٥٩-١٦٢٦) تعرض للمطاردة في مطلع العمر، وفي الحقيقة لم يكن هناك طريق للهرب ، فنام في خندق من القش ينتظر مصيره من السماء ، في هذه اللحظة جاءت مجموعة من الغربان فجأة وحطت على جسده وغطت جسده تماما ، وبذلك نجا نورهاتشي . وبعدها أسس نورهاتشي السلطة السياسية لقومية مان ولكي يرد الجميل للغربان التي أنقذت حياته في ذلك العام ، أمر عامة سكان قومية مان أن ينصبوا أعمدة خشبية في باحات منازلهم ويثبتوا عليها دلو من القصدير لتقدم أشهى الأطعمة كأضحية للغربان ، لذلك يرى الناس حاليا عمود سولون في القصر الإمبراطوري .

وتنظيم الممر الشرقي أيضا على إمتداد الخط المحوري الأوسط ، ويوجد فيه خمس ساحات، ويوجد مسرح وقاعة جياين ويانغ شي تشاي وغيرها من الأبنية . وأهم المباني الثقافية هو نادى للكتاب ، ومن بينها احد مخطوطات الجزء السابع «الكتاب الكامل في فروع الأدب الأربعة» التي تم تعديلها لأكثر من عشرة مرات في عهد تشيان لونغ .

بناء المعابد

تنقسم المعابد الصينية القديمة إلى ثلاث أنواع: النوع الأول لعبادة إله الطبيعة، وهي مستمدة من العبادة البدائية لجبال وأنهار الطبيعة، وتشمل السماء، الأرض، الشمس، القمر، السحب والرياح والعواصف الرعدية، وشى جي (آلهة الأرض)، إله الجبال، إله الأنهار وغيرها؛ والنوع الثاني لعبادة الأجداد والأسلاف، وهو لتقديم القرابين لأجداد الحاكم ويسمى معبد أجداد الأباطرة، ويقوم موظفو الحكومة بجميع مستوياتهم وفقا للنظام ببناء معبد الأجداد ومعبد تذكاري بأبعاد مناسبة؛ أما النوع الثالث هو معابد الحكماء السلف مثل معبد كونفوشيوس، معبد ماركيز، معبد قوان دي وغيرها.

طقوس العبادة هي نظام سياسي هام للعائلات المالكة بنظام العبودية ونظام الإقطاعية، وتنقسم مراسم تقديم القرابين للآلهه إلى مراسم كبيرة، ومراسم متوسطة، ومراسم صغيرة، وطقوس تقديم القرابين



بها بعض الاختلافات، ولكل مستوى من مستويات تقديم القرابين أحكام ومتطلبات صارمة ومفصلة للذبيحة، والأعلام والرايات، والموسيقى والرقص والأشكال المعمارية التي يمكن استخدامها. وقد كان الهدف الرئيسي من بناء المعابد هو اشباع الجانب الروحي، وهذا يتطلب تجسيد كامل لسمو وعظمة من يُقدم له القرابين، ومهابة وقداسة طقوس تقديم القرابيين. لتشكيل المعرفة العقلانية لدى الناس بمن تُقدم له القرابين، وتعزيز شعورهم بالقداسة، وعادة تستخدم الأشكال والأرقام في بنايات المعابد رمزا لدلالات سياسية أو أخلاقية.

وهناك ثلاث عبادات مهمة كان يشارك فيها أباطرة الصين القدامى بأنفسهم وهي: تقديم القرابين إلى السماء والأرض، تقديم القرابين إلى إله الأرض، تقديم القرابين لمعابد السلف. ولذلك فإن بناء المعابد هنا يشير في الأساس إلى معبد السماء، معبد إله الخيرات، معبد أجداد الأباطرة.

معبد السماء --- مكان مقدس لتقديم القرابين إلى السماء

يعتقد الصينين القدامى أن الأباطرة هم ابناء السماء، فتمكنهم من حكم البلاد هو حق وهبهم الرب لهم، لذلك فإن أعظم طقوس العبادة مهابة هي عبادة السماء. فيقوم الأباطرة بتقديم القرابين للسماء في يوم الانقلاب الشتوي كل عام، وعند اعتلاء العرش يجب أيضا أن يصلي ويعلن للسماء والأرض، تعبيرا عن «اتباع أوامر السماء».



تعد قاعة يوانتشيو وقاعة خوانغتشيونغ يو وقاعة تشيننيان هم الثلاث مباني الرئيسية بتيانتهان وتقع على نفس الخط المحوري من الجنوب إلى الشمال.

يقع المعبد السماوي لتقديم القرابين جنوب مدينة بكين، فقد تم تحديد موقعه في عهد أسرة يوان، ثم قام أباطرة أسرة مينج وتشينج بتقديم القرابين إلى إله السماء والأرض في هذا المكان، ويصلون صلاة الحصاد.

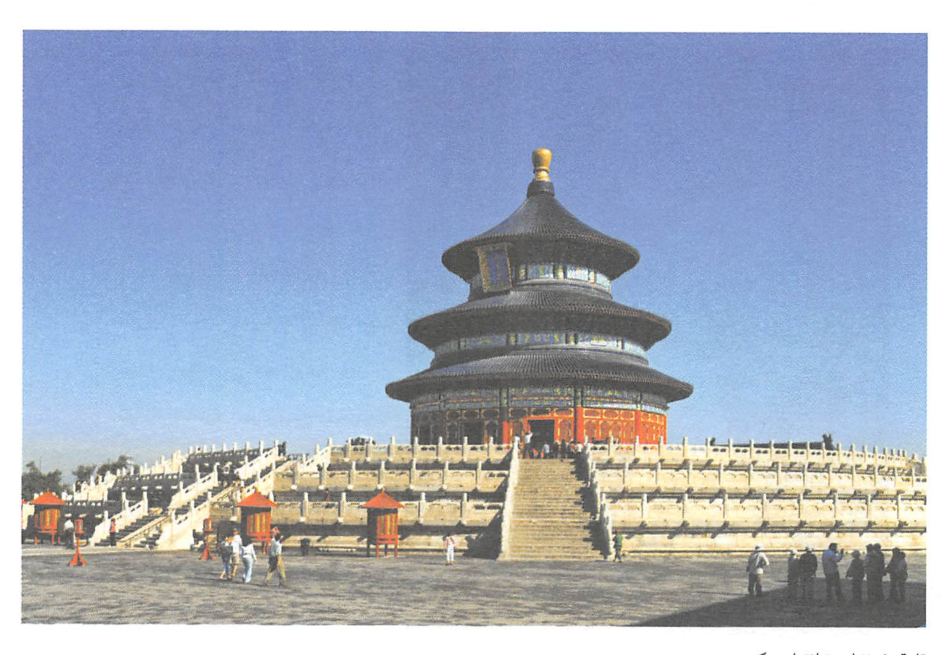
يبلغ طول معبد السماء من الشرق إلى الغرب حوالي ١٧٠٠



متر، ومن الشمال إلى الجنوب حوالي ١٦٠٠ متر، و الجدران مكونة من طبقتين، وتكون جميعها الجدران الشمالية مستديرة و الجنوبية على شكل مربع، لترمز إلى القول القديم بأن «السماء المستديرة والأرض مربعة» . وينتشر شجر السرو داخل معبد السماء ، بصفة خاصة على شمال وجنوب الخط المحوري ومجموعة المباني والمجاورة ، بل وتتصل هامات الأشجار، لتظلل معبد السماء بشكل غاية في المهابة والجلالة.

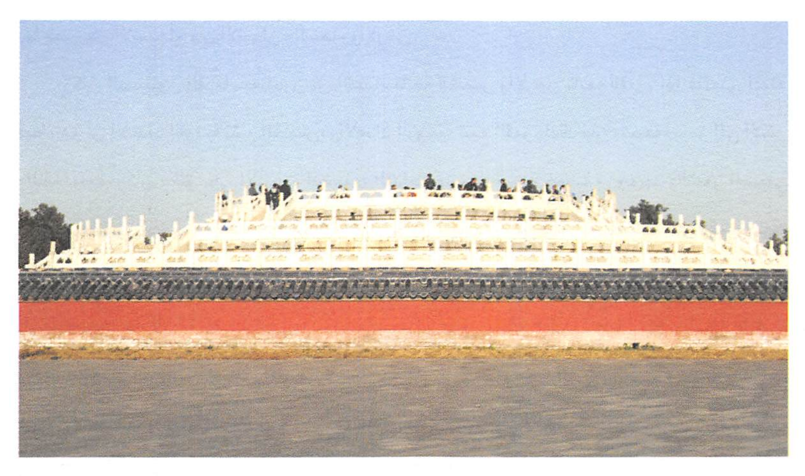
ومن البنايات الرئيسية على الخط المحوري الأوسط معبد يوان تشيو وقاعة تشينيان، كل منهم له بنايات تابعة له، يربط بينهم «جسر دان بي» ذو الطريق المبني بالطوب والذي يبلغ طوله ٣٦٠ متر وعرضه ٣٠ متر.

قاعة تشينيان كانت تسمى قاعة العبادة الكبرى أو تشي قو تان، تقع في الطرف الشمالي لجسر دان بي. ترتكز القاعة على منصة من الرخام الأبيض الصيني من ثلاث طبقات، سطحها مستدير ، وذات سقف دائري مدبب وأفاريز من ثلاث طبقات، وفوقها يوجد سطح ذهبي رائع يدهش الأبصار. المظلة الزرقاء العليا ترمز إلى السماء، والمظلة الصفراء الوسطى ترمز إلى الأرض، أما المظلة الخضراء السفلى تشير إلى كل ما فوق الأرض، وفي عهد الإمبراطور تشيان لونغ من أسرة تشينغ تم تعديل طبقات الإفريز الثلاثة لتصبح كلها زرقاء اللون، ولتجعل قاعة تشينيان كلها ذات تدرج لوني واحد ونقي، فتصبح أكثر



قاعة تشيننيان بتيانتهان ببكين





تعد قاعة يوانتشيو هي المبنى الرئيسي في تيانتان ومكان الأمبراطور لتقديم القرابين.

مهابة وإشراق. يوجد بالقاعة ١٢ عمود ترمز إلى ١٢ ساعة، وهناك ١٢ عمود خارجي تشير إلى ١٢ شهر، وبإضافة الاثنين معا ترمز أيضا إلى ٢٤ يوما شمسيا محددا، أما أعمدة التحميل الأربعة بان لونج ذات القباب فتشير إلى فصول السنة الأربعة. وترتفع الساحة الأمامية عن سطح الارض أكثر من ٤ أمتار، لتزيد من ارتفاع المنصة ذات الطبقات الثلاثة، وهذا يجعل من يقف هناك___يتجاوز بنظره إلى ما خارج ذلك البحر من الغابات الخضراء الغنية المورقة، مما يولد لديك شعور لاإرادي بالمهابة والسكون. تضم القاعة أيضا قاعة اللوحات الجنائزية، مطبخ الإله، خزانة الإله، غرفة ذبح الحيوانات وغيرها من البنايات الثانوية الصغيرة، والتي تختفي في الجزء الخلفي للقاعة أو تكمن وسط الغابات. جنوب القاعة توجد بوابة تشينيان، المسافة بينهم مصممة بعناية بحيث عندما تتطلع من بوابة تشينيان إلى قاعة تشينيان تجد إطار هذا المنظر في المنتصف تماما بين عمود البوابة والهيكل المتعدد الأفاريز.

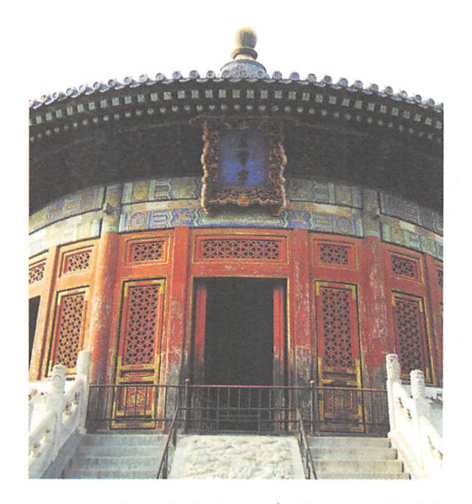
و بالاتجاه شمالا بمحاذاة جسر دان بي مباشرة ستتصل إلى يوان تشيو. يوان تشيو هو مكان تقديم القرابين إلى السماء، وهو الأعلى مستوى بين جميع العبادات. تم البدء في بنائه في عهد الإمبراطور تشيا تشينج أحد أباطرة أسرة مينج (١٥٣٠) واستغرق بناؤه تسع سنوات، وأعيد بناؤه في عهد الإمبراطور تشيان لونج في عهد أسرة تشينج (١٧٤٩) واستغرق أربعة عشر عاما. ونظرا لأن عبادة السماء لابد أن تكون في الهواء الطلق، لذلك فقط يوجد مصطبة حجرية مستديرة بثلاث طبقات، تُبنى السلالم من أجود أنواع من الرخام الأبيض الصيني. هذا النوع من المذابح المكشوفة هو نوع خاص من البنايات الصينية القديمة، يختلف كثيرا عن البنايات الداخلية والخارجية للمعابد ، فهي لا تسعى وراء أسرار الآلهه وتقييدها، بل وتبرز اتساع وعظمة الطبيعة؛ فهي لا تصل إلى ضخامة تماثيل الآلهه المهيبة، كما أن طقوس العبادة



بها تعبر عن الانسجام بين الانسان والسماء والأرض.

وكان الصينيون القدماء يعتقدون أن السماء تابعة للشمس والأرض تابعة للقمر، إذا فالمعنى الممتد لهذا، هو أن الأعداد الفردية تتبع الشمس، والأعداد الزوجية تتبع القمر. لذلك فإن «تسعة» يرمز إلى الأكبر واللاحدودية، وكان يطلق على الأباطرة الصينين القدامى «تبجيل تسعة خمسة «، ويوجد بالشعر الصيني القديم «أقاصي السماء»، «السماء التاسعة» ، «السحابة التاسعة» وغيرها من المسميات، فإن رقم «تسعة» التي يوجد بتلك العبارات يرمز إلى هذا المعنى. ومن ثم فإن جميع أبعاد تصميم مذبح يوان تشيو و القطع الحجرية به بأعداد فردية مضاعفات العدد «تسعة». وقياس قطر سطح الطبقة العليا للمنصة تسعة تشانغ، وقد أُستخدمت تسعة حلقات من الأحجار المستديرة على شكل مروحة بداية من الصخرة المستديرة التي هي مركز المنصة باتجاه المحيط الخارجي، والحلقة الأولى بها تسعة قطع، والثانية بها ثماني عشر قطع، وبعد ذلك تزداد عدد القطع بكل حلقة تصاعديا بمضاعفة العدد تسعة. والطبقة المتوسطة والطبقة السفلى كل بها أيضا تسع حلقات، كل حلقة بها مضاعفات العدد تسعة. ينتصب عند كل طبقة من طبقات المنصة الحجرية أربعة بوابات، يوجد أمام كل بوابة سلم مكونا من تسع درجات، كما يزداد كل جانب من جوانب السور تدريجيا مضاعفا للعدد تسعة.

الجزء الشمالي لمعبد يوان تشيو هو قاعة هوانغ تشيونغ يو لتخزين وتقديم الأضاحي عليها النصب الجنائزي «إله السماء» ، وهو بناية دقيقة ورائعة البناء. يلتف حول قاعة هوانغ تشيونغ يو ذات السقف المستدير المدبب ذو الأفريز الواحد جدار عالي قطره ٦٣ مترا، عندما تتطلع من مدخل الباب المقوس المبني بالحجارة إلى قاعة هوانغ تشيونغ يو ستجد أيضا داخل إطار البوابة تماما تكونت صورة كاملة. الجدار المحيط بهوانغ تشيونغ يو بني بالحجارة المصقولة بشكل متقابل، ونظرا لدقة وروعة البناء، فإن الجدار المقوس المستدير قادر على إنتاج صدى صوت رائع، وهو ما يطلق عليه «جدار الصدى».



قاعة خوانغتشيونغ يو التي أسست عام ١٥٣٠ ميلادية.

وبالإضافة إلى قاعة تشينيان و معبد يوان تشيو، يوجد في المعبد السماوى ايضا مجموعة من البنايات: قاعة الصوم، قاعة العزف للآلهه، قاعة الأضاحي. وتعبيرا عن القلب الورع والمعاني المقدسة في تقديم القرابين إلى السماء. لابد أن يتواجد

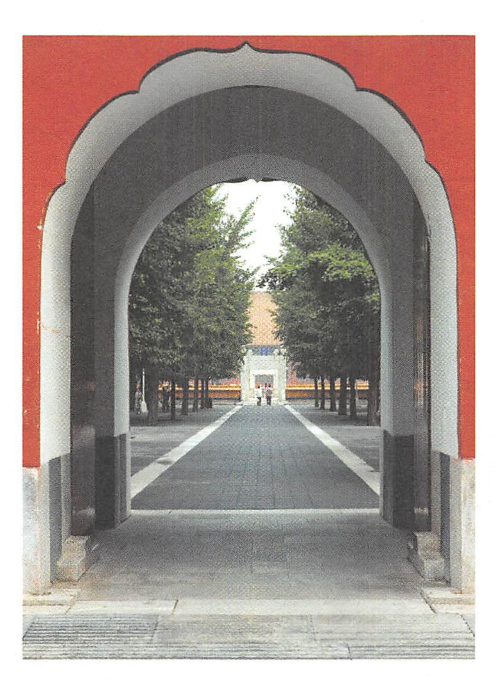


الإمبراطور في قاعة الصوم عشية تقديم القرابين ليستحم ويمتنع عن اللحم والخمر إلخ، ومحاطة قاعة الصوم بخندق وسور وغيرها من الإجراءات الدفاعية. وقاعة العزف للآلهه هي هيكل دائم، حيث بها مئات من فرق الموسيقى والرقص، يقومون في الأوقات العادية بالتدرب على العروض، وعند تقديم القرابين يتخصصون في عزف الموسيقى وإبداء الصقوس الصينية. أما قاعة الأضاحي فهي المكان المسؤول عن إعداد الذبائح المستخدمة في طقوس تقديم القرابين.

معبد شى جي --- مذبح تقديم القرابين إلى إله الأرض وإله الحبوب

يعد معبد شي جي مذبحا لتقديم القرابين وذو أهمية وطنية، يقع غرب بوابة الهاجرة بالمدينة المحرمة، ترسل القرابين في الشهر الأوسط بين الربيع والخريف من كل عام، والصلاة إلى السماء من أجل حماية سلطة الدولة.

شى جي هو إله الأرض. شى هو إله خمس أراضي: الأرض الخضراء الشرقية، الأرض الحمراء الجنوبية، الأرض البيضاء الغربية، الأرض السوداء الشمالية، الأرض الصفراء المركزية، لذلك كان يغطى معبد شي جي بالألوان الخمسة للأرض حسب الاتجاه ، كرمز إلى أتجاهات الأرض الخمسة، وليشير إلى معنى «كل الأراضي تحت السماء تخص الملك» ؛ أما جي فيشير إلى إله الأرض وهوالذي يمكنه جعل الحبوب تنمو، فهو إله الزراعة. تقديم القرابين إلى «شى» و«جي» يعبر عن سلطة حكم الأباطرة في العصور القديمة لشعوب أراضيهم، كما يعكس طبيعة المجتمع الصيني القديم في أتخاذ الزراعة كأساس لبناء الدولة.



شيجيتان, هوالمكان الذي كان يقوم الإمبراطور بتقديم القرابين لإله الارض والحبوب الخمسة فيه في عهدي أسرة تشينغ ومينغ الملكيتين, ولقد أسس في عام ١٤٢١ ميلادية. ويطلق عليه الأن حديقة جونغشان ببكين.

يتكون المذبح من طابقين على شكل مربع. مع وضع الطوب المطلي بالمينا الملونة باللون الخضر، الأحمر، الأبيض، الأسود حسب الاتجاه على



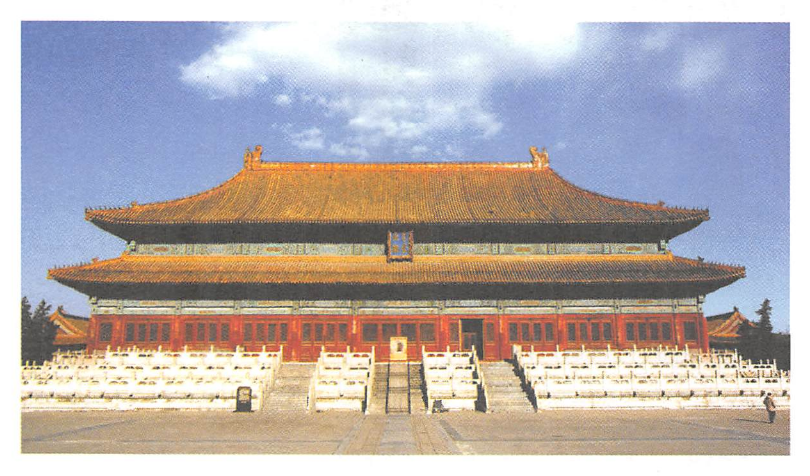
سطح الجوانب الأربعة بالمثل.

وإذا كان يوم تقديم القرابين إلى شى جي يوم مشمس، تكون طقوس التقديم في الهواء الطلق، أما إذا كان يوم ممطر فتقام الطقوس داخل المعبد. بحيث يكون اتجاهها معاكس لأتجاه معبد السماء، ويكون وضع القربان من الشمال إلى الجنوب، ولذلك توجد قاعة تقديم القرابين وقاعة الصلاة في الناحية الشمالية لمذبح تقديم القرابين، والمدخل الرئيسي يوجد في الشمال أيضا.

بالإضافة إلى معبد السماء ومعبد شى جي، يوجد في بكين أيضا معبد الأرض في شمال المدينة ومعبد الشمس في الشرق، ومعبد القمر في الغرب.

معبد أجداد الإمبراطور --- مكان تقديم القرابين لأسلاف اللأباطرة

معبد أجداد الأباطرة هو بناء مقدس يقدم فيه أباطرة الصين في العصور القديمة الأضاحي والقرابين إلى الأسلاف، كما يعد علامة هامة من علامات توريث السلطة الإمبراطورية في المجتمع الإقطاعي ، حيث يولي اهتمام كبيرا للأسر المالكة في العصور القديمة. ووفقا للآداب التقليدية، يقع معبد أجداد الأباطرة في الجهة الجنوبية الشرقية للقصرالإمبراطوري (قديما كان الشرق هو جهة اليسار، الغرب هو جهة اليمين)، وهو ما تشير إليه كلمة «الأجداد» الموجودة في تصميم العاصمة القديمة على نهج «معبد الأجداد يسارا، معبد إله الأرض يمينا»؛ وتقام به مراسم ضخمة لعبادة الأجداد كل عيد رأس السنة، موسم مينج تشينج، موسم تشونج يوان (الخامس عشر من شهر سبعة بالقويم القمري الصيني)، عشية رأس السنة، مهرجان العمر المديد (عيد ميلاد الإمبراطور أو الإمبراطورة الأم).



القاعة الأمامية لمعبد أجداد الإمبراطور



يحاط معبد أجداد الأباطرة في بكين بجدار سميك محكم الغلق يبلغ أرتفاعه ٩ متر. ويتوسط الجدار الجنوبي بوابة مفتوحة، مرصعة بالمينا الملونة، تقع على منصة من الحجر الأبيض، برسومات غنية، وألوان مشرقة، لتشكل تناقض صارخ مع الجدار الرتيب المستقيم. يحاط معبد أجداد الأباطرة بأشجار السرو والصنوبر المزروعة في كل مكان، حيث يحيط بتلك القاعة الضخمة اللون الأخضر الداكن من كل ناحية، ليزيد المكان مهابة ووقار وجلال.

كان الصينيون القدماء يعتقدون في خلود الروح، لذلك كانوا يقومون بتقديم القرابيين إلى معبد الأسلاف فجاءت أشكاله المعمارية تتفق تماما مع تصميم وشكل مسكن الإمبراطور خلال حياته، بما يعني أن «في الأمام قاعة وفي الخلف ضريح»: أي في المقدمة القاعة الرئيسية، حيث تقديم القرابين والصلاة؛ وفي الخلف قاعة التوابيت، حيث تقديم القرابين إلى أرواح الأجداد. بنيت القاعة الرئيسية لمعبد أجداد الأباطرة ببكين على أعلى مستوى من المباني الملكية الإقطاعية، وهي تقع على منصة من ثلاث طبقات، أحدى عشر غرفة بقمة وو ديان متعددة الأطناف، والسطح من القرميد المزجج، على نفس المستوى لقاعة تايخديان بالقصر الإمبرطوري، فقط على نطاق أقل. وتخصص أمام القصر ساحة واسعة ومنصة كبيرة لاستخدامهم في إقامة طقوس تقديم القرابين؛ أما كرسي العرش فيقع داخل المعبد. أثناء تقديم القرابين توضع اللوحة الجنائزية لأجداد الإمبراطور عليه كرمز لهم، وفي الأيام العادية يتم وضع هذة اللوحات الجنائزية في الضريح خلف القاعة الرئيسية. هذا الضريح به جدار يتجه ناحية الشمال يفصل منطقة توضع بها اللوحات الجنائزية للأجداد الذين علاقتهم بالأباطرة الحاليين أبعد نسبيا، يطلق عليها «معبد الأجداد الأبعد».

بنايات المقابر

ظهر في تاريخ الصين من أوله إلى أخره ٥٠/٦٠ أسرة ملكية، وقد كان من بينهم الأسر الملكية الموحدة، كما كان هناك النظام الإنفصالي. وبعد موت حكام تلك الممالك والأنظمة الحاكمة يُدفن الجزء الأكبر منهم في مقابر فاخرة، وبنى كثير من الحكام عندما تولوا الحكم مقابر لهم. وطبقاً للإحصائيات فإن هناك ما يقرب من ٣٠٠/٤٠٠ مقبرة للطبقات الإمبراطورية منتشرة في العشرات من مناطق الحكم الذاتي بالمقاطعات والمدن الصينية.

وقد كان شكل الدفن في العصور الصينية القديمة بسيط جداً. حتى عهد أسرة شانغ حيث أولت أهمية كبيرة لنظام الدفن، وفي عهد أسرة تشو قاموا بإدراج نظام الدفن والجنازة في نطاق نظام طقوس المحكمة الإمبراطورية إلى أبعد حد، وانتشر تدريجياً في طبقة الحكام التي تبعتهم.



وتنقسم المقابر عادة إلى قسمين تحت الأرض وفوق الأرض. فتحت الأرض هو الجزء الخاص بوضع النعش في القبو، وقد تطور الهيكل الخشبي البدائي إلى هيكل من الطوب. وفي عهد أسرتي تشين وهان بدءوا في الأعمال اليدوية لبناء وتشكيل المقابر العالية والضخمة، ففي القمة زُرعت شجرة السرو التي كانت في جميع أنحاء المكان، والتي كانت ترمز إلى الغابة الجبلية، وقد كان يطلق على مقابر الأباطرة القدامى اسم «المقابر الملكية « وتسمى أيضاً « الضريح «، وبذلك ظهرت وتشكلت. وعلى العكس من ذلك ففي عصر أسرة تانغ غالباً ما كانت « تُبنى المقابر وفقاً للجبال والغابات»، حيث أنهم في كثير من الأحوال كانوا يستغلون التلال الطبيعية بطريقة مباشرة لبناء المقابر. أما الجزء الخاص بفوق الأرض فهو سلسلة من الزخارف المزينة لمنطقة الأضرحة التي تشير إلى التشكيل المحيط بالمقبرة، كما كان هناك نظام متكامل من اختيار التضاريس وحتى اختيار المدخل والطريق (الشنتو) وبنايات تقديم القرابين والتشجير إلخ، وكل شيء كان به نظام مثالي ومتكامل.

ونظراً لإنقضاء سنوات طويلة فقد حُفر القبو السفلي للمقابر الإمبراطورية عدة مرات وتم سرقتها. وتركوا جميع الملامح إلى حد ما بشكل كامل، حيث كان هناك فقط بنايات مقابر العائلة الإمبراطورية لأسرتي مينغ وتشينغ، فقد كانت مقابر العائلة الإمبراطورية بمينغ وتشينغ من أنضج وأبرع النماذج كما أنها من أبرز الصور الفنية لبنايات المقابر الصينية.

مقبرة أول أباطرة أسرة تشين --- مملكة غامضة تحت الأرض

من بين العديد من بنايات المقابر احتلت مقبرة أول أباطرة أسرة تشين مكانة هامة للغاية. حيث تعد أول مقبرة إمبراطورية في تاريخ الصين، كما أنها من أعظم مقابر الأباطرة. ومهما ذُكر في الوثائق القديمة بالنسبة لوصفها، فإن المقبرة العظيمة الموجودة والمدكوكة على سطح الأرض وحُفرْ تماثيل الجنود والخيول الصلصالية التي أظهرها التنقيب الأثري قادرين على جعل أغلبية الأشخاص يشعرون بالدهشة والإنبهار.

ويُعد أول أباطرة أسرة تشين الذى يلقب ينغ ويسمى تشنغ واحد من الملوك العظام في تاريخ الصين. فمنذ عام ٢٣٠ قبل الميلاد وحتى عام ٢٢١ قبل الميلاد قام بإبادة الممالك الست هان ووي وتشو ويان وتشاو وتشي، كما أسس أسرة تشين والتي تُعد أول دولة موحدة ذات نظام مركزي استبدادي للأعراق المتعددة في تاريخ الصين . و يعتقد بأن إنجازاته هى أعلى حتى من إنجازات الخمس ملوك والأباطرة الثلاثة الذين جاء ذكرهم في الأساطير القديمة، ولذلك حاز على اللقبين « الملك والأمبراطور هوانغ دي»، كما أُطلق عليه لقب «الإمبراطور الأول».

وبعد توحيد الصين، قام بإتخاذ سلسلة من الإجراءات للتنمية الاقتصادية والسياسية: حيث قام بوضع نظام المحافظات والولايات ونشر قانون موحد وأوزان ومقاييس ومكاييل وكتابة موحدة، بالإضافة





تطل على ضريح تشينشي خوانغ

إلى قيامه ببناء سور الصين العظيم. وفي ظل هذه الظروف قام بإستخدام جميع القوى العاملة في البلاد والموارد المادية لبناء مقبرته، والتي استغرق بناءها أكثر من ٣٠ عاماً.

وتقع مقبرة السيرة الذاتية لأول أباطرة أسرة تشين على سفوح التلال الشمالية للينتونغ لي شان بمقاطعة شنشي. فالمقبرة عبارة عن منصة مدكوكة مكونة من ثلاث طوابق على شكل مخروطي مربع وعريض، فطولها من الشرق إلى الغرب ٣٤٥متر ومن الشمال إلى الجنوب ٣٥٠ متر، والإرتفاع الأصلي لها حوالي ١٢٠متر، ولكن مع مرورها بعوامل التعرية من رياح وأمطار لأكثر من ٢٠٠٠عام أصبح إرتفاعها في الوقت الحالي حوالي ٥٠ متر. أما الإطار الخاص بها فيحيط به اثنين من أسوار المقبرة، كما يعتبر المكان الذي على شكل رمز « هوي回 » للناحية الجنوبية الشمالية طويل إلى حد ما، ويبلغ طول المحيط الخارجي للمدينة أكثر من ٦٠٠٠متر، أما المحيط الداخلي لها فيبلغ طوله أكثر من ٢٠٠٠متر. وقد وُضعت في منتصف الجوانب الأربعة للسور المحيط ببوابة القصر الإمبراطوري علامات وإشارات، كما بُنى في جوانب الزوايا الأربعة برج حراسة. وتقع المقبرة في النصف الجنوبي من داخل المدينة، أي أن المقبرة تواجه الشرق. ومن خلال الحفر الآثري والبراهين والمعلومات الوثائقية، فإن الجزء الشمالي للمقبرة عبارة عن شيان ديان المستخدم في أعمال الأضاحي وتقديم القرابين في كل عام كما أنه مكان للمباني الملحقة.

إن مركز القصر الواقع تحت أرض المقبرة هو المكان الذي يوضع فيه تابوت الإمبراطور. وطبقاً لما هو مدون في << الوثائق والمدونات التاريخية · أول أباطرة هذا القرن>> ، فإنه يتم استخدام الزئبق في منتصف القصر ليُكون المئات من الأنهار والمحيطات، كما يُستخدم التدفق المستمر الناتج عن القوة الآلية



المحركة؛ وتكون قمة المقبرة مزينة بنموذج مصغر للأجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم وغيرها من الظواهر الفلكية، وتحت الأرض يتم وضع أسوار للمدن والمحافظات والولايات والمناظر الطبيعية وغيرها من المشاهد وفقاً لتضاريس الجبال والأنهار بالصين؛ كما يُستخدم في داخل المقبرة زيت السمندر العملاق لإضاءة الشموع، فإضاءة هذا النوع من الشموع تستمر طويلاً دون أن تُطفئ. وبعد موت الإمبراطور، يأمر الإمبراطور الثاني بأن تُدفن كل المحظيات التي توجد في القصر وليس لديها أولاد حية مع الموتى، وذلك لمنع تسرب الأخبار أو البوح بالأسرار، كما يُدفن جميع الحرفيين الذين قاموا ببناء القصر الواقع تحت الأرض في مقبرة واحدة.

وتضم الجوانب الأربعة لمقبرة أول أباطرة أسرة تشين على حُفر للمدفونيين مع الموتى وأكثر من ٤٠٠ قبو، حيث يتسع نطاقها ليصل إلى ٥٦,٢٥ كيلو متر مربع. وفي عام ١٩٧٤م قام علماء الآثار في خارج البوابة الشرقية للمقبرة بإكتشاف ثلاثة حفر لتماثيل الجنود والخيول الصلصالية التي دُفنت مع الموتى والتي هزت العالم، فجميعهم يجلسون ناحية الغرب ووجهتهم للشرق، ومنسقين على شكل مصنوعات أو منتجات جاهزة. ففي الحفر الثلاثة لتماثيل الجنود والخيول الصلصالية تم اكتشاف ما يقرب من عشرة آلاف قطعة من التماثيل الفخارية المصنوعة من الطين والمئات من الخيول الحربية وعربات الحرب المقادة والعديد من الأسلحة الحربية الفعلية وغيرها من الأشياء الثقافية والتاريخية. ومن بينهم الحفرة التي تحمل رقم واحد « للجيش الأيمن»، حيث قاموا بدفن ما يقرب من ٦٠٠٠قطعة من الخيول الفخارية وتماثيل



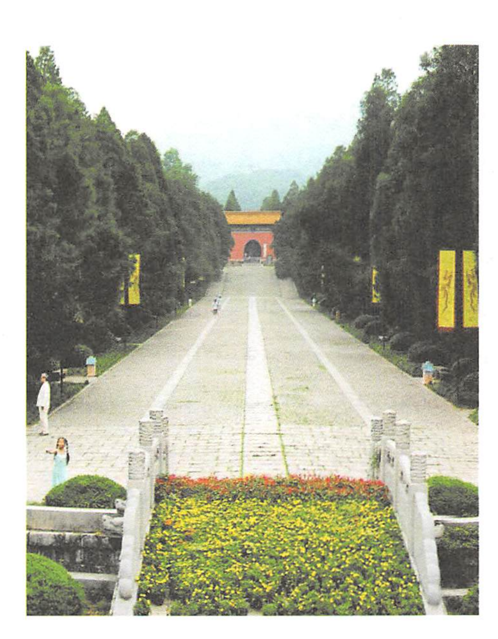
حفرة التماثيل الحربية الجنائزية الهائلة



الجنود الصلصالية الضخمة مع الأشخاص والخيول الحقيقة، كما قاموا بترتيبهم ليصبحوا تشكيل قتالي مكون من ٣٨ صف إلى جانب تقسيمهم إلى عدة أقسام وهى القوات الرئيسية والمقدمة الأمامية والجناح والحرس الخلفي، والتي كانت متوافقة تماماً مع قواعد توزيع القوات في كتب فنون الحرب القديمة؛ أما الحفرة رقم ٢ فكانت ل «الجيش الأيسر»، وكانت تضم أكثر من ألف قطعة من الخيول والتماثيل الفخارية وأكثر من ٨٠ صف من العربات الحربية، فهى مجموعة من الصفوف المتعرجة التي تكونت من إمتزاج جنود المشاة والفرسان وعربات الحرب وغيرها من أشكال فنون الحرب، كما انقسمت الأسلحة التي حملتها التماثيل الفخارية وفقاً لإختلاف مواضع القتال وأشكال فنون الحرب إلى القوس والقوس والنشاب والخنجر والرمح والمطرد والفأس والسيف وغيرها من الأسلحة المتعددة التي كانت جوهر حفر تماثيل أسرة تشين؛ أما أصغر الحفر فكانت من نصيب الحفرة رقم ٣، حيث كانت تضم ٦٨ صف من تماثيل المحاربين واثنين من صفوف العربات الحربية و٤ صفوف من الخيول الفخارية، كما كانت القائد العام للمقر الرئيسي لقيادة هذا الجيش الكبير الواقع تحت الأرض. فيمكن القول بأن هذا الجيش هو نموذج مصغر للمجموعات المنظمة لقوات جيش مملكة تشين.

مقبرة شياولينغ فى عهد أسرة مينغ --- ول مقبرة بأسرة مينغ

إن مقبرة شياو لينغ هى المقبرة التي دُفن فيها كلاً من الملكة ما والإمبراطور تشو يوان تشانغ الإمبراطور المؤسس لأسرة مينغ(فترة حكمه ١٣٦٨– ١٣٩٨)، كما أنها تقع أسفل قمة دولونغ فووان تجو بالجبل الأرجواني (تشونغشان) بنانجين.



ضريح مينغ شياو بنانجين

إن العصور الصينية القديمة كانت تولي أهمية كبيرة لاختيار مكان مقبرة الإمبراطور، حيث كانت تهتم بموقع المقبرة، التضاريس وأنماط المناظر الطبيعية المحيطة بها، كما أنها ربطت بين مزايا وعيوب بيئة المقبرة والسراء والضراء الإزدهار والإنحلال



فى حياة الإنسان، وبالتالي فإن الموقع الجغرافي لمقابر أباطرة الأسرة الحاكمة يجب أن يُحدد بعد القياس والإستكشاف الدقيق ، لتشكيل بناية لمقبرة إمبراطورية بها خصائص بيئية فريدة.

كما كان أصل مقبرة شياولينغ هو مقر سابق وقديم لمعبد وادي الروح، فبعد قيام الإمبراطور تشو يوان تشانغ بتحديد هذا المكان المليء بالبيئة الروحية لتكون مقبرته، قام بنقل المعبد لبناء المقبرة. كما استخدمت المقبرة جبل تشانغشان كعلامة وإشارة للمنطقة، وقد بلغ محيطها من حوالي ٢٠ /٣٠ كيلو متر، كما كانت على نطاق واسع. أما الجانب الأمامي للمقبرة فهى المنطقة الخاصة بالنزول من على الخيول، حيث نُقش عليها ٦ من الرموز الضخمة «الرجاء من السادة الموظفين النزول من على الخيول»، وذلك من أجل التعبير عن احترام الإمبراطور، فمن هنا يجب على كبار وصغار الموظفين أن يقوموا بالبدء في النزول من الخيول والسير على الأقدام. كما كانت شمال منطقة النزول من على الخيول قريبة من مدخل البوابة الذهبية الكبيرة للمقبرة، وعند السير في خط الشمال فتقع هناك «المدينة المربعة» ، والتي تضم في داخلها « نصب القداسة الإلهية» الذي بناه الإمبراطور يونغله مينغ تشينغ تسوه لوالده الإمبراطورتشو يوان تشانغ.

كما يمر شمال المدينة المربعة بجسر النهر الإمبراطوري الواقع فوق طريق المقبرة. حيث نُسق على جانبي هذا الطريق الشنتو أشكال لحيونات مصنوعة من الأحجار: كالأسود وتايتشي (حيوان خرافي صيني، كبير الجسم منه مثل البقرة وصغير الجسم منه مثل الخراف، يشبه اليونيكورن/ أحادي القرن، جسمه يغطيه شعر أسود كثيف، على جبهته قرن، يتميز بالذكاء وفهم طباع الناس) والجمال والأفيال والزراف والخيول، فقد كان عددهم اثنين كل منهما يقابل الآخر، كما كانوا في مواضع أفقية ورأسية، وإجمالي عددهم ١٢. وبعد المروربالحيوانات سيتحول الطريق إلى ناحية الشمال، فالوجه المقابل هى عبارة عن زوج من الأعمدة، ثم سنرى اثنين من التاكومي ووين تشين يقابل كل منهما الآخر. فهؤلاء الأعمدة والأنصاب الحجرية هى علامات مميزة للمقبرة، حيث تُستخدم للإشارة إلى هوية الشخص المتوفي، أما دور الحيوانات الحجرية فهو طرد الروح الشريرة من المدينة الملكية وحماية الهدايا والعطايا. وفي نهاية الطريق تقع بوابة لينغ شينغ.

وبعد تجاوز بوابة لينغ شينغ يتغير الإتجاه إلى الناحية الشرقية حتى جسر المياه الذهبية، فمن هنا نبدأ، فالخط المحوري الشمالي والجنوبي يقابل الذروة الرئيسية للجبل الأرجواني تشونغشان، بحيث تقوم حافة الخط المحوري بتهيئة بوابة مقبرة شياو لينغ

تسلسل المعلومات

كما يُطلق على الحيوانات الحجرية اسم التماثيل الحجرية العريقة والتي تشير إلى التماثيل الحجرية للأشخاص والحيوانات الموضوعة على جانبي الطريق والتي تقابل بعضها البعض. فهى نابعة من النقش الحجري للمقابر، والذي ظهر في فترة أسرتي تشين وهان وإزدهر في عصر أسرة تانغ وأسرة سونغ ووصل إلى ذروة إزدهاره في عصر أسرة مينغ وأسرة تشينغ، فهو واحد من الطقوس الهامة التي تُوضع أمام المقبرة الإمبراطورية. كما أن هناك عدد كبير من هذه الحيوانات الحجرية التي تُستخدم في تزيين وزخرفة المقبرة، إلى جانب طرد الأرواح الشريرة، وفي الوقت نفسه تُعد أيضاً رمز للقوة وتقود أسلحة الحرس وأعلامهم.



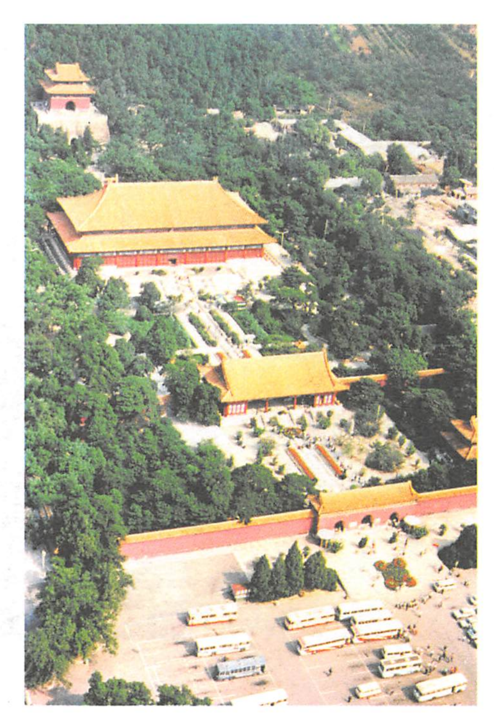
«نصب القداسة الإلهية» بمدينة سفانغ بضريح مينغ شياو.

وبوابة لينغ إن وقاعة لينغ إن (شيانغ ديان وهو المكان الذي تُجرى فيه أعمال تقديم الأضاحي و القرابين) ومبنى فانغ تشينغ مينغ، وبعبور النفق السفلي لمبنى فانغ تشينغ مينغ يقع الجزء الأخير للمقبرة وهو مدينة النفائس. كما تغلبت منصة المقبرة المختومة الضخمة بداخل مدينة النفائس والكنوزعلى تقاليد الاستخدام المتعدد للغطاء الذي على شكل قمع لأرض المقابرالمختومة لسرداب المقابر الواقعة خلال عصور أسرتي تشين وهان، اللتان قامتا بتغيرها لتصبح على شكل تلة المذبح المستديرة، حيث يطلق عليها أيضاً اسم« القمة الميمونة / قمة النفائس»، أما الجزء السفلي من المدينة فهو المكان الواقع بالقصر الموجود تحت الأرض الخاص بتابوت الملكة.

مقبرة الثلاثة عشر إمبراطور بأسرة مينغ --- وهى تمثل منطقة أضرحة بأكملها

بعد نقل أسرة مينغ العاصمة إلى بكين تشكلت منطقة مجمعة للأضرحة في سفوح تجيان شوه شان بضواحيها الشمالية تشانغبينغ، حيث تُعد في التاريخ الصيني مجموعة من أكبر وأعظم المباني المعمارية للأضرحة، وقد دُفن فيها ثلاثة عشر إمبراطور من ستة عشر كانوا بعصر أسرة مينغ، ولذلك عرفت باسم « مقبرة الثلاثة عشر إمبراطور».





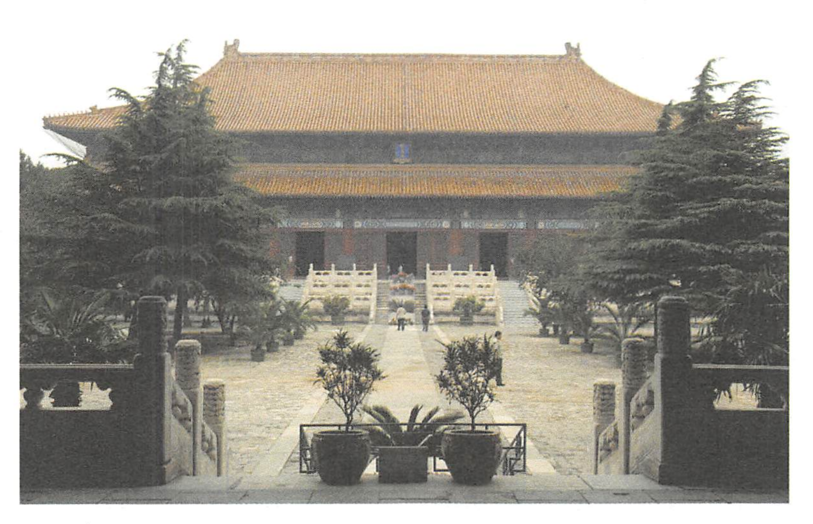
تطل على مقابر مينغ الثلاثة عشر ببكين

كما إتخذت مقبرة الثلاثة عشر إمبراطور مقبرة تشانغ لتكون مركزاً لها، فمحور خط الوسط الخاص بها يقابل المنطقة الرئيسية العليا لجبل تجيان شوه شان، فجميع النواحي الشرقية والغربية تضم تلال تُعرف بأسم «الجبل الرملي» وهو جبل مانغ وجبل خو يو، والتي تمثل كلا من التنين الأخضر والنمر الأبيض في أقوال البيئة الروحية اللذان يقومان بحماية المقبرة، وفي إبداع الصور الكاملة للمقبرة جسدوا بصورة نموذجية الفكر التخطيطي ل «إدارة نظام المقابر وتناسبها مع المناظر الطبيعية».

كما أن مدخل منطقة الأضرحة بأكملها هو عبارة عن دلمن خماسي طويل. فبعد تجاوز هذا الدلمن (ضريح من أضرحة ما قبل التاريخ) نطئ بقدمنا على الطريق الشنتو. كما يُعد هذا الطريق الذي يمتد طوله إلى ٧ كيلو متر في الأصل طريق مؤدي إلى مقبرة تشانغ، والذي أصبح بعد ذلك الطريق الرئيسي المشترك لجميع الأضرحة، كما أنه يتعرج للناحية الأمامية في منتصف جانبي الجبل الرملي، وينحرف قليلاً إلى الأضرحة ذات الأحجام الصغيرة، وبذلك يجعل حجم الجبلين الرمليين بهم توازن رائع وبارع وذلك في التأثير المرئي. ويمر هذا الطريق ببوابة داهونغ مين والجناح المقام على الألواح الحجرية والحيوانات المصنوعة من الأحجار وحتى بوابة لونغ فينغ مين (والتي تضاهي بوابة لينغ شينغ). فعلى جانبي الطريق الذي يمتد طوله إلى حوالي ٨٠٠ متر يوجد ١٨ تمثال من الحيوانات الحجرية المقابلة لبعضها البعض، حيث وُضع من الجنوب إلى الشمال زوج من الأسود الحجرية وتايتشي والأفيال الحجرية وشعار الكيرين والخيول الحجرية والجمال التي يقابل كل منهما الآخر، فجميعهم جالسين من الأمام وواقفين من الخلف، وبعد تخطي الحيوانات الحجرية يوجد التاكومي ووين تشين وشون تشين التي تقابل أيضاً بعضها البعض، والتي ترمز إلى المسئوليين المدنيين والعسكريين من جميع الرتب. كما ظل نظام مقبرة شياولينغ بنانجين يُستخدم في قاعدة بناء مقبرة الثلاثة عشر إمبراطور، حيث أضيفت فقط



طريق مقابر مينغ الثلاثة عشر ببكين, يبلغ طول هذا الطريق ٧٣٠٠ متر, ويمتد به علي التوالي البوابة الحجرية المزخرفة والجسر الحجري ذو الثلاث فرغات والبوابة الحمراء الكبيرة والتماثيل الحجرية وبوابة التنين وغيرهم من الأضرحة. ويمتد على جانبية تماثيل لوحيد القرن والكباش وجنرال الجيش وغيرهم من ١٨ زوج من التماثيل الحجرية النابضة بالحياه و المنحوته بدقة وبراعة. فهم الأكثر تمثيلا لفن النحت على الحجر في مقابر مينغ الثلاثة عشر.



تعتبر قاعة لنغ ان في قصر تشانغ لينغ لينغ والتابعة لمقابر مينغ الثلاثة عشر هى المبنى الرئيسي من ضمن المباني الأرضية لقصر تشانغ لينغ لينغ ,وتعد قاعة نانمو الكبرى والتي تقع في منصة الرخام الأبيض ذات الثلاث طوابق من القاعات الصينية القلائل التي مازالت بحالة جيدة تماما.



التماثيل الحجرية للإنجازات والمآثر للوزراء الأربعة، كما إزدادت المسافة بين جميع الحيوانات الحجرية، والتي جعلت الفراغ المؤدي إلى طريق المقبرة يظهر أكثر إمتدادا وأبعد مدى.

إن مقبرة الثلاثة عشر إمبراطور هى منطقة أضرحة موحدة، كما كانت جميع المقابر بشكل تلقائي في حالة نظامية. فكل مقبرة كانت تشغل سفح جبل، كما كانت القواعد الخاصة بهذا النظام جميعاً تتبع قواعد مقبرة شياو لينغ، والتي كانت بتضم عدة أقسام مثل بوابة لينغ إن وقاعة لينغ إن ومبنى مينغ ومدينة النفائس، وبسبب احترام وتبجيل باقي مقابر أباطرة العصور اللاحقة لمقبرة تشانغ كمقبرة سلفية، فقد قاموا جميعاً بإختيار مواقع لمقابرهم على جانبي مقبرة تشانغ، وذلك من أجل إظهار إحترام الأسلاف وتقليص الأبعاد المعمارية، والذي جعل شكل وأبعاد المقبرة التى تظهر بصورة قوية، والذي أصبح ممثل نموذجي لأضرحة أباطرة أسرة مينغ. كما فُتح في جدار المقبرة ثلاثة مداخل، فندخل إلى المقبرة ثم نمرعلى بوابة لينغ إي حتى نصل إلى قاعة لينغ إي. فقاعة لينغ إن هى وه ديان متعدد الأطناف والذي يحتوى على تسع غرف، ومقارناً بقصر تاي خه ديان فمقاييسه أقل. وفي داخل القاعة يوجد ١٢ عمود نانمو عليه خيوط ذهبية، بحيث يصل قطر أكبر الأعمدة الأربعة إلى ١,١٧متر، والذي يُعد مثال فريد من نوعه في الصين.

المقابر الشرقية والغربية لأسرة تشينغ الإمبراطورية --- نظام متكامل لمجموعة مقابر محظيات الإمبراطور

قبل الدخول إلى نظام قومية مان، تم بناء مقبرة شين بين يونغ لينغ بمقاطعة لياونينغ (تم تأسيسها في عام ١٥٩٨) ومقبرة فولينغ بشنيانغ (المقبرة الشرقية، تم تأسيسها في عام ١٦٢٩) ومقبرة تشاو لينغ (المقبرة الشمالية، تم تأسيسها في عام ١٦٤٣)، والتي تسمى « المقبرة الثالثة في الشمال الشرقي لسلالة أسرة تشينغ «أو» المقبرة الثالثة بشينغ تجين «، ومقبرة دونغ تجين بمدينة لياو يانغ (في عام ١٦٢٤ قام القائد نورهس بنقل جنازة كلاً من جده وأخيه الصغير وابنه وغيره من أكثر من ١٠ أشخاص إلى هنا) حيث يطلق عليهم جميعاً اسم « المقابر الأربعة بشمال شرق الصين». وعلى الرغم من أن المقابر الإمبراطورية الأربعة قد قلدت فيما بعد أنظمة وقواعد أسرة مينغ في قيامها بإجراء تغيرات وتوسعات، إلا أنها كانت ذات خصائص إقليمية قوية بغض النظر عن هيئة البناء أوشكله أو أساليب الزخرفة والديكور، كما أظهرت نمط عصري لأسرة ملكية جديدة من الإزدهار المتزايد في إحياء أرض موات.

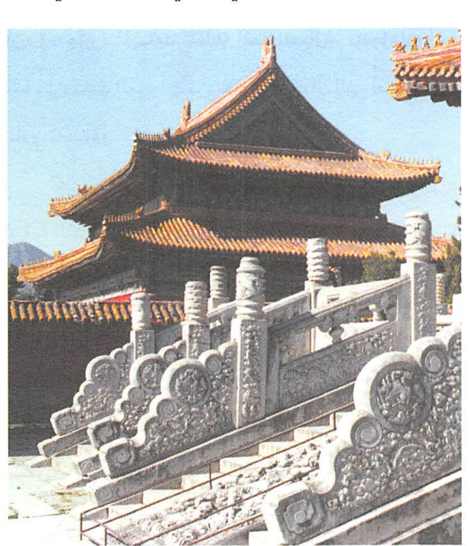
وبعد دخول أسرة تشينغ، فمن أجل تعزيز السلطة السياسية قام حكام قومية مان بإيجابية بإقتباس الثقافة الصينية المتقدمة، كما رسموا مبادئ أوقات السلام والرخاء للأسر الملكية للعصور الإقطاعية التي كانت تابعة للكونفوشيوسية. وبمناظرتها فإن المقابر الملكية التي تُعد ناقل هام للأعراف الإقطاعية لنظام السلطة الأبوية العشائرية تشير أيضاً إلى أن عصر أسرة مينغ قد وضع مجموعة من الأنظمة الهرمية



الصارمة، كما شكل اثنين من المناطق المجمعة للأضرحة: الأضرحة الشرقية وتقع حالياً في جبل تشانغ روي بوادي ما لان بمدينة تسون هوا بمقاطعة هيبي؛ والأضرحة الغربية وتقع حالياً في جبل يونغ نينغ بغرب مدينة إي شيان بمقاطعة هيبي. وعلى أساس قواعد أباطرة أسرة تشينغ تشكل « نظام تشاو مو للمقابر الشرقية والغربية » وفقاً للإرتداد التسلسلي للدفن في منطقة الأضرحة ٢ تشاو مو (الأب والابن). وفضلاً عن المقابر الإمبراطورية ، فقد قام الإمبراطور قانغ شي بالإطاحة بنمطية عصر أسرة مينغ في خلوها من مقابر الإمبراطورات، وفتح أولى المصادر لمقابر الإمبراطورات، كما كانت غرفة توابيت المحظيات التي بُنيت بالقرب من جانب مقابر الأباطرة صغيرة الحجم وكان بها تغيير جزئي. ومقارنة بعصر أسرة مينغ فإن نظام مقابر أسرة تشينغ أكثر إكتمالاً، حيث كان هناك العديد من مقابر المحظيات التي وُزعت حول جميع مقابر الأباطرة والتي أصبحت سمة بارزة لأضرحة أسرة تشينغ.

وقد دُفن في المقابر الشرقية لأسرة تشينغ الإمبراطورية خمسة من الأباطرة وهم شون تشيه (فترة حكمه ١٦٤٤- ١٦٦١) وقانغ شي وتشيان لونغ و شيان فينغ (فترة حكمه ١٨٥١- ١٨٦١) وتشونغ تشيه (فترة حكمه ١٨٦٢- ١٨٧٤) ، وأُضيف إليهم كلا من شياو تجوانغ (١٦٣١- ١٧٠٦) وتسيه آن (١٨٣٧- ١٨٨٧) وتسيه شي (١٨٣٦-١٩٠٨) وغيرهم من الأباطرة و أكثر من مائة محظية ملكية.

التكوين المعماري للمقابر الشرقية لعصر أسرة تشينغ، ففضلاً عن مقبرة الإمبراطورة تشاو شي لينغ الخاصة بالإمبراطورة شياو تجوانغ والدة الإمبراطور شون تشيه والتي تقع في الجانب الشرقي لبوابة دا هونغ بخارج الجدار المحيط بالمقابر الشرقية ومقبرة هويلينغ الخاصة بالإمبراطور تشونغ تشيه والتي تقع في الركن الجنوبي الشرقي لمنطقة الأضرحة والأنظمة الموحدة، فإن جميع المقابر الآخرى قد استخدمت مقبرة شياو لينغ الخاصة بالإمبراطور شون تشيه أول أباطرة أسرة تشينغ كمركزلها.



يعد المستوى الفني والتكنولوجي للمبنى الأرضي لضريح دينغ دونغ لينغ (إمبراطورة) أعلى المستويات الفنية لجميع أضرحة أسرة تشينغ الملكية.

إن تسيير وإدارة مقابر أسرة تشينغ كانت تركز بشكل خاص على « قوة الانتصار ومزجها مع الأنهار والجبال». فالناحية الشمالية لمقبرة





باب التنين يو لينغ (تشيان لونغ) في أضرحة تشينغ دونغ

شياو لينغ تستند على جبل تشانغ روي، حيث عرضت البيئة الروحية والتي كانت تُعرف باسم « لونغ ماي» ؛ أما الناحية الجنوبية إلى جبل فينوس فكانت تُعرف باسم «زيارة المعبد» (المسافة للمشاهد المقابلة لقمم الجبال)؛ أما في المنتصف فيوجد جبل تجين بي المستلقى بشكل عمودي والمعروف باسم «جبل آن» (مجاورة المشاهد المقابلة لقمم الجبال)، فإتجاهات الجبال هذه قد شكلت محور مقبرة شياو لينغ، كما كان هناك العشرات من الأنهار والجبال التي أُدرجت في محيط المقبرة والتي تشكل هيبة وإجلال غير عادي للمنطقة.

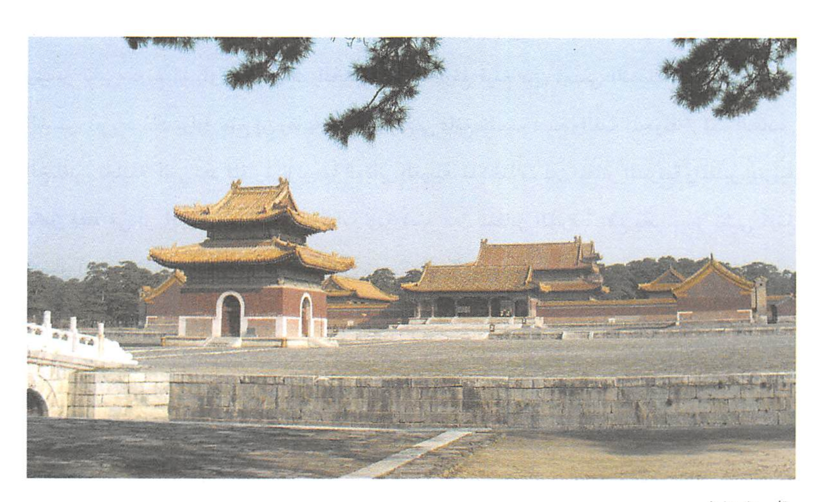
كما كان جبل تجين شين الواقع داخل بوابة لونغ مين أمام مقبرة شياولينغ يقوم بحجز القمة الميمونة / قمة النفائس مينغ لوه الواقع بأسفل القمة الرئيسية لجبل تشانغ روي في الناحية الشمالية. وعلى طريق شنتو الذي يبلغ طوله بالكامل حوالي خمسة كيلو متر تتتابع بشكل مرتبط كلاً من بوابة دا هونغ مين وقصر قينغ إي تجيان ومبنى دا باي لوه والحيوانات الحجرية وبوابة لونغ فينغ مين وجسر تشي كونغ تشياو وجسر وه كونغ تشياو ونصب النزول من على الخيول ما شيا ومبنى شياو باي لوه والحجرة الملكية والسجن وبوابة لونغ إن وقاعة لونغ إن وبوابة ليو لي هوا مين وبوابة إر تشوانغ مين ومبنى مينغ والقمة الميمونة وغيرها من سلسلة المباني المعمارية.

أما باقي الأضرحة فقد استخدمت مقبرة شياو لينغ كمركز لها، بحيث انتشرت على جانبيها الشرقي والغربي. فكانوا جميعاً وبلا استثناء يواجهون الناحية الجنوبية، وفي مقابلة جبل تجين شين بشكل مباشر، وبسبب قطع وإزالة فروع طريق الشنتو لمقبرة شياو لينغ من جانب الطريق، أصبح الطريق يؤدي إلى

جميع المقابر والأضرحة، إلى جانب تشكيل نظام شامل ومتكامل. فأشكال جميع المقابر واحدة، كما أن مقاييسها أيضاً متشابه ومتماثلة، إلا أن هناك اختلاف فقط في استخدام الأخشاب والمنحوتات والأدوات والمواد التي تُدفن مع الميت.

كما استخدمت أفخم وأجمل الأضرحة لمقبرة يولينغ للإمبراطور تشيان لونغ ومقبرة دين لينغ الشرقية للإمبراطورة تسيه شي في القصر الواقع تحت الأرض الذي تم فتحه. فجميع الأجزاء السفلية للكهوف الحجرية لمقبرة يولينغ كانت منحوتة بشكل دقيق فأصبحت مثل شكل شومي تسوا، كما كانت قمة هذه الكهوف والجانب المحيط بمصراع الباب مزخرفين بأنماط لفائف الأعشاب المجعدة، وقد كانت جميع البوابات الحجرية والجدران مغطاه تماماً بمختلف تماثيل بوذا المؤسس للبوذية التبتية والتصاميم الميمونة المباركة والسوترا السنسكريتية والتبتية، والتي جعلت القصر الواقع تحت الأرض بأكمله كأنه الجنة الغربية المقدسة والرائعة والفاخرة؛ أما مقبرة دين لينغ الشرقية فبالرغم من أنها في بعض أشكالها تختلف عن قصور المقابر الإمبراطورية الواقعة تحت الأرض إلا أن هناك العديد من الأنماط والتصاميم المزخرفة والمزينة بشكل مفصل تكون دقيقة حتى بعد مقارنتها بأضرحة الأباطرة، فكل ذلك يعكس سلطة نفوذ الإمبراطورة تسيه شي بإعتبارها الحاكم الفعلي لأسرة تشينغ في ذلك الوقت.

كما دُفن في المقابر الغربية لأسرة تشينغ الإمبراطورية أربعة من الأباطرة يونغ تشنغ (فترة حكمه ١٧٢٣-١٧٣٥) وجيا تشينغ (فترة حكمه ١٧٩٦-١٨٢٠) وداو قوانغ (فترة حكمه ١٨٢١-١٨٥٠) وقوانغ شو (فترة حكمه ١٨٧٥- ١٩٠٨) بالإضافة إلى محظياتهم وشقيق الإمبراطور والأميرة (جي جي) والأخ الأكبر (الأمير) وغيرهم من الأشخاص.



مقابر تشينغ شي

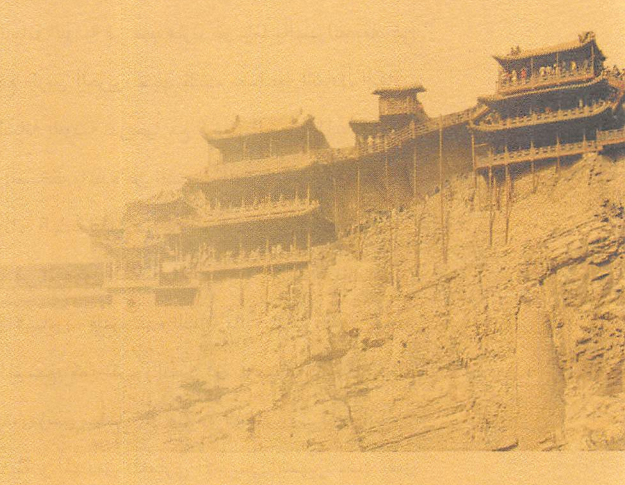




بوابة مولينغ التذكارية (داوجوانغ) في أضرحة تشينغ شي

إن تكوين المقابر الغربية مطابق مع تكوين المقابر الشرقية: حيث استخدموا مقبرة تايلينغ للإمبراطور يونغ تشنغ بأسفل القمة الرئيسية لجبل يونغ نينغ كمركزلها، كما انتشرت باقي المقابر على جانبيها الشرقي والغربي. وقد شُيدت مقبرة تايلينغ في أول العصور ويُعد حجمها هو الأكبر والأوسع بين المقابر الآخرى وذلك في أضرحة تشو لينغ للمقابر الغربية لأسرة تشينغ الإمبراطورية. كما كان طول الطريق الرئيسي الذي يخترق شمال وجنوب الناحية الأمامية للمقبرة حوالي ٢,٥كيلو متر، وقد بُني في نهاية المدخل الجنوبي ما يعرف باسم الدلمن متبوعاً ببوابة دا هونغ ومبنى النصب التذكاري المقدس تجين قونغ وجسر تشي كونغ تشياو والحيوانات الحجرية وبوابة لونغ فينغ مين ومبنى النصب التذكاري لطريق الشنتو، ثم بعد ذلك بوابة لونغ إن وقاعة لونغ إن ومبنى فانغ تشينغ مينغ والقمة الميمونة / قمة النفائس إلخ لمقبرة تايلينغ التي تُعد المقبرة الرئيسية للمقابر الغربية. فالإختلاف بين المقابر الشرقية والمقابر الغربية يكمن فقط في أن الحيوانات الحجرية وبوابة لونغ فينغ مين للمقابر الشرقية تقع بعد جسر تشي كونغ تشياو أما في المقابر الغربية فالأمر معاكس بحيث يقع كل منها قبل جسر تشي كونغ تشياو؛ كما أن مدخل مقبرة شياو لينغ يضم دلمن واحد، أما في خارج بوابة دا هونغ لمقبرة تايلينغ فالأرض المتحركة التي على شكل «بين 品» بها ٣ من الدلمنات بأشكال موحدة، وقد كانت جميع الأبعاد الخاصة بأحجامها تفوق مقبرة شياو لينغ، وزخرفتها معقدة وغير عادية. فالتناغم والتمازج المثالي لهذا الترتيب مع أنماط البيئة الروحية قد قوى من التأثير الفني المكاني لمدخل منطقة الأضرحة.

قصر الآلهة



كانت الديانات الثلاثة الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية هي الديانات الأساسية في العصور الصينية القديمة، وقد عُرفت الديانات الثلاثة بـ" الكونفوشية أساس السلام والرخاء، والبوذية تُصلح القلوب والطاوية تغذى الجسد" . هذا بالإضافة إلى ديانات أخرى مثل الإسلام والمسيحية والكاثوليكية التي تواجدت معاً.

وكانت الكونفوشيوسية في بداية ظهورها مجرد أفكار ولا تشتمل على أمور السحر والشعوذة. حتى عصرالإمبراطور وو إمبراطور أسرة هان (١٤٠قبل الميلاد-٨٧ قبل الميلاد) حيث قام " بتمجيد المدرسة الكونفوشية وتحريم سائر المدارس"، وأصبحت النظريات الكونفوشيوسية بمثابة دراسات للحضارة الصينية القديمة التي توحد الفكر وتوطد الأنظمة الوطنية. وعُرف كونفوشيوس مؤسس المذهب الكونفوشي بأنه "معلم الاجيال"، وقد بُني معبد له في جميع أنحاء الصين، كما بُني في جميع المدن التي تفوق المحافظات والبلديات معابد له (كانت تسمى كونغ مياو او فو زى مياو). ومن هذا المعنى يمكن القول بأن معابد كونفوشيوس هى المعابد التى كانت تُقدم فيها القرابين. وبالإضافة الى معابد كونفوشيوس هناك نوعا أخر من المعابد الذي يدخل ضمن بنايات المذهب الكونفوشي وهو معهد للعلوم التقليدية.

وفى القرن الخامس قبل الميلاد تأسست الديانة البوذية فى سيدهارتا غو تاما بالهند القديمة. في أوائل الفترة بعد الميلاد دخلت البوذية الصين مع طريق الحرير، حيث كانت مصاحبة للتبادل الثقافي والتجاري. وبعد أسرة هان الشرقية إندمجت الديانة البوذية تدريجياً مع الثقافة الصينية المحلية، حيث شكلت ديانة بوذية تشتمل على نمط صيني كما أصبحت واحدة من التيارات الفكرية الصينية التقليدية، وبشكل تدريجي أصبحت المعابد البوذية من المكونات الهامة للغاية في فن العمارة الصينية القديمة .

وتُعتبر الديانة الطاوية من الديانات المحلية فى العصور الصينية القديمة، وقد كانت الديانة تُولى اهتمامها بالإنسان حيث تنظر إليه على أنه" هو الاساس"، فتقوم هذه الديانة بالبحث في كيفية وجود الإنسان فى العالم، وكيف تعامل مع الطبيعة والمجتمع، كما تقوم بالبحث أيضاً في أنه كيف يستطيع الإنسان أن يحيا حياة صحية لكى يخلد فى الحياة. ومؤسس مذهب الطاوية هو لاوتسو ، وقد أثرت الطاوية على السيد رايت المؤسس للعمارة العضوية الحديثة و المهندس المعماري الأمريكي الشهير، حيث يقول أن" ان لاو تسو مؤسس الطاوية قد سبق يسوع بخمسمائة عام حيث أنه أول من زعم بأن حقيقة السكن ليست فى أربعة جدران وسقف ولكنها تكمن فى الفراغ الداخلى .

وقد كانت الأفكار بجملتها هى أفكار وثنية، حيث قلبت المفاهيم الكلاسيكية المتعلقة بالسكن. فإذا تقبلت هذا النوع من المفاهيم فبذلك يجب أن تُرفض العمارة الكلاسيكية. كما أن المكان الذى تُقام فيه المراسم الدينية والرهبنة والطقوس الطاوية يسمى بالقصر الطاوى أو المعبد الطاوى .

وقد دخل الإسلام الصين فى منتصف القرن السابع، وقد استوعب الإسلام عناصر الثقافة الصينية التقليدية وذلك فى مرحلة تتطوره وانتشاره فى الصين، وقد أُستخدمت الأفكار الكونفوشية فى شرح معانى

الإسلام والتي شكلت بشكل تدريجي سمات الدين الإسلامي بالصين، وقد بُني الكثير من المساجد المتنوعة الأشكال فى كل مكان، وبعضها استخدم شكل الفناء الرباعى التقليدى الصينى.

وقد دخلت المسيحية النسطورية (Nestorianism) قديماً إلى الصين فى العام التاسع لتشين قوان من أسرة تانغ (٦٣٥)، وقد عُرفت فى ذلك الوقت بـ " النسطورية". وفى عهد أسرة يوان دخلت الديانة المسيحية النسطورية والديانة الرومانية الكاثوليكية الصين ولكن اختفت هذه الديانات مع إنهيار أسرة يوان .وفى عهد أسرتى مينغ وتشينغ خاصةً في الفترة ما قبل وبعد حرب الأفيون عادت المسيحية بكل مذاهبها مرة أخرى للصين واتسع نطاق انتشارها ليزيد عما كانت عليه فى الماضى. وكانت تقوم كل كنيسة بإرسال راهب لكل مدينة وقرية فى الصين مما كان له تأثير كبير على المجتمع الصينى كما تركوا عدد كبير من بنايات الكنائس .

العمارة الكونفوشية

معابد كونفوشيوس

منذ ألفي عام قام المفكر والمعلم كونفوشيوس (اسمه تشيو ولقبه تشونغ نى من عام ٥٥١ قبل الميلاد حتى ٤٧٩ قبل الميلاد) بجمع أفكار ووثائق من الأسر لو، تشو، سونغ، تشى وغيرهم، ورتبهم وألف ستة كتب مقدسة «كتاب التغيرات»، «الكتاب المقدس»، «كتاب الشعر»، «كتاب الأخلاق»، «كتاب الموسيقى»، «كتاب الربيع والخريف»، كما قدم آراء لإدارة الحكم عن طريق سيادة الأخلاق مما جعل لتلك الفكرة المزيد من النظامية والمنهجية ليؤسس بذلك المذهب الكونفوشي .

وعلى مدار تاريخ طويل يصل إلى ألفي عام أصبحت الثقافة الكونفوشية تدريجيا هي الثقافة التقليدية للصين كما وصل تأثيرها إلى كل بلاد شرق آسيا وجنوب شرق آسيا كما أصبحت حجر الأساس للثقافة الشرقية. وقد ُاستغل الفكر الكونفوشى من أجل حرمان الشعب من النشاط السياسى وتوطيد الحكم الإقطاعى لذلك كان كثير من الأباطرة على مدار تاريخ الصين يعتبرون كونفوشيوس حكيم مقدس ويحترمونه للغاية .

وفى العام الثانى بعد وفاة كونفوشيوس (٤٧٨ قبل الميلاد) ، قام لو أى قونغ بتأسيس معبد "حقبة تقديم القرابين للآلهة" بمنزل كونفوشيوس أثناء حياته وذلك فى مسقط رأسه بمنطقة تشوفو في شان دونغ، وفى هذه الفترة كان مجرد "معبد بثلاثة حجرات". وفى عام ١٩٥ قبل الميلاد أقام الإمبراطور قاوسو إمبراطور أسرة هان لأول مرة مراسم ضخمة لعبادة السماء لتقديم القرابين لكونفوشيوس. ومع التضيق



المستمر على كونفوشيوس إلا أن نطاق المعبد قد اتسع مع مرور الوقت .

وقد تعرض المبنى منذ عهد أسرة هان الشرقية وحتى عهد أسرة تشينغ إلى خمسة عشر مرة من الترميمات الشاملة أما الترميمات البسيطة فلا يمكن أن تعد، وقد أصبح المبنى حاليا بناية ضخمة، حيث أن أبعاده يمكن حتى أن تقارن بأبعاد القصر الملكى ويعتبر المعبد مثال خاص جدا بين أنواع المعابد الأخرى .

ويطلق على معبد كونفوشيوس، وقصر كونفوشيوس، وضريح كونفوشيوس في تشو فو "سان كونغ" . فقصر كونفوشيوس هو المنزل الذى عاش فيه حيث ورثه عن قريب له يدعى" يان شينغ جونغ " كما يعد أكبر القصور الموجودة حاليا فى الصين باستثناء قصور أباطرة أسرتي مينغ وتشينغ. أما ضريح كونفوشيوس فيقع فى شمال مدينة تشوفو. وهو مكان الدفن الخاص بكونفوشيوس وأسرته.

وقد تكون الحجم النهائى لمعبد كونفوشيوس الحالي فى عهد الإمبراطور يونغ تجينغ من أسرة تشينغ. فأصبح التصميم العام للمعبد طويلا وضيق، حيث يصل طوله من الشمال حتى الجنوب إلى ٦٠٠ متر، أما عرضه شرقا وغربا يبلغ ١٤٠ متر فقط. ويحتوى المعبد من الداخل على تسع ساحات. ويتخذ المحور من اتجاهي الشمال والجنوب، وينقسم إلى ثلاثة طرق يمينا ووسط ويسار وبه قصر وقاعة و معبد وأكثر من ٤٠٠ مقصورة، وبه أيضا ٥٤ بوابة و١٣ مبنى "يو بيى تينغ".

وتعد المداخل الثلاثة الأولى فى معبد كونفوشيوس جزء مرشد حيث يوجد أمام المدخل "جدار المليون رن" والقوس التذكاري "جين شينج يو تشين" والجسر الحجري مميا يعبر عن أخلاق كونفوشيوس الكريمة وعلمه العميق، ويوجد بعد ذلك بوابة لينغ شينغ وبوابة شينغ شى وبوابة هونغ تاو، تلك البوابات الثلاثة تنقسم إلى أفنية مختلفة الحجم، و تصل إجمالى المساحة المزروعة بأشجار الصنوبر والسرو طولا إلى ما يقرب من ٣٠٠ متر وذلك لحجب أشعة الشمس بظلالها الكثيفة ، لتشكل واجهة يسودها السكون والمهابة. وعندما تجتاز البوابة الكبرى والمتوسطة وبوابة تونغ ون تصل إلى مقصورة كوى ون العالية وهي أيضا مكتبة المعبد الكونفوشيوسي.

وبعد مبانى يو بيى تينغ الثلاثة عشر المصطفين بعد مقصورة كوي ون والتي تم بنائهم منذ عهد أسرة جين حتى عهد تشينغ، يوجد بوابة دا تشينج، التي تلمح إلى تعاليم كونفوشيوس "تجميع الإنجازات الهائلة للحكماء القدامى". و يوجد فى الفناء الموجود بداخل بوابة دا تشينج مقصورة مربعة الشكل متعددة الأطناف عواميدها على شكل رمز+، محاطه بشجر المشمش، سميت شينغ تان، وقد كان هذا المكان هو المقر القديم لقاعة محاضرات كونفوشيوس .

وبعد معبد شينغ تان يوجد قاعة دا تشينغ وقاعة تشينغ وقاعة شنغ دى وهم البنايات الأساسية لمعبد كونفوشيوس. وكانت قاعة دا تشينغ فى البداية تسمى بقاعة ون شوان وانغ وُبنيت من طابقين على



مشهد بانورامي عام لمعبد كونفشيوس تشوفو في شان دونغ

قاعدة من الرخام الأبيض أما واجهة القاعة متسعة بها تسع غرف وُغطيت القمة متعددة الأطناف بالبلاط الأصفر المزجج، كما يوجد على الواجهة أيضا صف من عشرة أعمدة حجرية مجوفة.

وفى داخل القاعة لافتة معلقة مكتوب عليها بخط اليد اسماء أباطرة أسرة تشينغ الذين كانوا قد ذهبوا بأنفسهم للصلاة هناك. ويوجد أمام القاعة رصيف متسع، وهناك أماكن لإقامة مراسم تقديم المسئولين للقرابين وأماكن للعازفين وغيرها من الأماكن، وعند إقامة حفلات يمكن أن يستوعب الفناء والرصيف ما يزيد عن ألف شخص. وعند إقامة المراسم فى معبد كونفوشيوس يتم تقسيم الراقصون إلى ثمانية صفوف (ثمانية صفوف من الراقصين كل صف به ثمان أشخاص ليصبح العدد الإجمالى إلى أربعة وستون شخص) ، خاصة بالنظام الإمبراطورى .

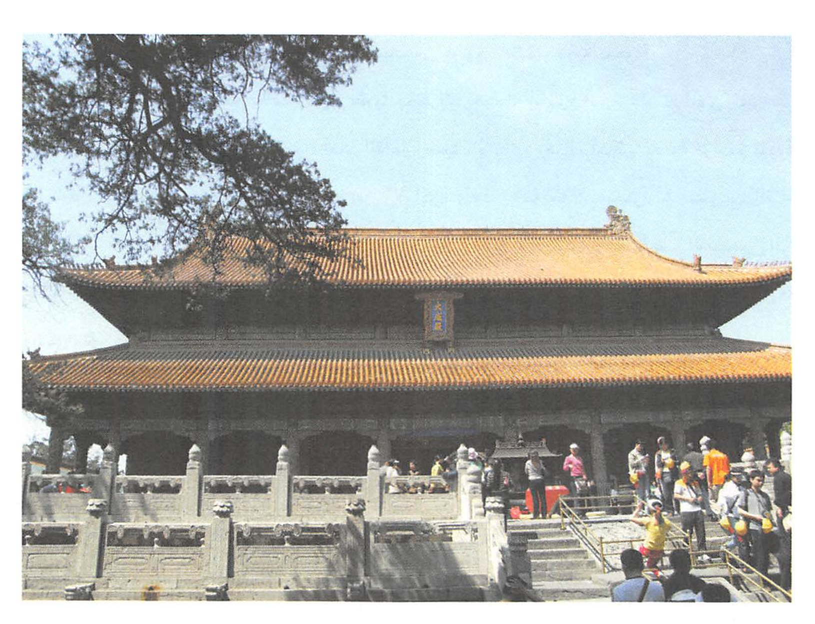
وتوجد قاعة تشين بعد قاعة دا تشينغ وهى قاعة لتقديم القرابين إلى اللوحة الجنائزية لكونفوشيوس؛ والقاعة الأخيرة هى قاعة شينغ دى ويعرض بداخل القاعة ١٢٠صورة أثرية تصف حياة كونفوشيوس. ويقع فى الجانب الشرقى والغربى لقاعة دا تشينغ كنيسة جين سى وقاعة تى شينغ وكنيسة شى لى ومعبد الأسلاف وغيرها من البنايات.

ومع ظهور الدور القيادي المتزايد لمذهب الكونفوشى، ومن أجل المضي قدما في دعم ونشر مآثر كونفوشيوس العلمية، فبالإضافة إلى المعبد الذى ُبنى فى العاصمة فقد بنى فى كل مقاطعة وكل ولاية





بوابة لينغ شين بمعبد كونفشيوس في تشوفو



قاعة داتشنغ لمعبد كونفشيوس بتشوفو



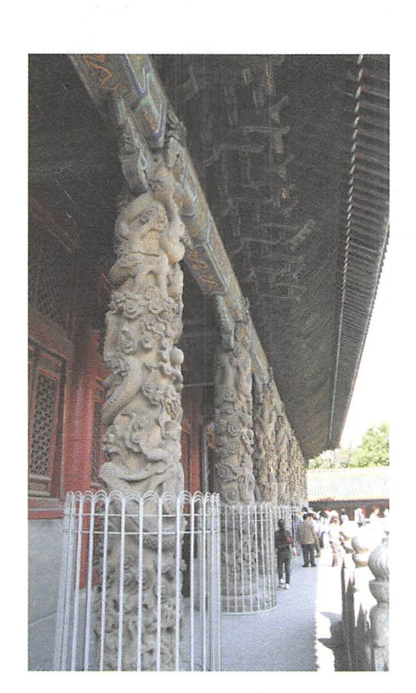
وكل محافظة مدرسة لهذا المذهب. حتى فى مدارس جونغ لابد أن يبنى أيضا معبدا، حيث أنه يعتبر مكان لأداء مراسم تقديم التحية لكونفوشيوس، ومن هنا أصبح معبد كونفوشيوس في الوقت نفسه مركزا للدراسة وتعليم الآداب .

وقد صمم معبد كونفوشيوس والمدرسة الإمبراطورية بالعاصمة (أكبر منارتين علميتين فى الصين لتنشئة علماء في الكونفوشية) بإبداع على شكل دائرى بي يونج (كما تسمى أيضا قاعة مينغ وهى مكان قديم كان يلقى فيه الأباطرة المحاضرات) فهي ترمز لاكتمال التعليم دون نقص؛ وفى الجهة الأمامية لمعبد كونفوشيوس يوجد بركة ماء على شكل نصف دائرة وتسمى بركة يانغ وترمز الى أنها تعد نصف بي يونج فقط .

و تتخذ المعابد الموجودة بهذا المكان كلها معبد كونفوشيوس في تشو فو نموذج فى البناء، فمعظم هذه المعابد نُفذت على أن يكون المعبد جهة اليمين والمدرسة جهة اليسار، كما تم الحفاظ على عدد من التشكيلات الموجودة بمعبد كونفوشيوس في تشوفو وتقليدها مثل "جدار المليون رن" وبوابة لين شين، القوس التذكاري "جين شينج يو تشين"، قاعة دا تشين، والمنصة التي يرقص عليها الراقصون وغيرها، فقط نجد اختلاف فى الأبعاد أو أنها قد تحمل خصائص مكان ما .

مثل بركة يانغ الضخمة وبوابة ذات قاطع خشبي مليئة بالزخارف في معبد كونفوشيوس بمدينة جيان شوي في يون نان هم الأكثر تميزا؛ ويحتوي معبد كونفوشيوس بمدينة سو تشو على كثير من النصب التذكارية المشهورة، كما يحتوى معبد كونفوشيوس في تسى تشونج بمقاطعة سى تشوان على حاجز الجدار المشهور الذى تتخلله زخارف جميلة، وبسبب بناء مستويين من المعابد الكونفوشية في ولايات ومحافظات فى تيان جينغ، فقد تكون تخطيط متوازي للمعبدين، ويعد هذا مثال خاص فى بناء المعابد الكونفوشيوسية.

وقد احترمت العصور السابقة حياة كونفوشيوس ولم تتوقف عن الإعلاء من شأنه وقد تحولت المعابد الكونفوشيوسية فى كل مكان إلى مباني هامة بهذا المكان، وعلى العكس فقد أصبحت


أعمدة بانلونغ المعلقة أمام قاعة داتشنغ لمعبد كونفشيوس





معبد كونفشيوس بنانجينغ (معبد الأباء والأبناء)

المداراس مبانى مرافقة للمعابد. وقد كون معبد مدينة تشو فو الموجود فى شان دونغ و المعابد الكونفوشية الأخرى فى كل مكان معا نظام المعابد الكونفوشية الوطنية، حتى وصل تأثير المذهب الكونفوشى إلى البلاد المحيطة مثل اليابان فقد ضمت مدينة طوكيو وغيرها من المدن الكثير من المعابد الكونفوشية.

تأسيس معاهد العلوم التقليدية

كان أول ظهور لمعاهد العلوم التقليدية في منتصف عهد أسرة تانغ، وهي تعتبر خارج التعليم الرسمي (الحكومي)، وعلى أساس المدارس الخاصة التقليدية، فهي نوع من النظام التعليمي الذي يتم جمع المال من أجل تأسيسه وإنشائه. وهذه المدرسة الخاصة لديها المحاضرات ومجموعات الكتب ونظام العبادات الخاص بها، كما إنها تعالج نقاط الضعف (العيوب الموجودة) في التعليم الرسمي(الحكومي).

ولقد تم إنشاء مكانة قيادية للثقافة الكونفوشية منذ فترة طويلة في العصور الصينية القديمة، كما كان هناك توسع في انتشار الديانتين البوذية والطاوية، وكان تأثيرهم عميق إلى حد ما، وقد لاقت إهتمام



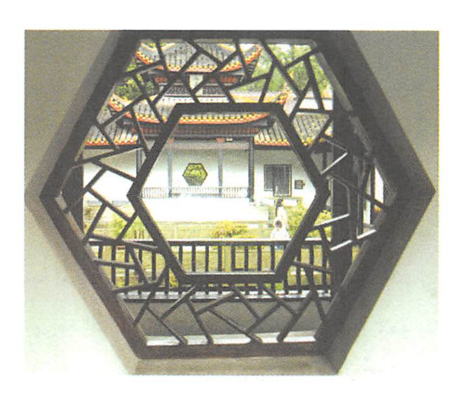
من قبل الطبقات الحاكمة في العصور السابقة واستخدمت في ذلك الوقت، لذلك كان تكوين المذهب الكونفوشي رئيسياً وأساسياً، وكانت الديانتين البوذية والطاوية من مميزات الثقافة التقليدية التي تقدم العون والمساعدة. وفي أثناء مراحل النضال والاندماج بين الكونفوشية والبوذية والطاوية، فإنه تقريباً في فترة عصر سونغ الشمالية (٩٦٠-١١٢٧) من أجل المنافسة الصاعدة بين البوذية والطاوية، استوعب المذهب الكونفوشي روح زن بالديانة البوذية وذلك لإثراء نظريات الفلسفة الكونفوشيوسية، وتم إنتاج مذهب كونفوشيوس الجديد ـ الفلسفة المثالية الكونفوشية (في أسرتي سونغ ومينغ)، كما تشكلت المناقشات وتبادل وجهات النظر للإفادة المتبادلة والتبادل بين مختلف المدارس والمذاهب الكونفوشية. وإن معاهد العلوم التقليدية تستجيب لمتطلبات هذا الوضع، وأصبحت هي قاعدة التنمية والتطور ومهد انبثاق ومولد الفلسفة المثالية الكونفوشيوسية (في أسرتي سونغ ومينغ). وكان المشرفون تشانغ ، تشو شي، لو تسو تشيان، لو جيو يوان في عهد سونغ الجنوبية يترأسون "أربعة معاهد تقليدية للعلوم" وهم (يوه لو، باي لو دونغ، لي تسه، شيانغ شان) قد تمثلوا على التوالي مذهب هو شيانغ ومذهب مين، ومذهب وو، ومذهب شيانغ شان وغيرها من مذاهب الفلسفة المثالية الكونفوشية (في أسرتي سونغ ومينغ).

وقد كان تطور معاهد العلوم التقليدية في عهد أسرة مينغ معقداً جداً. ووصولاً إلى نهضة مذهب



بوابة أكاديمية يو لو بتشانغ شا





الحديقة الخلفية لأكاديمية يو لو

وانغ (وانغ يانغ مينغ) ومذهب تشانغ (تشانغ روه شويه)، فقد قاموا بقوة لتطوير معاهد العلوم التقليدية، إلا إن فترة إزدهار تأسيس معاهد العلوم التقليدية كان قصيراً. وفي نفس الوقت يوجد أيضاً مذهب تاي شان ومذهب دونغ لين اللذان قاموا بقوة على تعديل التحيزات الموجودة في مذهب وانغ، وخاصة مذهب دونغ لين، وعندما يتحدثون ويتناقشون في السياسة، ويشاركون في النضال السياسي، فإنهم يحتلون مكانة هامة في التاريخ الصيني.

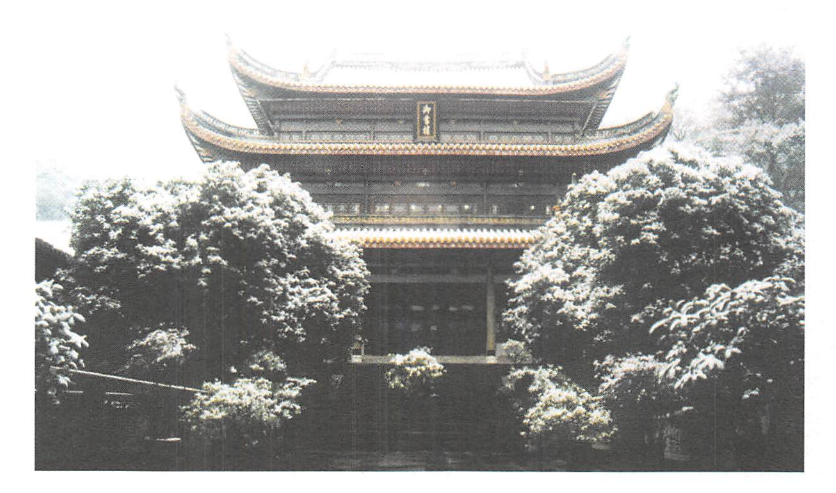
وبعد مرور معاهد العلوم التقليدية بفترات النهضة والركود حتى الوصول إلى نهاية عهد أسرة تشينغ، حلت محلها في النهاية المدارس الحديثة التي تديرها الحكومة، وأصبحت بعد ذلك هي الأساس الذي تقوم عليه المدارس، وانتهى رسمياً نظام معاهد العلوم التقليدية.

كانت جميع معاهد العلوم التقليدية دائماً مكاناً لاجتماع الأدباء والمثقفون من أجل إلقاء المحاضرات، وقد بنيت من الأدباء والكتاب المشهورين الذين يترأسونها، لذلك فإن تأسيس معاهد العلوم التقليدية يعكس بشكل أكثر طرق تفكير المثقفين في العصور الصينية القديمة ولذات ومشوقات الحياة والمفاهيم الجمالية. إن الأفكار التقليدية المتواجدة في نظرية "إن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة" تُعتبر هي أعلى مستوى للحدود الفكري، وهي أيضاً تُعبر عن وحدة الإنسان والطبيعة، وتأسيس معاهد العلوم التقليدية يهتم باختيارات البيئة، ويدعو إلى اجتماع الظروف الطبيعية وتناسبها مع الظروف المحلية، أو إنها تبُرز تغيرات مكانية بمحاذاة أشرطة المحاور الطولية (العمودية)، أو إن هناك العديد من المحاور التي تتعاطف لعمل التوسعات الأفقية، كما إن التخطيط والتكوين المعماري لها أكثر مرونة وحرية. وفي نفس الوقت يتأثر أساتذة الفلسفة المثالية الكونفوشية كثيراً بالديانة البوذية والطاوية، ويهتمون اهتماماً شديداً بالتثقيف الذاتي في الأمور العقلية والترفع عن الشئون الدنيوية، والبحث عن حالة "أن يكون الإنسان عظيم الطموح زاهد في الشهرة والجاه، والهدوء والتروي من أجل تحقيق العلا"، وكثيراً ما يتم إنشاء معاهد العلوم التقليدية في مناطق الجذب السياحي والوجهات السياحية التي تتمثل في المناظر الرائعة من الجبال الجميلة والمياه الصافية.

إن تأسيس معاهد العلوم التقليدية يعكس أفكار "الطقوس الصينية والموسيقى المكملان لبعضهما البعض"، فهم مقيدون بأفكار لي التقليدية، حيث إن العديد من المحاور المركزية بها خط التناظر أي أن



هناك تماثل محوري وهناك أيضا تخطيط منظم؛ وفي نفس الوقت يتم استخدام حجم الفناء وفضاء الحديقة والقاعات الكبيرة التي بها ممر وغيرها من التغيرات التي بها تباعدات بطريقة فنية منظمة، إن مثل هذه الأبنية مع تناثر إنخفاض وارتفاع أشكال الأرض هنا وهناك، فإنها تجسد التناغم والتوافق المتواجد بين الإنسان والأبنية والإنسان والطبيعة. كما إن قاعة إلقاء المحاضرات تُعتبر المكان الرئيسي على أسلاك المحور المركزي، وعادة ما يكون هناك من ثلاث إلى خمس قاعات، يتم وضعهم في مركز معهد العلوم التقليدي. ويوجد أمام القاعة فناء فسيح وعريض، ويبرز من أحد الجوانب وضع هيكلها الرئيسي، ومن الجانب الأخر يمكن أن يتم توسيع الفضاء والفراغ المتواجد. أما المبنى الذي توجد به المكتبة فهو يعتبر جزء آخر من الأجزاء الهامة المتكونة في معاهد العلوم التقليدية، وعادة ما يكون عبارة عن جناح مكون من طابقين إلى ثلاثة طوابق، وهو يوجد في الجزء الخلفي من معهد العلوم التقليدي أو في ساحة فناء أخرى، تكون البيئة هادئة بها. وإن القاعة الكبرى بالقصر المستخدمة في تقديم القرابين للآلهة والأجداد أو المعبد التذكاري الذي يقدم فيه الضاحي وهي كثيراً ما تكون لأساتذة المذاهب والعمداء المشهورين، كما إن هناك أيضاً زعماء السكان المحليين، وهناك عدد قليل من معاهد العلوم التقليدية التي لاتزال تتساوى بمعبد كونفوشيوس. وخارج البناء الرئيسي يوجد أيضاً الساحة الصغيرة التي يسكن بها العميد، كما يوجد أيضاً المبنى الذي يمكث فيه الطلاب، وبالإضافة إلى ذلك يوجد حديقة بها العديد من البرك والجبال، والتي تأثرت بالتعليم الرسمي (الحكومي) في وقت متأخر، ويوجد سكن للمراقب و قاعة كبرى لإلقاء المحاضرات وحقول إطلاق النار و وكوخ الإمتحانات وغيرها التي تم إضافتها في معاهد العلوم التقليدية.



مكتبة أكاديمية يو لو



لقد كان الأدباء في العصور القديمة في الصين دائماً ما يعارضون الإسراف في البناء والتشيد، وكانوا يشجعون الأسلوب البسيط الغير مكلف. تأسيس معاهد العلوم التقليدية ارتشف خصائص وطرق البناء للأبنية المدنية المختلفة، ويسعى وراء الجمال البسيط الطبيعي، وإن أحجامها ومقايسها تتناسب مع احتياجات ومتطلبات حياة الأهالي، كما إنها دون نحت، وألوانها أنيقة وبسيطة، وتحوي في طياتها التشكيل الطبيعي، وهذا يتناقض ويتنافى تماماً مع جمال وروعة الأبنية الرسمية (كالقصور). وإن الدلالات والمفاهيم الثقافة العميقة تعتبر من الخصائص والمميزات الفنية الفريدة، كما إن النصب التذكارية المنحوتة ولوحات الكتابة وغيرها من الأساليب التي تظهر وتوضح بشكل أكثر الإيحاء والتعبير الفني المتواجد في أبنية معاهد العلوم التقليدية. وحتى الآن لا يزال يوجد في الصين معهد يويه لو، ومعهد باي لو دونغ، ومعهد سونغ يانغ، ومعهد وو فنغ، ومعهد دونغ لين وغيرها من عشرات الأبنية لمعاهد العلوم التقليدية.

العمارة البوذية

في القرن الثاني قبل الميلاد، قام الإمبراطور وو في عهد أسرة هان بإرسال تشانغ تشيان رسولا إلى المناطق الغربية، لفتح "طريق الحرير" المؤدي إلى آسيا الوسطى وغرب آسيا. قبل وبعد الميلاد، وصلت البوذية التي نشأت في الهند إلى الصين على طول طريق الحرير الذي ربط التبادل الثقافي بين الصين والغرب، فاعتنقها الغالبية العظمى من عامة الشعب، وحازت على اهتمام ودعم الحكام. وقد كانت ذروة انتشار البوذية في عهد أسرة وي جين من الأسر الشمالية والجنوبية (٢٢٠-٥٨٩) ، حيث اتخذ الإمبراطور وو لأسرة ليانغ في ذلك الوقت (٥٠٢-٥٤٩ في الحكم) البوذية الديانة الرسمية للدولة، فبدأ بناء المعابد على نطاق واسع، فكانت قصيدة دومو من عهد أسرة تانغ " ٤٨٠ معبد في عهد الأسر الجنوبية ، فكم من الابراج وسط المطر الضبابي" تصوير لتلك الحقائق التاريخية. وكانت أسرة تانغ فترة ازدهار أخرى لتطور البوذية، ففي تلك الفترة ليس فقط تطورت العقيدة البوذية في الصين تطورا خاص بها، بل ووصلت إلى كوريا واليابان وفيتنام. و قام حكام أسرة يوان بالدعوة إلى اللامية، ومن ثم ظهرت أيضا العديد من المعابد اللامية.

وحاليا يطلق الناس على البوذية الشائعة في معظم مناطق الصين والتي تتخذ قومية هان أساسا لها البوذية الصينية. أما البوذية السرية المقصورة على فئة معينة والتي جاءت

تسلسل المعلومات

طريق الحرير: في القرن الثاني قبل الميلاد أرسل الإمبراطور وو في عهد أسرة هان تشانغ تشيان رسولا إلى المناطق الغربية لتأسيس طريق للتجارة من تشانغ آن التي كانت العاصمة في ذلك الوقت إلى آسيا الوسطى وغرب آسيا. ومن خلال هذا الطريق الذي يتغلل آسيا وأوروبا، كانت منتجات الصين من الحرير، البوبلين، الحرير الرقيق، الساتان، الحرير السميك وغيرها من الأقمشة الحريرية تتدفق باستمرار إلى الشرق الأوسط وأوربا. وفي نهاية القرن ١٩ قام الجيولوجي الألماني ريشتهوفن بتسمية الطريق الذي فتحه تشانغ تشيان بين الشرق والغرب بـ «طريق الحرير». فقد كان شريان الاتصال بين قارة آسيا وقارة أوروبا، وكان جسر التقاء بين الثاقافات الثلاثة الرئيسية الصينية والهندية واليونانية. بالإضافة إلى ذلك يوجد أيضا «طريق الحرير البحري» و«طريق الحرير الجنوبي الغربي».

من الهند ونيبال لتصل مباشرة إلى التبت فسميت البوذية التبتية، وتعرف باسم اللامية، تتوزع بشكل أساسي في التبت وقانساي وتشنغهاي و منطقة منغوليا الداخلية، ومركزها لاسا وشيغاتسيه. كما يوجد كمية قليلة من الهينايانا المنتشرة في الجنوب في شيشوانغبانا بمقاطعة يونان وغيرها من المناطق، ويوجد اختلاف كبير بين الأشكال المعمارية والمعابد البوذية التقليدية في منطقة القومية الهانية.

ولأن التعبد وترتيل الكتب المقدس يحتاج إلى البعد عن الصخب والجلوس للتأمل، لذلك فإن الغابات الجبلية هي بيئة مثالية للهدوء والانعزال، حيث أن معظم المعابد البوذية تقع وسط الغابات الجبلية. إما أن تختار تلك المعابد سفوح الجبال مكانا لها، وإما أن تكون محفورة في وسط الجبل، أو تقف بمهابة على قمة الجبل، أو بالقرب من الجبل، أو عبر المياه، لتمتزج مع الطبيعة كجزء لا يتجزأ منها؛ كذلك فإن رهبان البوذية أوجدوا " ضوء بوذا" و"حجر الاستماع للحكم البوذية" وغيرها من المظاهر المفعمة بالمعاني البوذية. وقد اشتهرت مجموعة من الجبال بسبب المعابد البوذية، كما ازدهرت المعابد بسبب ساكني تلك الجبال. حيث كان جبل ووتاي في شانشي، جبل أومي في سيتشوان، جبل بوتو بمقاطعة تشجيانغ، وجبل

تمثال بوذا بكهف يونجانغ في شانشي



جيوهوا بمقاطعة آنهوي تزداد شهرة يوم بعد يوم، حتى أصبحت "الجبال الأربعة المشهورة" للعقيدة البوذية في الصين.

امتدت العمارة البوذية في الصين إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ عام، حتى أصبحت أحد أهم أنوا ع العمارة في المجتمع الإقطاعي الصيني، وأكثرها شيوعا هي المعابد البوذية والنصب البوذية والكهوف الصخرية.

المعابد البوذية

المعابد البوذية هي شكل رئيسي من أشكال الهندسة المعمارية الدينية في الصين، وهي المكان الذي تقام فيه عبادة بوذا، وعقد الطقوس البوذية، وإقامة الرهبان.

يحكى أنه في العام السابع لعهد أسرة هان الشرقية يونغ بينغ (٦٤)، رأى الإمبراطور مينغ لأسرة هان في منامه رجل ذهبي، فقال الوزير فويي: "يوجد في الناحية الغربية إله يطلق عليه بوذا." لذلك أرسل الإمبراطور مينغ لأسرة هان رسولا إلى تيان تشو (الهند) ، لدعوة الراهبان المشهوران جياييموتنغ وتشوفالان، وأحضر الكتب البوذية المقدسة وتمثال بوذا ثم عاد إلى لوه يانغ. ثم جعل الراهبين يقيمون في معبد هونغ لو المخصص لاستضافة الضيوف الأجانب، وفي العام التالي بنى لهم مسكنا، لا يزال يسمى "معبد"، ونظرا لأنهم في ذلك الوقت كانوا يستخدمون الخيول البيضاء للمجيء إلى الصين، لذلك تم استبدال الاسم ليصبح "معبد الخيول البيضاء". ومن ثم أصبح "المعبد" الذي هو في الأصل اسم المكاتب الرسمية القديمة في الصين تدريجيا اسم مخصص للمباني البوذية. فكانت معابد الخيول البيضاء هي المعابد البوذية الأولى من نوعها في الصين، وعرفت باسم "المعابد الصينية الأولى في الصين"

ومع الانتشار السريع للعقيدة البوذية في ذلك الوقت أصبح هناك نقص في المعابد البوذية المخصصة، فقام الكثير من مسؤلي الحكومة والتجار الأثرياء الورعين بتقديم منازلهم لتصبح معابد، وأطلق عليها "منازل مقدمة كمعابد"، وعادة تكون "الباحة الأمامية قاعة بوذا، القاعة الخلفية قاعة محاضرات". وسريعا ما امتزج الشكل المعماري للقاعة الصينية التقليدية رباعية الزوايا مع المعابد البوذية. وأصبح الشكل الأساسي للمعابد البوذية الصينية.

في البداية كانت المعابد البوذية لاتزال وفقا للطرازالهندي، حيث كان مركزها برج المعبد، أو تتخذ الشكل التنظيمي "البرج في الأمام والقاعة في الخلف"، ومع بناء المعابد البوذية على الطابع الصيني، تراجع مكان البرج تدريجيا لينتصب في الخلف أو على أحد الجوانب، وتصبح قاعة القصر هي مركز المعبد. وكان أول بناءين بالهياكل الخشبية في الصين معابد بوذية، وهما القاعة الرئيسية بمعبد نان شان بجبل ووتاي في مقاطعة شانشي والقاعة الرئيسية بمعبد ضوء بوذا. بروافد سقفية ضخمة جدا، ويخرج منها أطناف عميقة وبعيدة، أسطحها سلسلة وذات زخارف بسيطة، فهي تتميز بالنمط المعماري النموذجي



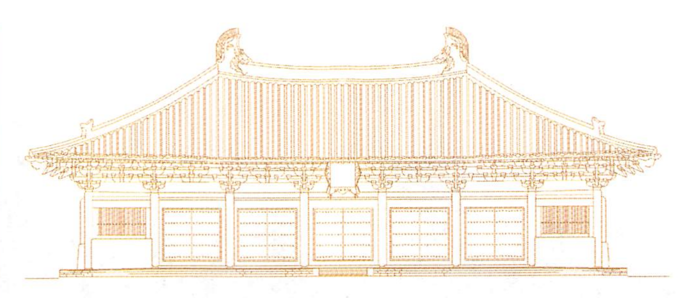


«أول معبد قديم في الصين» -معبد الحصان الأبيض في لوا يانغ

لأسرة تانغ.

وبعد أن اتخذت المعابد البوذية الصينية شكلها النهائي امتدت إلى النماذج المعمارية الأصلية في الصين، حيث استخدمت تصميمات متماثلة، فعلى طول خط المحور المركزي تم وضع بوابة المعبد، وبرجي الساعة والطبل، وقاعة الملوك السماوية، وقاعة بوذا الكبرى، مخزن الكتب البوذية المقدسة وغيرها، وعلى الجانبين يوجد غرف المعيشة للزائرين والرهبان المقيمين. والمبنى الذي ظل مكتملا حتي الأن من مجموعة بنايات المعابد البوذية من أسرة سونج ----- معبد لونغ شينغ بمدينة تشنغ دينغ في مقاطعة خى بي، يوجد في مواجهة بوابة المعبد الجدار الحاجز، وأمامها يوجد جسر حجري وقوس تذكاري وبدخول البوابة سنجد برجي الساعة والطبل المتماثلين على اليمين واليسار، وفي المواجهه تبقى آثار معبد دا جيويه ليو شي . وبالرجوع للخلف مرة أخرى يوجد القاعات الجانبية الشرقية والغربية وقاعة موني، وخلف القاعة يوجد منصة الرهبنة، و ينتصب على كلا الجانبين خلف منصة الرهبنة كلا من جناح مايتريا ومعبد تشوان لون تسانغ متناظرين. ويوجد برج البخور البوذي الهائل خلف جناح النصب الشرقي الغربي (ويسمى أيضا بجناح الرحمة العظيمة)، يوجد بداخله إله الرحمة النحاسي ذو ألف ذراع وألف عين والذي يبلغ طوله ٢٤ متر. وتتباين ساحات الفناء بشكل غني، فعلى الرغم من طول المحور الخطي إلا أنك لن تشعر بأقل القليل من الملل.





لوحة مسطحة للقاعة الكبرى بمعبد بوذا على جبل ووتاي في شان شي.

ويعد "المعبد المعلق" ببلدة خون يوان بمقاطعة شانشي والذي بدأ بناؤه في القرن السادس عشر ميلاديا في الفترة الأخيرة من عهد أسرة وي الشمالية معبد بوذي فريد جداً ، فهو عبارة عن مجموعة من بنايات تتكون من العديد من القاعات المعلقة على المنحدرات الحادة لجبل هنغشان بالمنطقة الشمالية. تستند هذه القاعات بالكامل على الكهف المحفور على المنحدر الصخري، وبعد ذلك يتم إدراج أعمدة خشبية للتحميل، وربط القاعات بواسطة دروب خشبية معلقة، فتكون كـ "قلعة في الهواء"، فهي حقا متعة للناظرين. والعبادة الرئيسية في المعبد هي البوذية، بجانب الكونفوشيوسية والطاوية، وهو مظهر واضح وملموس من مظاهر التفاعل وامتزاج الأفكار بين الديانات الثلاثة القديمة في الصين.

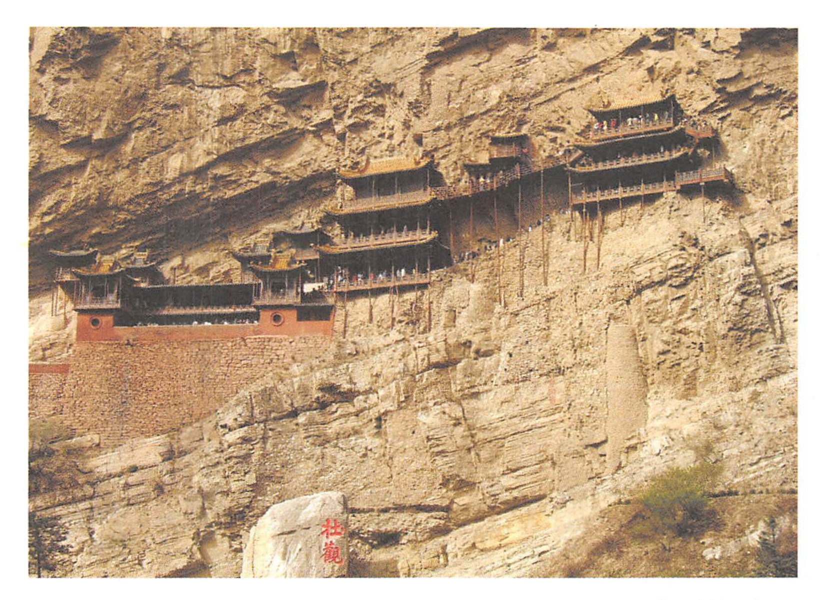
وتُقتبس اسماء المباني داخل المعابد البوذية في كثير من الأحيان من الإله الذي يتم عبادته أو الغرض الأساسي من العبادة: فنجد قاعة الملوك السماوية لعبادة الملوك السماوية، قاعة بوذا الكبرى لعبادة بوذا وبوديساتفا؛ قاعة المحاضرات و مخزن الكتب البوذية المقدسة للتعبد وتلاوة الكتب المقدسة؛ قاعة تشوان لون تسانغ وقاعة باغودا الرماد لوضع الرماد المقدس والخطب البوذية الثمينة؛ وعند استقبال الزائرين في الحياة اليومية يتم استخدام غرفة الطعام وغرفة النوم وغرفة الاستقبال وغيرها.

تعمل البوذية التبتية (اللامية) على تنفيذ وحدة السياسة والدين، والاهتمام بالطقوس الدينية على وجه الخصوص، حيث أن جميع الأعياد البوذية تعد تقريبا مهرجانات ضخمة لجميع سكان التبت، ومن ثم اتسع نطاق العاصمة. فانصهرت البوذية التبتية مع الظروف الجغرافية الجبلية على هضبة التبت، وبنيت المزيد من المعابد التي تستند على الجبال كجزء لا يتجزأ منها؛ ومن الناحية المعمارية انصهرت حصون أبراج المراقبة والهياكل الخشبية بالسهول الوسطى، كما اشتملت على الخصائص الزخرفية لمعابد نيبال، لابداع أنماط

تسلسل المعلومات

روافد الأسقف الصينية هي مكون خاص من مكونات البنايات الصينية القديمة. فالحامل عبارة عن لوح خشبي مخروطي الشكل، والقوس عبارة عن قطعة خشبية قصيرة محدبة. والقاعدة المقوسة تكون أعلى الحامل بحيث تكون بارزة للخارج، وتركب ألواح أخرى أعلى طرف القوس، وهكذا تتكرر الطبقات تدريجيا وتتقاطع طولا وعرضا، لتشكل كتيفة ضخمة من الأعلى وصغيرة من الأسفل. وظيفتها تتمثل في حمل الأطناف العلوية الممتدة للخارج، كما تتمتع بمؤثرات زخرفية قوية، فأصبحت علامة التمييز بين المستويات المختلفة للبنايات، وبصفة عامة فإن المباني التذكارية أو ذات الأهمية الكبيرة، فقط هي التي يمكن أن تكون بها تلك الروافد.

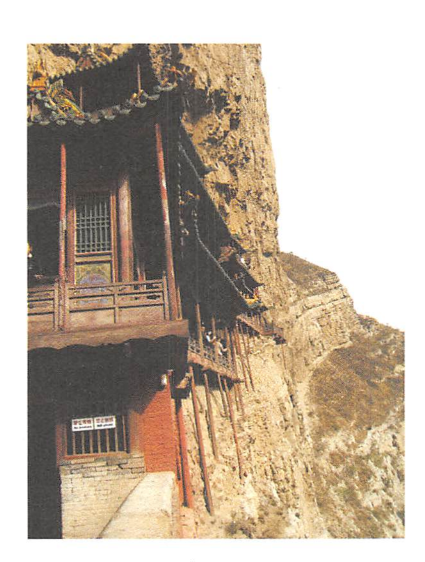




معبد داتونغ المعلق بشانشي.

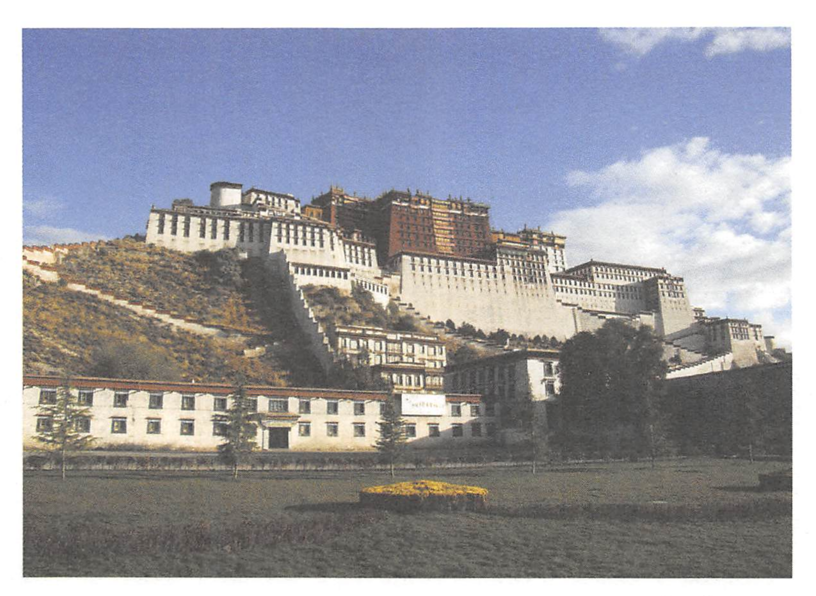
معمارية راسخة مهيبة ذات ألون مشرقة وبراقة غنية بملامح المنطقة التبتية. ومن أكثر المعابد تمثيلا لذلك قصر بوتالا في لاسا في التبت.

وقد كانت بداية بناء قصر بوتالا في القرن السابع الميلادي، حيث جاءت الأميرة ون تشنغ من سلالة أسرة تانغ وتزوجت من سونغ تسان قان بو، فبنى سونغ تسان قان بو للأميرة ون تشنغ "مدينة المباهاة للأجيال القادمة". وبمرور السنوات تم توسيعها حتى أصبحت تقريبا تغطي الجبل بأكمله، واتخذت أشكال المباني من قوة الجبل، وينقسم القصر إلى أربعة أجزاء هي القصر الأبيض، والقصر الأحمر، و"شيويه" سفح الجبل ولونغ وانغ تان. أما القصر الأبيض فهو قصر الدلاي لاما، ومعبد تلاوة لاما للكتب المقدسة ومدرسة رسمية للرهبان؛ و القصر الأحمر قصر لين تا والمصلى البوذي العائلي بجميع أنواعها



يعتمد حمل مبنى المعبد المعلق على أعمدة خشبية محشورة في منحدرات حجرية.





قصر لاسابودالا في التبت.

للدلاي لاما من العصور السابقة؛ وجزء "شيويه" للهيئات الحكومية، وورش عمل، وإسطبل الخيول وغيرها، أما لونغ وانغ تان فهي حديقة خلفية.

و في ضواحي المنتجع الجبلي تشنغ ده بمقاطعة خبي يوجد ثمانية معابد لاميه، تطلق عليها "الثمانية معابد الخارجية". قام ببناؤهم حكام أسرة تشنغ من أجل توحيد القوميات الأقلية الداخلية وخاصة كبار زعماء مناطق التبت ومنغوليا الذين يعتنقون اللامية، من بينهم معبد بوتو تسونغ تشنغ والذي يحاكي قصر بوتالا، ومعبد شومي فو شو وهو ويحاكي دير تشا شى لون بو في شياغتسيه في التبت.

أما المعابد البوذية في قومية داي في يون نان وغيرها من مناطق القوميات الأقلية تأثرت بشكل مباشر بالمعابد البوذية في ميانمار وتايلاند، في الوقت نفسه مزجت بين الخصائص البارعة للبنايات في ذلك المكان. حيث مرونة تصميم البنايات؛ والسقف ليس فقط مقسم إلى طبقات بل ومقسم أيضا إلى أقسام، ويبرز الجزء المركزي بالكامل؛ كما أن قمة السطح مغطى بمختلف أشكال الزخارف.

أبراج النصب البوذية

إن الأبراج هي عبارة عن نوع من الأبنية البوذية القديمة. وكانت أول الأبراج في الهند القديمة هى (سنسكرتي stupa" (stupa" (الحبيبات التي تتكون بعد تحويل جسم بوذا إلى رماد) تقديم القربان والأضاحي لساكياموني (مؤسس البوذية) "الذخيرة المقدسة"، كما تعتبر من الرموز التي ترمز لبوذا والذي

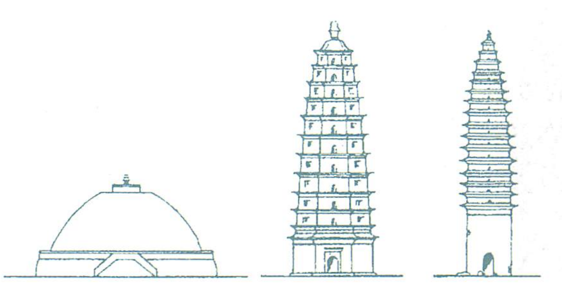


يقوم فيه البوذيون بالعبادة.

وبعد دخول الأبراج والديانة البوذية معاً الصين، فإن "stupa" الهندية سريعاً ما تجمعت مع الجناح الصيني (نوع من الأبنية الخاصة)، وكونت الأبراج البوذية التي على شكل أجنحة والتي تمتاز بالطابع والأسلوب الصيني: حيث يوجد في الأسفل الجناح؛ أما "stupa" التي تمثل بوذا فهي توجد في أعلى مكان بالمبنى، ويتم تقديم الأضاحي والقرابين في قمة هذا البرج، وهذا الجزء يطلق عليه "طاشا"؛ كما أن الساريرا (الذخيرة المقدسة) والنصوص الكلاسيكية البوذية وتمثال بوذا وغيرها من النفائس يتم المحافظة عليها وتجميعها في داخل القصر المتواجد تحت الأرض أسفل البرج. وعلى أساس البرج الذي يوجد على شكل جناح، تم تطوير البرج الذي يوجد على شكل مي يان وبرج الزهور والبرج المار بالطرق وباب البرج وغيرها من الأشكال. وعلى الرغم من أن كان مصدرها من الهند مباشرة، كالبرج اللامي وبرج جين قانغ باو تسوه الذين تأثروا بشكل قليل ونسبي بأجنحة قومية هان، والبرج الذي يوجد على شكل ميانمار بمنطقة مقاطعة داي بمدينة يون نان، إلا أن النماذج الأخرى والزخارف والديكورات الدقيقة أضيفت عليها أيضاً العديد من الأنماط والأشكال الصينية.

وكانت أول الأبراج التي ظهرت يتكون هيكلها من الخشب. وبسبب إن الهياكل الخشبية من الصعب أن تظل لفترة طويلة، فإنه في فترة الأسرتين الشمالية والجنوبية تم تطوير البرج الصخري المصنوع من الطوب، كما كان يوجد أيضاً بعد فترة أسرة تانغ وأسرة سونغ البرج النحاسي، والأكثر من ذلك ظهور بعد عهد أسرة سونغ برج باغودة المزجج، كما يوجد أيضاً الأبراج المصنوعة من الخزف وغيرها. وهناك آلاف الأبراج القديمة التي توجد حتى الآن في الصين، وهي في الغالب أبراج صخرية مصنوعة من الطوب. أما أقدم الأبراج الخشبية والذي ظلت موجودة حتى الآن فهو برج شي جيا تا بمعبد القصر البوذي بمحافظة يينغ في مقاطعة شان شي، وفي السنوات الأخيرة بالرغم من مروره بالكثير من الزلازل إلا إنه لايزال يقف شامخاً.

إن الأبراج البوذية تتكون من أبراج منفردة تطورت بالتدريج إلى برجين يواجه كل منهما الآخر أو




«البرج» في تطور الصين



ثلاث أبراج مواجهين لبعضهم، كما يوجد أيضاً خمسة وثمانية أبراج، حتى إنه يوجد مئات الأبراج. مثل مدينة تالين بمعبد شاو لين بمدينة دنغفانغ في مقاطعة خه نان، حيث كان يوجد البرج الصخري الذي به مايزيد عن ٢٢٠ مقعد منذ عهد أسرة تانغ حتى عهد أسرة تشينغ في مدة تزيد عن ألف سنة، فأشكالها متعددة، كما أنها غنية وممتلئة بالنقوش، وهي تعتبر دراسة للكنوز الفنية المنحوتة والأبنية الصخرية القديمة.

وقد أصبح للأبراج البوذية تدريجياً استخدامات أخرى حيث لم تعد رمزاً لبوذا في الصين، وقد أعطي ذلك لها المزيد والمزيد من الدلالات الثقافية. أولاً، إن الأجنحة ذات الطوابق العليا التي كانت موجودة في العصور الصينية القديمة كانت تُستخدم في الأصل في الوقوف على منصة مرتفعة لرؤية الأماكن البعيدة، واستمر هذا الاستخدام بعد إندماجها مع الأبراج. وبعد عهد أسرة تانغ وأسرة سونغ، فإن تسلق الأبراج أصبحت أكثر إنتشاراً وإزدهاراً. مثل برج الأوز البري العملاق (برج Jion) في مدينة شي آن، وكان هناك العديد من الشعراء المشهورين في عهد أسرة تانغ الذين صعدوا جميعاً إلى البرج، حيث جعلهم إلهام المنظر الطبيعي يُبدعون في كتابة الشعر، كما كان الأشخاص الذين يجتازون الفحوص الإمبراطورية يذهبون لبرج الأوز البري العملاق للتنزه والتجول وكتابة القصائد الشعرية، وتحول هذا في وقت قصير إلى عادة من العادات العامة والشائعة.

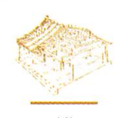
ومع تطور تسلق الأبراج ومشاهدة كل شيء من بعيد، أصبحت الأبراج تُستخدم أيضاً في الشئون العسكرية وفي الملاحة. مثل برج لياودي بمحافظة دينغ في مقاطعة خه باي والذي يبلغ ارتفاعه ٨٤ متر ـ وهو يُعتبر من الأبراج القديمة الأكثر ارتفاعاً في الصين والتي لا تزال موجودة حتى الآن، حيث قامت الأسرتان سونغ ووانغ من أجل الدفاع عن الجزء الشمالي من البلاد أثناء فترة أسرة لياو بتأسيسه لتقديم الأضاحي والقرابين للمشاهير، ولكنه كان في الواقع برجاً لمراقبة العدو؛ كما إن برج ليو خه بمدينة خانغ تشو قد أُسس في الأصل من أجل " قمع التيار" (التيار الكبير بنهر تشيان تانغ)، وبسبب إنه يقع في مكان الإنعطاف بضفة النهر التي يتداخل فيها نهر تشيان تانغ في البحر، لذلك تتوالى المهام

سلسلة البيانات

البرج الخشبي بمحافظة يينغ، اسمه بالكامل هو برج شي جيا تا بمعبد القصر البوذي بمحافظة يينغ، ويقع في داخل معبد القصر البوذي في الشمال الغربي داخل المدينة بمحافظة يينغ بمدينة شوه تشو مقاطعة شان شي، وقد تأسس في العام الثاني من لياو تشينغ نينغ (١٠٥٦) ، وفي العام السادس من جين مينغ تشانغ (١١٩٥) تم الإنتهاء منه . وهو يُعتبر من أعلى وأقدم الأبنية التي يتكون شكلها من برج هيكله خشبي والذي ظل باقياً في الصين حتى الآن، وهو يعتبر أيضاً البرج الوحيد الذي يوجد على شكل جناح ذو الهيكل الخشبي.



برج محافظة ينغ الخشب بشانشي والذي أسس عام ١٠٥٦ ميلادية.



الثقيلة على المنارة.

وبالإضافة إلى ذلك هناك العديد من الأبراج التي تحولت إلى جزء من المناظر الطبيعية الخلابة. ومنها برج لاما "البرج الأبيض" الذي يوجد على جزيرة تشيونغ هوا في البحر الشمالي ببكين، وقد قام بتصميمه وتأسيسه الحرفي أنيجو (Arniko) من نيبال، وأصبح مركز للصورة للطبيعية الرائعة في البحر الشمالي كله؛ إن معبد تشونغ شنغ داه لي بمقاطعة يون نان به ثلاث أبراج، أهمهم برج تشيان شون، وهناك اثنان من هؤلاء الأبراج أحدهما هو البرج الجنوبي والآخر هو البرج الشمالي، ويطلق عليهم معاً "الأبراج الثلاثة بمعبد تشونغ شنغ"، ويطلق عليهم أيضاً "الأبراج الثلاثة في داه لي"، ويقعون في أسفل جبل تسانغ وضفاف بحيرة أرخاي، ويعتبرون من رموز المدينة القديمة داه لي؛ برج لي فنغ المتواجد بقمة جبل نان بينغ بجانب البحيرة الغربية في مدينة هانغتشو فخلفيته عبارة عن قصة أسطورة «الأفعى البيضاء»، وُيقال في هذه الأسطورة إن الأفعى البيضاء الطيبة قد قُمعت في أسفل هذا البرج. وفي القرن السادس عشر قام قراصنة اليابان بإقتحام مدينة هانغتشو، وحرقوا برج لي فنغ، ولم يبقى سوى قلب البرج الصخري التالف، وتحت ضوء الشمس الغاربة، تكون "ضوء الشمس الغاربة على لي فنغ" وهي إحدى عشرات المناظر التي تتشكل على البحيرة الغربية.

وفي النصف الأخير من القرن السابع الميلادي، ظهر في الأبنية البوذية نموذج وشكل جديد ـــ النصب المقدس والذي هو عبارة عن عمود ذو ثمان زوايا نُقش عليه الكتاب المقدس (توه لوه ني جينغ)،

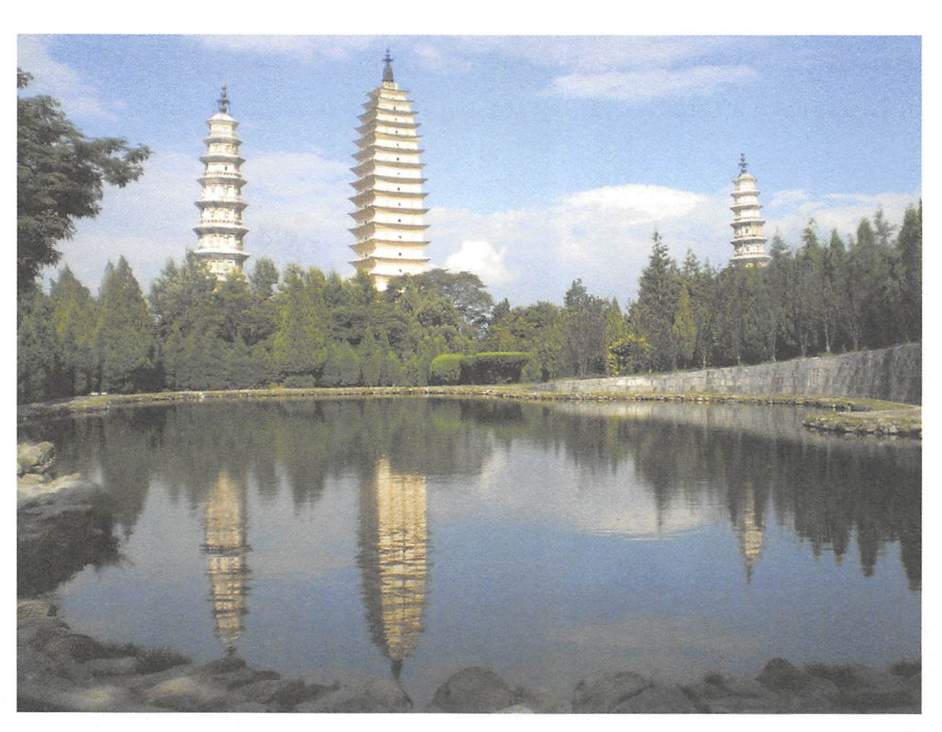


برج معبد شاولين بخنان



وهو بناء تذكاري لتعزيز وتطوير وتوسيع المذهب البوذي. وقد عرضت ماتريا بوذا أن يتم إنشاء عمود واحد فقط أمام قاعة بوذا الرئيسية، بل إن أميتا بوذا وأحد الصيادلة قد أمروا ببناء اثنان أو أربعة من النصب المقدس أمام قاعة بوذا الكبرى. وكان أول ظهور له في عهد أسرة تانغ، ومروراً بالأسرات الخمسة ووصولاً لعهد أسرة سونغ الشمالية تطور هذا البناء المقدس حتى وصل إلى قمته. والنصب المقدس المتواجد حالياً هو النصب المقدس من عهد أسرة سونغ الشمالية بمحافظة تشاو في مقاطعة خبي وهو الأكثر تمثيلاً على ذلك.

ينقسم النصب المقدس بمحافظة تشاو إلى ثلاث فقرات. حيث تم إضافة طابقان من الشو مي تسوه ذو ثمان زوايا على الشو مي تسوه الذي تتكون قاعدته من طابق واحد تبلغ مساحته ٦ متر مربع، وقد نحت حوله بوابات النيران وتمثال بوذا والمهارات الموسيقية وقطع اللوتس والأحداث والقصص المتغيرة وغيرها؛ كما إن جسم النصب المقدس يشتمل على عمود النصب ذو الثمان زوايا الذي به الباو تا شان وزهرة اللوتس والكتاب المقدس المنقوش كما يوجد أيضاً الباو قاي الحجري؛ ويوجد في قمة الباو محراب تمثال بوذا والتنين المنقوش وزهرة اللوتس والأوعية والباو تشو. إن هذا النصب المقدس يمتاز بحسن



الأبراج الثلاثة لمعبد دا لي تشونغ شنغ في يون نان.



التناسق والتوزيع وروعة النحت والنقوش إلى حد ما، وهوعبارة عن مجموعة أعمال ممتازة من الأحجار المنقوشة النادرة جداً.

الكهوف

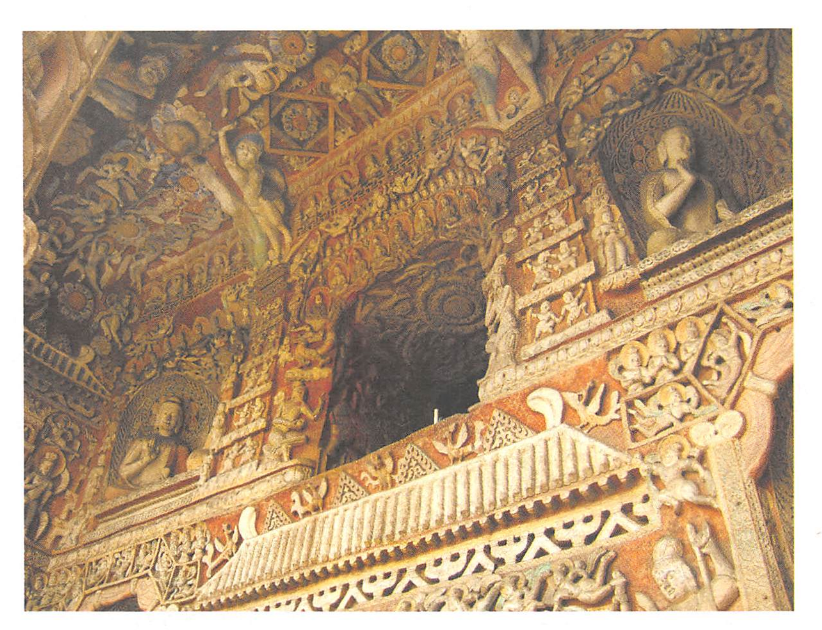
يرجع أصل الكهوف فى الصين إلى المعابد الموجودة بالكهوف فى الهند، فقد دخلت فكرة الكهوف إلى الصين فى فترة الأسر الجنوبية والشمالية وقد اندمجت مع الثقافة الصينية التقليدية، وقد تركت فى الطرق تراث ثقافى لعدد كبير من الكهوف، وقد دخلت فى مرحلة من الازدهار فى الفترة من أسرتى وى جين حتى أسرة تانغ. وقد جاءت الكهوف مع الديانة البوذية عند دخولها إلى الصين على الطريق من الهند إلى الصين قديماً، وهو أيضاً الطريق الذى مرت فيه أسرة هان إلى المنطقة الغربية، وقد انتشرت مرة أخرى لتصل إلى السهول الوسطى والمناطق الجنوبية عن طريق دخول الممر الموجود غرب النهر الأصفر من الغرب إلى الشرق، وهذا الطريق متشابه جداً مع "طريق الحرير" الشهير.

إن هذه الكهوف لا تُسجل فقط تاريخ تطور الديانة البوذية فى الصين، بل إن ما بها من الرسوم الجدارية الكبيرة والتماثيل الملونة تعكس أيضا التطورات والتغيرات التي طرأت على الفن والثقافة فى كل فترة من العصور الصينية القديمة. إن "الثلاثة كهوف الكبرى" الأكثر شهرة في الصين هم: كهف موقاو بمدينة دونهوانغ فى مقاطعة قانسو، وكهف يونقانغ فى مقاطعة شان شى، وكهف لونغمن بمدينة لوه يانغ فى مقاطعة خنان، وبالإضافة إلى هذه الكهوف يوجد أيضًا كهوف أخرى مثل كهف داتسو فى مقاطعة سيتشوان، كهف ماى دى شان فى مدينة تيان شوى بمقاطعة قانسو، وكهف تيان لونغ شان فى مدينة تاى يوان بمقاطعة شانشى، وكهف لينغ بينغ فى محافظة يونغ جينغ بمقاطعة قانسو . ويُعد كهف موقاو الكهف الأساسى فهو الأكبر حجماً فى كهوف دونهوانغ، وظل موجوداً لفترة طويلة، ومحتوياته أكثر غناءً، وحالته أكثر جودة.

تقع دونهوانغ بمقاطعة قانسو فى نقطة إلتقاء الطريقين الجنوبى والشمالي لطريق الحرير، وفى هذا العام كانت مدينة مزدهرة تجارياً وانتشرت فيها المعابد. وتُعرف كهوف موقاو بكهوف الألف بوذا، ويقال إنه فى العام الثانى من حكم جيان نيان من أسرة تشين (٣٦٦) قد رأى الراهب البوذى لوتسون أن قمة الجبل تلمع كما لو كان هناك ألف بوذا، لذلك تم حفر الكهف الأول فى جرف الجبل. وقد استمرت الحفرة فى كهف موقاو على مدار ستة أسر ملكية منذ الممالك الستة عشر (٣٠٤-٤٣٩) حتى أسرة يوان، وحتى اليوم تبدو واجهة الجرف وكأنها مليئة بالكهوف، وهناك درب خشبى معلق طويل يربط الكهوف الكبيرة والصغيرة، فجدران الكهف الأربعة لها علاقة بالرسوم الجدارية والتماثيل الملونة للديانة البوذية.

ويعد كهف موقاو من الكهوف ذات الإفريز التى بُنيت فى عصر أسرتى تانغ وسونغ، حيث إنها





كهوف يون جانغ بدا تونغ في شانشي

تُحاكى أشكال الأبنية الصينية ذات الهياكل الخشبية، والأعمدة المنحوتة، وأخشاب الشجر، وروافد السقوف الصينية، وفتحات الإفريز، والأسقف المغطاه بالقرميد، وأسقف الغرف، ومؤخرة طائر الباشق، وذلك لتعكس مراحل تأميم الكهوف الصينية. كما إن الرسوم الجدارية لكهف موقاو فى كل العصور، تعكس المشاهد التي أخذت في العصور الصينية القديمة في مختلف المجالات من الصيد البرى، والزراعة، والغزل والنسيج، والمواصلات، والحروب، هذا بالإضافة إلى مشاهد الرقص والغناء وغيرها من الأنشطة الإنتاجية والحياتية والإجتماعية الأخرى.

وتصور الرسوم الجدارية مختلف الشخصيات، وقد حافظت هذه الرسوم على معلومات كثيرة عن ملابس القوميات المختلفة على مدار التاريخ. وتمثال بوذا القديم مازال يُظهر تأثير فن المناطق الغربية، ويحمل مظهر الشخصيات وملابسهم الطابع الهندى والفارسى؛ وبعد عهد أسرة وى الشمالية حدث تغير واضح فى ملامح صور الأشخاص، وزاد الطابع الصينى فى شكل الملابس؛ أما أسرة تانغ فكانت تلك الفترة هي ذروة التطور، ففى تلك الفترة كان تغير تمثال بوذا واضحاً ومفعم بالحياة، وكان هناك تغير واضح أيضاً في أنماط زخرفة الملابس، حيث إن الزخارف الأجنبية التي كانت موجودة في الفترات القديمة من التاريخ كزخارف اللهب وزخارف النباتات والزهور قد اندمجت تدريجياً وتجمعت مع تصميمات الزهور والنباتات الرائعة والتصميمات الزخرفية المائية والتصميمات الزخرفية للفضاء الجوي والسحب البيضاء

الأنيقة التي تشبه سير السحاب وانسياب المياه التي كانت موجودة في الزخارف الصينية التقليدية ليتم ابتكار زخارف رائعة للزهور والنباتات فريدة من نوعها.

كما إن هناك الكثير من الأشكال القيمة والنادرة كتلك التي رسُمت في اللوحات الجدارية كأسوار المدينة وخنادقها، القصر الإمبراطوري، الأجنحة ، المقصورات، أبراج المعابد، الجسور وغيرها.

و الجدير بالذكر هى الحوريات الراقصة فى الرسوم الجدارية في دونهوانغ. إن الحوريات الراقصة تُعرف فى الديانة البوذية بـ"إله شيانغ ين" وهى من البوذيات الجميلات التي لها القدرة على عزف الموسيقى والرقص وتملأ أجسامهن الروائح العطرية الغريبة. فهن لا تشبهن الملائكة ذات الأجنحة التي ذكرت في الأساطير الإغريقية ولا تشبه أيضاً الحوريات اللاتي تعتلن السحاب وتمتطين الضباب فى الأساطير الهندية القديمة، وقد استخدم الفنانون فى العصور الصينية القديمة شريط زينة ناعم وطويل لجعل الحوريات الجميلات الرشيقات تتطير فى السماء مما يجعل التصوير الفني ينبض بالحياة. وعند ذكر دونهوانغ يتبادر مباشرة إلى أذهان الناس تلك الحوريات الساحرات.

وبمرور الوقت إزدادت تماثيل الكهوف إتساعا ًوكبراً، وبالتدريج إمتد التطور الذي طرأ على الكهوف

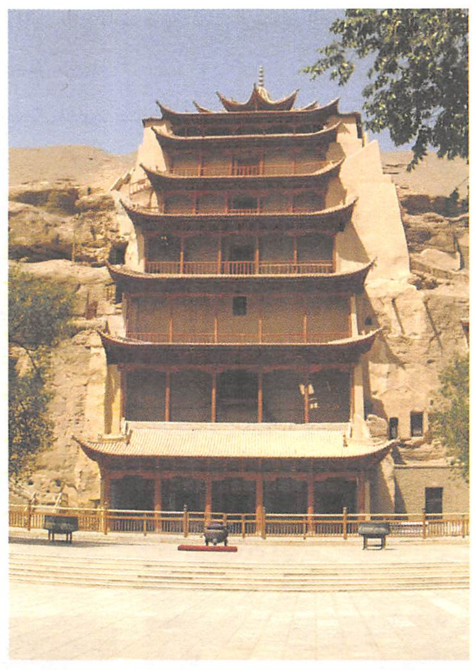
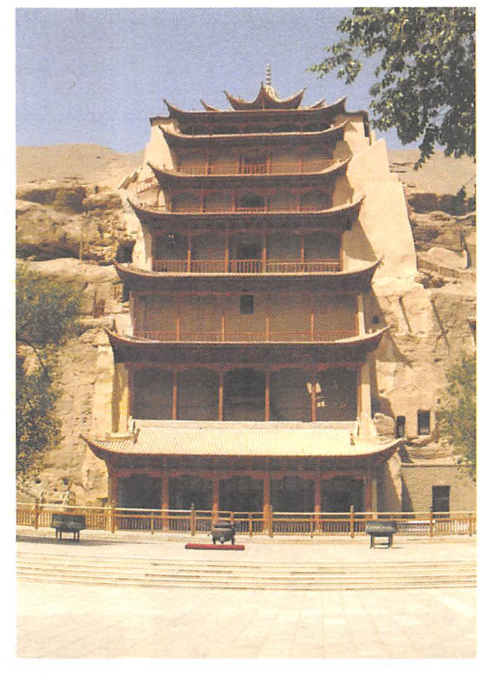


الكهف العشرين بكهوف يون جانغ الحجرية بداتونغ في شان شي, يبلغ أرتفاع تمثال بوذا ١٣,٧٥ متر, وهو يعد أهم ألاثار الموجوده بكهوف يون جانغ الحجرية.



يبلغ إرتفاع تمثال بوشيان بوسا الموجود بالكهف الحجري باب التنين في لوايانغ بخنان ١٣,٢٥ متر.



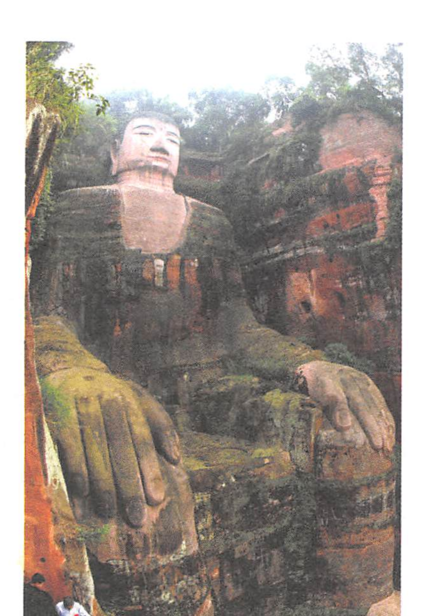


كهوف دونهوانغ مو جاو بمقاطعة جان سو

من الداخل إلى الخارج، وصولاً إلى أكبر تمثال لبوذا فى الصين الذي ظهر في عصر أسرة تانغ ــ تمثال بوذا الكبير فى مدينة له شان بمقاطعة سى تشوان. وقد حُفر التمثال من الصخور الطبيعية الموجودة عند جرف النهر المحازى لقمة تشيشيا بجبل لينغ يون، كما يسمى أيضاً تمثال بوذا العملاق لينغ يون، وهو تمثال لمترايا، وقد بدأ حفر الكهوف منذ بداية أسرة تانغ حتى بداية أسرة يوان عام(٧١٣)، واستمرت تسعين عاما. ويصل ارتفاع تمثال بوذا إلى ٧١ متر، وعرض الكتف ٢٤متر، وارتفاع أذنيه ٧ متر، ففى داخل أذنيه يمكن


حورية طيارة راقصة في كهوف دونهوانغ



أن يقف شخصين، وعرض ظهر قدميه ٨,٥ متر، ويمكن أن يقف فيها أكثر من مائة شخص، وهو معروف بـ " بوذا هو جبل، الجبل هو بوذا"، وهو يعد حاليا تمثال بوذا الأكبر فى العالم.



بوذا يوشان العملاق بسيتشهوان

العمارة الطاوية

تعد الصين موطن الديانة الطاوية حيث جاء أصلها من الشعوذة الشعبية و السحر . وقد بدات منذ عصر أسرة شانغ (١٦٠٠ قبل الميلاد-١٠٤٦ قبل الميلاد) بتقديس السماء والاقتداء بالاسلاف ، و بدأ رهبان الديانة الطاوية منذ فترة الممالك المتحاربة (٤٧٥قبل الميلاد -٢٢١قبل الميلاد) تجهيز إكسير الحياة ، وفى فترة أسرتى تشين وهان (٢٢١ قبل الميلاد-٢٢٠ ميلاديا) اندمجت أفكار "لاو تشوانغ" (لاو تسى وتشوانغ تسي) مع أفكار السحر والشعوذة وكونوا ما يعرف بمذهب "هوانغ لاو"، وفى عصر هان الشرقية (٢٥-٢٢٠) أسس تشانغ داو لينغ (أي معلم السماء تشانغ) " وو دو مى طاو"، وتكون بذلك الشكل الاخير للديانة الطاوية . ويعد لاو تسى مؤسس الديانة الطاوية ، حيث اُستعريت افكاره الفلسفية ، ويعتبر كتاب «الاخلاق المقدس» هو الكتاب الاساسى فى الديانة الطاوية .

ولأن الديانة الطاوية نبعت من بين الناس فقديما كانت أماكن وجودها الأساسية هى المناطق الجبلية، لذلك كانت أبنية الديانة الطاوية عبارة عن كهوف، وغرف حجرية، وحجرات هادئة، وقاعات كبيرة، ومساكن جبلية، وبيوت من القش، ومنازل مجانية وغيرها من الاماكن السكنية . ومتطلبات البيئة السكنية بسيطة فهى تتلخص فقط فى الأمل فى أن يعيشوا فى أماكن قيلية السكان لذلك ذهبوا إلى الأماكن البعيدة .

وفى عهد اسرتى وى وجين(٢٢٠-٣١٦) اقتبست الطاوية أفكار الكونفوشية والبوذية وأدخلت عليهما تعديلات وذلك لتلبى احتياجات الحكام الاقطاعيين و بالتدريج تحسن مذهب الطاوية وخرجت نظريات جديدة، فأتباع الطاوية يجب عليهم أن يتخذوا الاخلاص والطاعة والبروالعدالة كأساس و أيضا إكسير الحياة لإطالة العمر . ومنذ ذلك الوقت وتجسد الطاوية متطلبات الاباطرة فى حكم عقول الشعب فى العصور القديمة، وقد نالت استحسان الحكام ، وقد تقدمت الطاوية من أنها دين شعبى بدائى إلى ديانة رسمية. ولتسهيل اندماجها مع السلطة فقد بدأت أبنية الديانة الطاوية تظهر فى السهول والمدن،



فـ"القصور" و"المعابد" التي كانت أبنية البلاط الملكي تحوات إلى أسماء مبانى الديانة الطاوية.

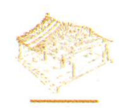
وفى عهد أسرة تانغ يعد لاو تسى الذى يسمى أر ويلقب لى بأنه من الأوائل وقد لُقب بلقب إقطاعى وهو "الإمبراطور تاى شانغ شوان يوان " وقد أُختصر إلى "تاى شانغ لاو جون"، وأصبح فى نفس مكانة إله من آلهة البوذية وهو ساكيامونى. وقد أولت أسرة سونغ إهتماها للديانة الطاوية فقد تحولت كل المعابد الأساسية إلى معابد للديانة الطاوية . وفى العام السابع لإمبراطور دا دينغ لأسرة جين (١١٦٧) ،أسس وانغ تشونغ يانغ كل المذاهب الدينية ، وقد انتشرت أبنية الديانة الطاوية فى كل الدولة وكانت شديدة الرواج .وفى عصر أسرة يوان استقبل جينكيز خان تشيو تشو دى تلميذ وانغ تشونغ يانغ استقبالا حارا وبعد أسرتى مينغ وتشينغ انحدرت الديانة الطاوية من الازدهار إلى الضعف .

إن الغالبية المطلقة من مبانى الديانة الطاوية التى بنيت منذ أكثر من ألفى عام قد ُبنيت فوق الجبال . ويبدو من ذلك أن أبنية الديانة الطاوية مشابه لأبنية الديانة البوذية .ولكن أبنية الديانة الطاوية تحمل أساس أيديولوجى خاص بها.

ففى البداية تحت تأثير الأفكار الأساسية للطاوية وهى "يتبع الإنسان الأرض، وتتبع الأرض السماء، وتتبع السماء الطاوية، وتتبع الطاوية الطبيعة"، فأصبح الأيمان بالطبيعة والانسجام معها والعودة إليها من المساعى الحتمية للعمارة فى الديانة الطاوية. حيث تتطلب الأبنية أن تكون في الغابات البرية ، وتندمج مع



معبد خندق السور الجاف

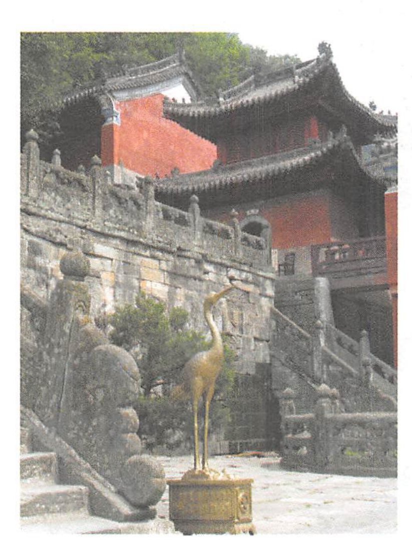


الجبال، وتتكيف مع البيئة وفى نفس الوقت يجب أن يتناسب المكان مع الشمس والقمر والعناصر الخمسة وقانون الرموز الثمانية (فى التنجيم) لتمتزج بين الجبال والمياه، وبهذا الشكل تصل إلى المهارة الفنية وانسجام الفن مع الطبيعة، وتصل لحالة "اندماج الإنسان مع الطبيعة" ومن ثم الحصول على حياة أطول.

وبعدها جعلت ممارسات الكهنة الطاويين من "الروح الخالدة" الهدف الأخير، أما هذه الجبال فقد اعتبرها الناس أنها "الجنة". فالعصور الصينية القديمة غنية بالحكايات والخرافات الأسطورية، فيُعتقد في الديانة الطاوية أن المكان الذى تسكن فيه الروح الخالدة فى هذه الأساطير بالإضافة إلى أنها تسكن البحار الشاسعة البعيدة وفضاء السماء التاسعة، تسكن أيضا فى "الكهف السماوى وأرضه السعيدة" الذي يصعب الوصول إليه في الجبال. وتشير كلمة "كهف" أو"فتحة" إلى الوصول للسماء، وتشير كلمة "السعادة" إلى فأل الخير، وتعبر أن الرهبنة الحقيقية تكون فى هذه الأماكن . لذلك فان الديانة الطاوية جعلت الموقع الجغرافى الحقيقى متقابل مع "الكهف السماوى وأرضه السعيدة"، وبذلك تحدد بيئة وموقع الأبنية فى الديانة الطاوية .

ومن ناحية أخرى فإن مذهب الطاوية يحمل احتياجات ممارسة رياضة تشيقونغ ويحمل أيضا غموض استخلاص إكسير الحياة، لذلك يتطلب أن تكون بيئة هذه الأماكن هادئة، غامضة فكانت الغابات الجبلية مناسبة لهذه المتطلبات. و يعد إكسير الحياة فى معتقدات الديانة الطاوية شيئا مقدسا، والغرفة التى يصنع فيها أيضا محرمة لا يمكن الاعتداء عليها، كما له تاثير هام على اختيار موقع ومساحة أبنية قصور ومعابد الديانة الطاوية.

وجزء من قصور ومعابد الطاوية بُنيت فوق قمم الجبال واتخذت المبانى ارتفاع الجبال وانعزالها عن الناس وحمل ارتفاع الجبال معنى الاقتراب من السماء واندمجت المعابد فى الافق، وحملت إحساس يتجاوزعالم الفناء ويتخلص من العادات والتقاليد، فالمذهب به جو الجنة. كما يقع موقع عدد كبيرمنالقصور والمعابد على سفوح الجبال، والهضاب المنبسطة الجبلية، والحقول المنحدرة، فى ظهر الجبال ومواجهة للمياه، كما تكون الجهة الخلفية مواجهة القمر والجهة الامامية الشمس. وقد خرج هذا من التفكير فى نظريات البيئة الروحية التقليدية، وبهذا الشكل فان



قصر دز شياو بجبال ودانغ بشمال البحيرة



التضاريس لها فائدة بالنسبة "للجو" حيث يكون فيه السلاسة والتقارب والاستجمام، وبذلك تندمج المبانى مع البيئة المحيطة.

وتحت تأثير كل العوامل فقد ظهرت أبنية الديانة الطاوية عادة فى الأماكن المقدسة بالجبال مثل جبل وودانغ فى مقاطعة خوبى، وجبل تشينغ تشنغ فى مقاطعة سيتشوان، وجبل لاو فى مقاطعة شاندونغ وغيرهم. ولأن الطاوية تعتقد بأن الروح الخالدة تحب المبانى بالقرب من المعبد، لذلك ففى داخل معابد الطاوية كان يبنى دائما "مرصد" وذلك للترحيب بالروح الخالدة ، والمبانى الروحية لها درجة كبيرة من الوضوح ، والتي أصبحت واحدة من سمات العمارة الطاوية .

وقد دعا لاو تسى إلى ترك الشهوات وإلى التقشف، وقد ظهرت هذه الافكار فى شكل المبانى معابد الطاوية التي بُنيت على الجبال وظهر أيضا فى المواد المصنوعة منها. وبعد ما أصبحت الديانة الرسمية فلم تعد منازل الرهبان الطاويين فى الكهوف الحجرية والاكواخ ولكن أصبحت المعابد ذات شكل مفعم بالحياة والبيئة الجميلة ، ولكن المواد المستخدمة فى البناء فهى مواد محلية منتجة من أماكن البناء، فلا يوجد إسراف، ولا ترف أو بذخ ، كما أن هذه الابنية لم تتخذ من الشكل الرسمى شكل لها ،وكانت تتخذ الشكل البسيط للمبانى الشعبية لتظهر السمات القوية للمكان.



منظر ثلوج بي شياتس على جبال تايشان بمقاطعة شاندونغ



وتعد الطاوية ديانة متعدد المذاهب "حيث تتخذ من تاى شانغ مؤسساً لها، ومن البوذية معتقداً لها، ومن أسلوب كونفوشيوس طريقةً لها" وتجمعت معاً هذه المذاهب رغم اختلافاتها لتجعل الديانات الكونفوشية والبوذية والطاوية تحترم هذه الأبنية الطاوية. ولأن جميع مذاهب الطاوية وما تعتقده من خلود الروح تجاوز التعدد والتعقيد، ولتسهيل انتشارها، لذلك قامت الطاوية بمحاكاة ما فى الديانة البوذية " ثلاثة تماثيل بوذا"، وقامت بدمج الآلهة الكبرى لكل مذهب ليصبحوا" المؤسسين الثلاثة للطاوية".

ولذلك فقد احتلت قاعات المؤسسين الثلاثة فى المبانى الطاوية مكانة هامة وأصبحت القاعات الأساسية فى المعابد الطاوية . وقد حاكت أيضا الطاوية نظام المشيخة العشائرية لمذهب الكونفوشية وقد قامت بتصنيف آلهة هذا المذهب لتظهر الكريم من الردىء والمبانى التى تقدم فيها القرابين أيضا صُنفت بهذا الشكل وقد أثر هذا على مساحة المعابد الطاوية .

تعد معابد تقديم القرابين للآلهة فى الديانة الطاوية نموذج لأبنية المعابد. وتعد الديانة الطاوية المؤسسة الحقيقة لفكرة تقديم القرابين ومؤسس الطاوية ذو المكانة الأعلى هو لاوتسى، لذلك تعتبر قاعة المؤسسين الثلاثة لتقديم القرابين في المعابد الطاوية هى والقاعة الأساسية، القاعة الرئيسية، وتوضع لوحة لاوتسى التذكارية فى منتصف القاعة الرئيسية وتقدم لها القرابين، وبالإضافة إلى قاعة المؤسسين الثلاثة يوجد أيضا أماكن كثيرة مزودة بقاعة للمؤسسين، وقاعة لاو جين (المقصورة) متخصصة بتقديم القرابين إلى لاوتسى. وهناك أيضا مبنى (قاعة) الإمبراطور يو، وقاعة شنغمو، وقاعة دولاو، وقصر تشن وو(لعبادة شوان وو)، والثلاثة قاعات (لعبادة السماء والأرض والمياه) وغيرهم، فكل هذه المبانى تتمتع بدرجة عالية من المستوى وتوجد على خط المحور الرئيسى مع قاعة المؤسسين الثلاثة.

وفى عصر أسرة مينغ أعيد بناء الجزء الاكبر من المعابد الطاوية الموجودة حاليا، فالاثار القديمة قليلة. وفى عهد أسرة تانغ بدأ بناء قصر يونغله بمدينة روى خلف محافظة يونغجى بمقاطعة شانشى، وقد أُعيد بناؤه فى العام الثالث من حكم أسرة يوان (١٢٦٢) ، ويوجد حاليا المبانى الموجودة فى منتصف المحور مثل بوابة شان، وقاعة ووجى، وقاعة المؤسسين الثلاثة، وقاعة تشونيانغ ، وقاعة تشونغيانغ وغيرهم من المبانى الأساسية .

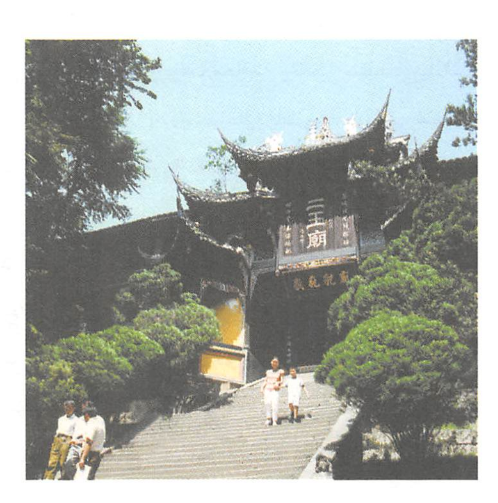
ويعد قصر يونغله من أقدم المعابد الطاوية الموجودة حتى الأن فى الصين حاليا كما أنه يحتفظ بشكل كامل بالسمات المعمارية لأسرة تانغ؛ ومعبد الإمبراطور يو فى قرية بمدينة جين والذي يحتفظ أيضا بجزء من العمارة فى أسرة سونغ ويوان حيث يوجد بداخله ثمانى وعشرين تمثال فتصاميم التماثيل بها مهارة عالية وتنبض بالحياة، وهو نتاج متميز لتماثيل الصلصال فى عهد أسرة يوان؛ ويوجد فى مدينة سوتشو القاعة الكبرى لمعبد شوانمياو وقد بنى فى عصر أسرة سونغ الشمالية ، وقد أُعيد بناؤه فى العام السادس لحكم الإمبراطور تشونشى فى عصر أسرة سونغ الجنوبية (١١٧٩)، وتتسع الواجهة لتشتمل





قصر تشينغ بجبال المدينة الخضراء بسي تشهوان

على تسع غرف، وفى الداخل ستة غرف، والقمة بها تسع أطناف وذات حجم هائل ، ومن الداخل يمكن أن ترى الحجم العادى لمعابد الطاوية فى عهد أسرة سونغ ، أما مجموعة المبانى القديمة التى بُنيت فى جبل وودانغ فى خوبى فقد بدأ بناؤها فى عهد أسرة تانغ، وفى أسرة مينغ وفى العام الواحد والثلاثين من حكم الإمبراطور جياجينغ (١٥٥٢) تحولت مجوعة المبانى إلى تسع قصور وتسع معابد واثنى وسبعين معبد حجرى وست وثلاثين دير وقد اتخدت المبانى من شكل المعابد الطاوية جوهر للمبانى الاخرى . وقد بُنيت المعابد الطاوية الأساسية فى أحواض الجبال وفوق الهضاب، لتكون سلسلة، حيث تحتل المعابد الحجرية قمم الحبال وبذلك فإن الفن المعمارى والجمال المعمارى وصلوا لحد الكمال، وفى العصور الصينية االقديمة يوجد العديد من المفاهيم العلمية والتكنولوجية والثقاقية الغنية ،



معبد الملك الثاني (الهيكل الثاني) بمدينة تشينغ في سي تشوان



وفى عام ١٩٩٤أُدرجت في قائمة التراث الثقافى العالمى، وقد بدأ بناء المعابد فى جبل تشينغ تشنغ بمدينة سيتشوان فى عهد أسرة جين وازدهرت فى عهد أسرة تانغ ، ويوجد حاليا أحد عشر معبد للديانة الطاوية وتتميز بالطبيعية والعراقة والقدم وهى تحمل الطابع الثقافى للديانة الطاوية فى الصين وتحمل صفات سكان مدينة سيتشوان، وقد أُدرجت في قائمة التراث الثقافى العالمى فى عام ٢٠٠٠ .

ويعد تراث أسرتى مينغ وتشينغ من معابد الديانة الطاوية كثير نسبيا ، مثل معبد باى يون فى بكين ، وجبل لونغشى فى مدينة جويشى بمقاطعة جيانغشى ، ومعبد لوتاى فى جياشى ، وقصر تشينغيانغ فى سيتشوان وغيرهم من الأماكن، فكل هذه الأماكن لها شهرة واسعة.

العمارة الإسلامية

منذ دخول الإسلام في الصين وانتشاره في منتصف القرن السابع الميلادي، وقد قامت جميع قوميات الأقلية التي تؤمن بالإسلام بتأسيس العديد من العمارة الإسلامية وفقاً لتعاليم الدين الإسلامي، وكان هذا من أجل تلبية متطلبات الحياة الدينية لدى المسلمين. وبسبب الاندماج لفترة طويلة في الحياة الاجتماعية الصينية، فإن العمارة الإسلامية في الصين قد تكون لها أنماط وأساليب فريدة من نوعها، كما إنها تختلف بشكل كبير عن العمارة الإسلامية في البلاد العربية، والأكثر من ذلك هو اختلافها مع الأنماط



مساجد تيان دا وشيجيانغ



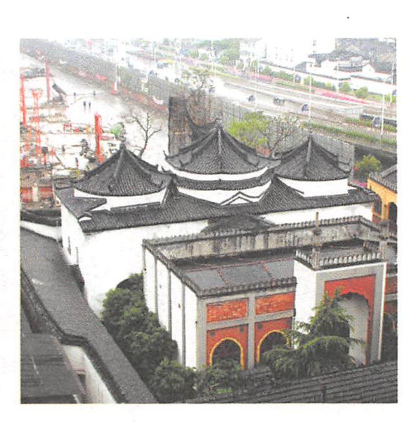
المختلطة القومية والمحلية الصينية.

إن الجامع الإسلامي يطلق عليه في اللغة العربية "مسجد"، وهو مكان للعبادة باتجاه مكة المكرمة، وهناك حرية كبيرة في اختيار المكان الذي سيقوم فيه المسلم بالصلاة والعبادة، وليس هناك تقيد بالمناطق الحضرية والريفية. ومن ناحية أخرى فإنه بسبب صرامة الدين الإسلامي الشديدة فيما يتعلق بالطهارة والنظافة، لذلك فإنه يجب اختيار وانتقاء مكان نظيف وجاف ومريح لبناء المساجد.

إن العمارة الإسلامية الصينية يمكن أن تنقسم إلى نوعين: النوع الأول هو مساجد قومية هوي ومقامات الأئمة المنتشرة في جميع المقاطعات والمناطق والمدن المحلية في الصين، وهي أساساً من عمارة قومية خان وقد أسست من أجل التعديلات والإصلاحات التي تحتاجها الأنشطة الدينية الإسلامية؛ والنوع الآخر هو المسجد والمقام (المزار) الشائعان في منطقة شين جيانغ وكانا غنيان بأسلوب قومية الويغور، وهذا النوع من العمارة الإسلامية يقترب من التقاليد الثقافية في شرق آسيا، كما إن أسلوب الهندسة المعمارية والزخرفة والديكور به فريداً إلى حد ما.

مساجد قومية هوي الموجودة في داخل الصين

لقد دخل الإسلام إلى الصين في فترة تانغ تشن قوان (٦٢٧-٦٤٩)، وفي تلك الفترة كان هناك تطور لا مثيل له للتجارة البحرية، وتكوّن "طريق الحرير البحري"، وأصبح التجار المسلمين العرب هم رواد المسلمون الصينيين، وقد تركوا في المناطق الساحلية آثار ثقافية إسلامية قيمة، ومن بينها مسجد هواي شنغ في قوانغ تشو، ومسجد شنغ يو بمدينة تشوان تشو، ومسجد (فنغ خوانغ) العنقاء بمدينة هانغتشو، ومسجد شيان خه بمدينة يانغ تشو وغيرها من المساجد الأكثر شهرة في الصين.



تستطيع من أعلى سطح معبد العنقاء بخانغجو أن ترى بوضوح النمط المعماري الصيني التقليدي. المزج مع النمط المعماري الإسلامي.

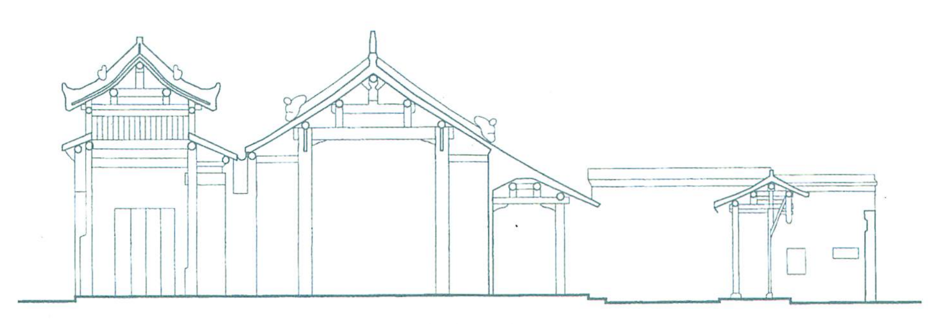
لقد كانت مساجد قومية هوي في أوائل ظهورها في داخل البلاد تستخدم أو تتأثر بالهندسة المعمارية في شرق آسيا بشكل عميق، كما هو الحال في مسجد شنغ يو بمدينة تشوان تشو في مقاطعة فوجيان، حيث يوجد به الباب المقوس ذو القبة عالية الارتفاع المكونة من الحجر الرملي ذو اللون الأخضر الفاتر، وقد تم تخطيط قاعة الصلاة به بالعرض، كما تم تصميم النوافذ دون أي زخارف أو يكور، ويوجد في الجزء



الداخلي محراب (موضع أو مقام الإمام) على شكل قوس مدبب، يوجد بهذا المسجد أيضاً بعض النقوش باللغة العربية وغيرها، وأسلوب بناء هذا المسجد يشبه الهندسة المعمارية في شرق آسيا.

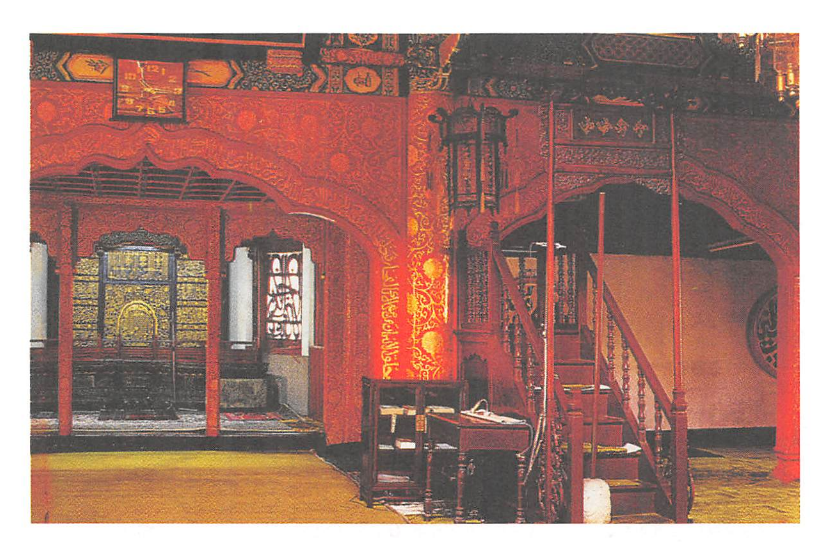
مع الاندماج في تأثير ثقافة قومية هان، فقد بدأت مساجد قومية هوي في داخل البلاد تستخجم التخطيط والتنظيم التقليدي والعمال الحرفيين والمواد الخام والتقنيات التي تم تطبيقها واستخدامها في أبنية وعمارة قومية خان، وأنتجت العمارة الإسلامية لقومية هوي الصينية وذلك وفقاً لمضمون الفكر الديني في الإسلام. ولقد تم البدأ في تأسيس مسجد العنقاء(فنغ خوانغ) بمدينة هانغتشو مقاطعة تشه جيانغ في فترة أسرة سونغ وأسرة يوان، وقد تم إعادة بنائه بعد ذلك عدة مرات. وفي داخل قاعات الصلاة الأخرى يوجد ثلاث قباب نصف كروية، كما يوجد قنطرة دائرية (قبة) في مدخل الباب الكبير، ويوجد في الجانبين برجين مدببين(مئذنتين)، ويبدو عليهم التأثر بالهندسة المعمارية للعرب؛ ولكن الجزء العلوي من الثلاث قباب مُغطى بسقف تقليدي مخروطي الشكل وبه قطع من القرميد سداسية وثمانية الزوايا، وهو يشير إلى إنه تدريجياً قد تم قبول الأشكال المعمارية التقليدية الصينية. وفي بداية أسرة مينغ كأقصى فترة، فإن العمارة الإسلامية في داخل البلاد بداية من التخطيط والتنظيم الشامل وحتى استخدام المواد الخام وتكوين الهيكل وتشكيل الشكل النهائي للعمارة فإن هناك مجموعة كبيرة منها قد اندمجت بل إنها تقبلت تماماً التقاليد المحلية.

ومن منطلق ما يمكن القول إن معابد الطاوية لقومية خان وغيرها من الهندسة المعمارية للديانات التقليدية الأخرى تعتبر جميعها من الأنواع المتفرعة من المباني السكنية العامة، وقياساً على ذلك الاستمرار في التنظيم والتخطيط على شكل الديار الشرقية الرباعية (سي خه يوان). وإن الخصائص الرئيسية لهذا النوع من العمارة هي التماثل المحوري، وتنظيم تخطيطها وتوزيعها، ويتكون هيكلها من الخشب وسقفها من القرميد كما يوجد بها الأعمدة المنقوشة والعوارض المزخرفة، ويوجد منها أيضاً على شكل معبد أو على شكل قصر امبراطوري. أما المساجد التي جاءت في الفترة التالية فكانت أيضاً على هذا النحو، وفي حالة



لوحة مقطعية بالمعبد الكراكي بيانغ جو





«المحراب والمنبر»داخل القاعة الكبرى بمسجد شارع نيو في بكين.

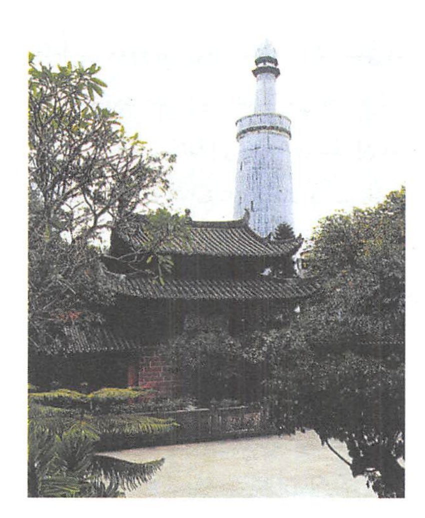
أن يكون مكان الصلاة غير كاف للاستخدام، فإنه يتم زيادة صف أو عدة صفوف بمحاذاة الجهة الخلفية للمحور المركزي. وتعتبر المساجد بالنسبة للمؤمنين هي مكان للصلاة فقط، وليس مكان لتقديم الأضاحي والقرابين للآلهة، ومن ثم فهي لا تزال من العادات والتقاليد المشتركة أو من الأعراف العامة، وإن هذا من المحتمل أن يكون هو الاختلاف الأكثر جوهرياً بين المساجد ومعابد البوذية ومعابد الطاوية. وبالإضافة إلى ذلك فإنه بسبب إن اتجاه الصلاة يجب أن يكون في اتجاه الكعبة بمكة المكرمة، وهذا الاتجاه في الصين هو في الجهة الغربية، لذلك فإن عمق شمال وجنوب العمارة والأبنية في قومية خان سيستدير قليلاً، ويتحول إلى عمق الشرق والغرب الذي يتطلبه الدين الإسلامي. كما إن مسجد هوا جويه شيانغ بمدينة شيان به العديد من الفناءات والتي تعتبر من أكثر الأمثلة النموذجية.

إن القاعة الكبرى تعتبر هي البناء الرئيسي في المسجد، وتتم "الصلاة" في هذه القاعة الكبرى، لذلك فإن حجمها هو الأكبر في المسجد كله، ويتم الجلوس في الجهة الغربية باتجاه الشرق، يحث يكون مكان الجلوس في موضع هام داخل المسجد. وإن الجانب الغربي داخل القاعة هو مكان اتجاه الكعبة بمكة المكرمة ويستخدم الجدار للإشارة إلى اتجاه الصلاة، ويطلق على هذا الجدار " جي بو لا"؛ حيث إن جي بو لا تتقاطع مع المحور الرئيسي للمسجد، كما إن موقعها المركزي يحفر فيه جدار مقعر، وهو يعبر عن الاتجاه والمكان الذي توجد فيه مكة المكرمة، وهذا الجدار المقعر يطلق عليه "المحراب". ويعتبر جدار الصلاة والجدار المقعر (المحراب) من أهم المواضع داخل المسجد، لذلك عادة ما يتم استخدام الهيكل الصخري (الطوبي) والسقف المقبب والقنطرة التي اعتاد العرب استخدامها، وذلك لجعل هذا الجزء يصبح

ردهة ذات قبو. ويوجد أيضاً بهذه الردهة سلم بعشر درجات، وهي ترمز إلى المقعد الذي كان يجلس فيه سيدنا محمد لإلقاء الخطب الدينية، وفي أثناء الوقت الذي يقوم في الإمام بالصعود إلى المحراب للشرح والتفسير فإن أقصى عدد من الدرجات يستطيع الإمام صعودها هو ثلاث درجات، ويطلق عليه العرب "المنبر"، ويطلق عليه أيضاً منصة التفسير والنشر. ويعتبر جدار الصلاة والجدار المقعر(المحراب) والمنبر من الثلاث عناصر الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها في داخل قاعة الصلاة الكبرى بالمسجد، وغالباً ما يتم زخرفتها وتزينها من حين إلى آخر.

وفي الجهة الأمامية من المحراب توجد ساحة الصلاة الرئيسية، ويوجد أمام ساحة الصلاة الرئسية رواق أمامي يضع فيه المصليين أحذيتهم. وبناء على إن الدين الإسلامي لا يدعو إلى عبادة الأصنام والأوثان، فإنه في أثناء الصلاة يجب فقط التوجه إلى اتجاه الصلاة، ولذلك فإن هناك حرية في الأشكال المسطحة والمستوية التي يتم التوجه إليها للصلاة، ويتم صناعة أشكال متعددة وغنية منها. إن الهندسة المعمارية الصينية قد تأثرت بأحجام الهياكل الخشبية، حيث إن حجم المباني الفردية ليس كبيراً، لذلك فإنه من أجل أن يكون هناك أماكن عديدة تستوعب المؤمنين قدر المستطاع، يتم تجميع بعض من المباني مع بعضها البعض لتكوين ساحة كبيرة فارغة بالقاعة الكبرى التي تكون دائما في اتجاه الصلاة، وبهذا الشكل فإنه إذا تم وضع سقف على هذه الساحات الفارغة فسيتكون فناء فارغ كبير ضائع، ولهذا يقوم المسلمون الصينيون بتقسيم السقف الكبير إلى عدد من الأسقف صغيرة، ويتم ربط جميع الجوانب ليتكون هيكل واحد، حتى يمكن رؤية السقف المرتفع والمنخفض من جانب واحد، وهي مليئة بالتغيرات، مكونة شكل "قو ليان دا" الفريد والنادر في العمارة الإسلامية الصينية (وهو شكل الهيكل أو البناء الذي يتكون من ربط الأسقف الأمامية والخلفية لمبنيين أو أكثر مع بعضهما البعض).

المئذنة (البرج)، ويطلق عليها في اللغة الصينية أيضاً البرج المنير أو برج الإنذار والتنبيه أو المنارة، فهي عبارة عن بناء مرتفع يتم صعوده ودعوة الناس للصلاة من خلال المؤذن الذي يقوم بإعلاء صوت الآذان. وبسبب إن شكل المئذنة عبارة عن جسم شاهق طويل ورفيع ويجذب انتباه الجميع، فهي بذلك أصبحت رمزاً نادراً وعلامة فريدة في الدين الإسلامي. وإن الشكل الذي توجد



مائذنة ومبنى القمر بمعبد هوايشنغ بجوانغ جو





مأذنة البازار الدولي ارومتشي بشيتجيانغ

عليه مئذنة مسجد هواي شنغ بمدينة قوانغتشو جعلها تعد من المآذن الفريدة من نوعها، فهي مستديرة الشكل، وغير مقسمة إلى أقسام أو طوابق، وفي الجزء العلوي يوجد منصة مستوية، ومثبت على المنصة المستوية مئذنة أخرى صغيرة، وفيما عدا الهويات الصغيرة التي تكون مغلقة تماماً، فإن هذه المئذنة تختلف تماماً عن جميع المآذن الصينية السابقة، حتى إنه من الصعب البحث عن أمثلة شبيه بها في البلدان العربية، ويوجد فقط المئذنة اللولبية في الجامع الكبير في سمراء في العراق الذي تأسس في ٨٥٢-٨٤٨ ميلادياً هي التي تماثلها إلى حد ما. وبسبب إن هذه المئذنة هي برج خاص، فإن مسجد هواي شنغ يطلق عليه أيضاً مسجد (قوانغ تا) أي المسجد ذو المئذنة المنيرة.

ومن الأركان التي حددها الإسلام إنه في شهر التاسع من العام الهجري من كل عام يجب على الناس أن يصوموا لمدة شهر كامل (أي الامتناع عن الطعام والشراب طوال النهار)، ويتم تحديد بداية ونهاية شهر رمضان مع مراقبة الهلال الجديد، ومن ثم فقد تم انشاء بناء شاهق ومرتفع في مكان مرتفع بداخل المسجد ـــ برج استطلاع الهلال. وفي منتصف فترة أسرة مينغ، وكان التربوي هو دنغ تشاو من قومية هوي بمقاطعة شان شي (١٥٩٧-١٥٢٢) قد قام بالذهاب إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وقام بإلقاء المحاضرات الدينية عن القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في داخل المساجد، وبدأت ظهور الأبنية التي يوجد بها قاعة للمحاضرات الدينية، وانتشرت من مقاطعة شان شي لتشمل جميع أنحاء العالم.

إن الدين الإسلامي يترجم في اللغة الصينية إلى تشينغ تشن جياو (دين الطهر والنظافة)، لأن الدين الإسلامي به متطلبات صارمة فيما يتعلق بالطهارة والنظافة، فمن خصائصه الطهارة والنقاوة. حيث يجب على المسلمين قبل الصلاة أن يقوموا بالوضوء وفقاً للمتطلبات الإسلام (غسل الوجه والأذن والأنف والفم واليدين والقدم وغيرها) أو يغتسلوا الغسل الكبير (الاستحمام وغسل الجسد كله)، وعلى هذا فإنه لا يمكن الاستغناء عن (دورات المياه) غرف المياه وبرك المياه وغيرها من مرافق الدعم والمساعدة. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يوجد أيضاً في داخل المسجد الجدار الحاجب البوابة التذكارية (القوس التذكاري) والنصب التذكارية المقامة على الألواح الحجرية والمبخرة (مجمرة البخور) وغيرها من القطع المعمارية ذات الخصائص الصينية.

إن زخارف العمارة الإسلامية يهيمن عليها اللون الأرزق والأخضر والأبيض والأسود وغيرها من درجات الألوان الباردة، وإن هذا له علاقة بالبيئة الجافة والحارة في جميع المناطق في العالم العربي، وفي نفس الوقت فإن ذلك يتناسب ويتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي في النظافة والطهارة. وإن العمارة الإسلامية في الصين قد تأثرت جيداً بذلك، حيث يوجد بها جميعاً الطوب الأسود والبلاط الرمادي، وحتى إن تم استخدام القرميد المزجج في الأسقف فإن معظمها يكون من الزجاج الأزرق والأخضر، ويمكن استخدام الزجاج الأصفر فقط في حالة تلقي الأمر الامبراطوري. ومثل مقاطعة شان دونغ التي تقترب من المسجد بالرغم من إنها تستخدم الزجاج ذو اللون الأصفر، إلا إنها لا تزال تستخدم الحواف المقصوصة من الزجاج ذو اللون الأخضر، حيث إنه يضعف جو وحالة التباهي والعظمة الزائدة.

إن العمارة الإسلامية يوجد بها زخارف ثقيلة للغاية. أما زخرفة العمارة الإسلامية في الصين فهي لا تشبه العمارة الإسلامية تلك التي تُرصع بالفسيفساء أو النحت والنقش على الجص أو الملاط، بل إنه على قواعد الهياكل الخشبية والهياكل الصخرية يتم الرسم بالألوان والنقش على الخشب وتقنيات النحت على الطوب والقطع الصخرية، وهناك العديد من المساجد المشهورة التي تكون معروفة بفنون الزخرفة الرائعة الجميلة. وإن المحتويات التي تشتمل عليها هذه الزخارف في الغالب هي اللولب وزهرة كستناء الماء والفوانيا الشجرية زهرة اللوتس وثمرة الرمان وغيرها من أنماط التجزيعات النباتية؛ أما الأنماط والأشكال الحيوانية فاستخدامها محدود أو ممنوع استخدامها في العمارة الإسلامية، وبعد ذلك تأثرت بثقافة قومية خان ويظهر هذا التأثير أحياناً على زخارف البلاط والقرميد.

إن المواضع المشتركة في فنون الزخرفة بين العمارة الإسلامية في العالم العربي والعمارة الإسلامية في الصين توجد في إن كل منهم يستخدم رموز الكتابة وجمال الزخارف الموجودة بها جميعاً لخدمة فنون الهندسة المعمارية، وإن هذا من الصعب رؤيته في نظام فنون العمارة الأخرى. وبالإضافة إلى الأشكال الزخرفية التي تستخدم الحروف العربية والرموز الصينية في العمارة الإسلامية في الصين،




مقبرة الرموز الثمانية الثلاثية بقبة شيا لين بجان سو

فإنه يوجد أيضاً اللوحات التي تكون عبارة عن زوج من المخطوطات التي تحتوي على المقطوعات الشعرية المكتوبة باللغتين اللغة الصينية والعربية، وإن هذا من المحتمل أن يكون هو كل ما يوجد بشكل خاص في ثقافة قومية خان.

وفي داخل القاعة الكبرى في المسجد تبرز النقاط الهامة من الزخارف، وتتركز في موضع المحراب، أو يتم نقش كلمات الشهادة باللغة العربية: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"؛ أو صناعة مجموعة متنوعة من الأنماط الزخرفية، وهي بذلك تتطبق مبادئ الذوق الحسن لجذب انتباه الجميع إليها دون فقدان الاحترام. وعلى سبيل المثال هناك الجدار المقعر (المحراب) الموجود بمسجد نيو جيه ببكين رائع للغاية، وبسبب إنه في ذلك العصر في الأسرة الملكية كان الأمبراطور كي يتكيف مع هذا الطقس يستخدم في جميع أجزاء القاعة اللون الأحمر اللامع، وكان يستخدم بشكل خاص بين أعمدة القاعة الكبرى وأبواب هوان العمودية، كما نُحت على قنطرة اللهب الكلمات الدينية ويوجد أيضاً طبقات من الطلاء الذهبي، ويكون هناك تقاطعات طولية وعرضية، طبقات متراكمة فوق بعضها البعض، وهذا يخلق شعور جميل مفعم لا حدود له. ولذلك فإن مسجد نيو جيه ليس فقط هو المسجد الأول في التاريخ في الجزء الشمالي، بل إنه يعد من الطراز الأول على مستوى العالم من الحيث التنظيم الرائع والعظيم.

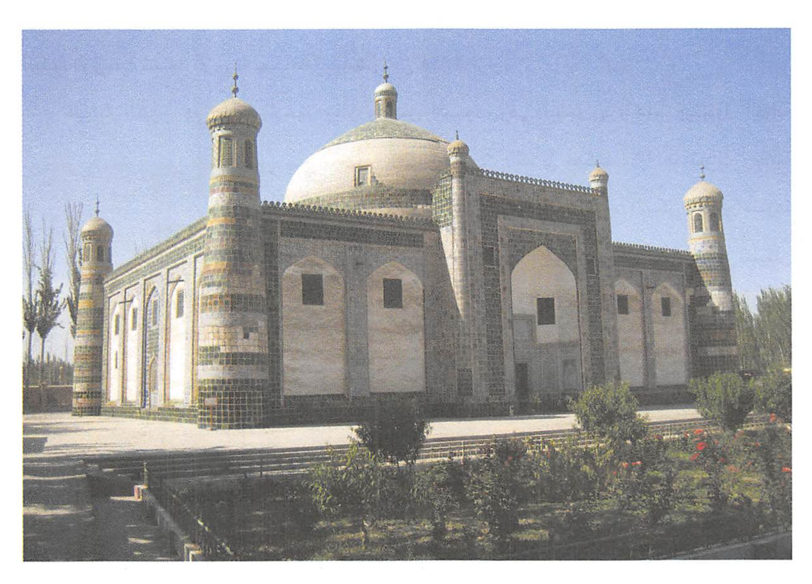
وإن الشيء الجدير بالذكر هو القبر ذو الثلاث طبقات الذي يعد ضمن العمارة الإسلامية الصينية، وهو يعتبر من أحد الإبداعات التي قام المسلمون الصينيون ببنائها كمقام إسلامي. ويوجد به ثلاث طبقات من الإفريز وهي التي عادة ما تظهر في الأبنية ذات الهياكل الخشبية الصينية التقليدية؛ ويوجد به الثمانية رموز في التنجيم في كل جهة، و ترمز الأربعة جوانب والثمانية جهة إلى السماء والأرض، وفي الداخل قد تم تثبيت جسم المقام هذا على شكل قوس أو قبة. وبسبب وجود الباب الأمامي فقط، فإن هذا يترك مكاناً لمشاهدة الإبداعات سواءً كانت النقوش والنحت الموجود على الصخور أو النقوش الموجودة على القطع الطينية (قطع الصلصال) ، وموضوعات هذه التماثيل الصخرية والنقوش الطينية غنية ومفعمة، فهي صور

حية، كما إنها تحمل أيضاً معاني كثيرة كالرياح الناعمة والقمر اللامع والخيرزان والأقحوان وهم جميعاً العديد من التعبيرات الرمزية الموجودة بتقاليد ثقافة قومية خان، كما يوجد بهم أيضاً أشكال الكعبة بمكة المكرمة ومسجد الرسول بالمدينة المنورة وغيرها من أشكال الهندسة المعمارية.

مساجد منطقة شينجيانج ويغور ذاتية الحكم

تنتشر المساجد في ويغور في منطقة شينجيانج بشكل كامل، فمنذ بداية انتشار الإسلام في شينجيانج في القرن العاشر، تم وضع نظام للبنايات الإسلامية يختلف عن نظام قومية هوي وذلك على أساس المباني السكنية التقليدية القديمة في شينجيانج.

وعلى الرغم من أن التخطيط المعماري لمساجد ويغور يتخذ شكل ساحة المسجد، إلا أنها بشكل عام ليس لها خط محوري واضح، مما يجعلها تتسم بالحرية و المرونة إلى حد ما. والجزء الرئيسي أيضا هو قاعة الصلاة، و تنقسم إلى قاعة خلفية (تستخدم في الشتاء) والممر الأمامي (يستخدم في الصيف)، من بينها ما يوجد بداخلها جدار الصلاة، الجدار المقعر، المنبر، و كثيرا ما تستخدم شكل القاعة ذات الهيكل الخشبي متعددة العواميد أو الهيكل الطيني ذو القبة. ويعد مسجد أيتي كاه الذي يقع في ميدان أتيجار بمدينة كاشاجار هو المسجد الأكبر نطاقا والأكثر روعة والأعظم مهابة في شينجيانج، يبلغ عمره حاليا أكثر من ٥٠٠ عام. ساحة الصلاة به عبارة عن قاعة متعددة الأعمدة، تنقسم إلى ثلاث أجزاء القاعة



مقبرة كشين اباك خواجيا بشينجيانغ





المشهد الخارجي لمسجد كشين ايتهجاير بشينجيانغ

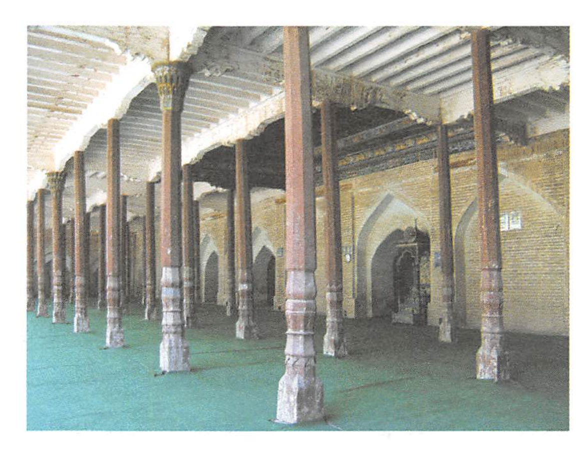
الداخلية والقاعة الخارجية والممر الجانبي، يوجد بالقاعة الداخلية ١٤٠ عمود خشبي. وبالوقوف داخل هذه القاعة لا يسع للناس إلا التفكير في النموذج الأمثل للقاعات متعددة الأعمدة --- وهو المسجد الكبير في قرطبة بأسبانيا. حيث أن قاعته الرئيسية ذات الهيكل المقبب تتميز بمركزية واضحة، بها توزيع متمركز، القاعة الرئيسية لمسجد عزي نا بمحافظة شاتشى من هذا الطراز.

البوابة الكبرى هي بوابة الدخول والخروج من المسجد، وهي أيضا رمزا هام، وبدخول البوابة الكبرى يمكنك رؤية مستويات ومكانة مساجد ويغور. الشكل الأكثر شيوعا لها هو مئذنتان شاهقتان تطبقان على حاجز من الطوب، واجهة الفتحة الداخلية للجدار مقعرة بشكل حاد التقوس، موزعة إلى مصرعين يتسمين بالضخامة والمتانة، شاهقين بارزين، لتبدو راسخة في منظر رائع ومهيب، بوابة المسجد تشبه بوابات إيران الشائعة. وفي مساجد ويغور دائما ما



في داخل المحراب العميق على الجدار الاوسط بالقاعة الرئيسية لمسجد ايتهاجير وضع منبر مدرج, وعند الصلاة يقف الإمام عليه يتلو ايات القرأن الكريم.

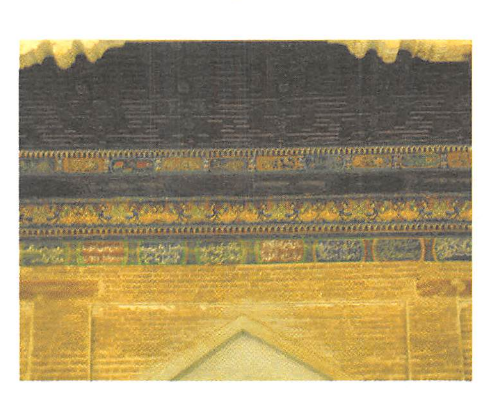



تغطى الممرات المحيطة بالمسجد جميعها بالسجاد. وعند الصلاة يتجه المصلين نحو الغرب حيث يتواجد جدار الصلاة.

تكون المآذنة تعتبر نوع من أنواع العلامات المميزة والزخرفة، حتى أنه لايمكن تسلقها.

الزخارف الغنية هي خاصية تميز جميع البنايات الإسلامية، فجمال وروعة قصر الحمراء (Alhambra) بغرناطة في أسبانيا يبهر الناس. و غنى التصاميم الزخرفية داخل مساجد شينجيانج ويغور تقريبا تصل إلى ذروة الكمال. مواد البناء تحدد أنماط الزخرفة، حيث يمكن نحت وزخرفة العوارض الجسرية الخشبية، وعلى السقف المضلع السميك رسومات ونقوش ملونة؛ أما هياكل الطوب أساسها النقوش والزخارف الجبسية، الطوب المجمع، الطوب ذو الرسومات الزخرفية، الطوب المطلي بالمينا الملونة.

ونظرا لعدم وجود أصنام للعبادة داخل قاعة الصلاة، لذلك تمتلئ الأسقف، العوارض الجسرية، وعلى الجدران بكتابة الآيات، وتتم زخرفة الآيات بواسطة مجموعة متنوعة من التصاميم المختلفة أو التصاميم النباتية، مثل الكروم والأزهار والأوراق والثمار بجميع أنواعهم. البعض منها تصاميم ورسومات ملونة والبعض زخارف ومنحوتات جبسية، وأخرى تستخدم الفسيفساء المرصعة، كما تستخدم البعض طلاء الواجهة بالطوب المطلي بالمينا الملونة أو البناء باستخدام الطوب المطلي بالمينا الملونة. وكثير ما تستخدم في الألوان زرقة الياقوت، الأخضر الهادئ، الأخضر الغامق، زرقة الطاووس، الأبيض، الأسود وغيرها، واستخدام كمية قليلة من مسحوق الفضة ومسحوق الألومنيوم على تلك الزخرفة، مما يزيد المظهر جمالا وروعة. الخصائص المشتركة بين تلك الزخارف هي أن تلك الزخارف والرسومات صغيرة وبسيطة، دقيقة ومتقنة، عدم التركيز على الشعور المجسم، بل تملئ كل التفاصيل لتصبح سطح مستو أو سطح كثير الانحناءات؛ ثانيا لا تترك


الزخارف المنقوشة على الحائط الخارجي لمسجد يغور بشينجيانغ



فجوات، حيث تغطي كل ما يمكن أن ترى العين.

الأبنية المسيحية

طبقا للتسجيلات الخاصة بـ"انتشار الدين المسيحي في داتشين" والتي اكتشفت عن طريق الحفر بشيان وذلك بعهد أسرة مينغ الملكية فإن دخول المسيحية الى الصين يمكن أن يعود تاريخه للعام التاسع من حكم تشنكوان من أسرة تانج (عام ٦٣٥). في ذلك الوقت كان تايتسونغ من أسرة تانج قد بدأ ينفذ السياسة الثقافية الانفتاحية، فكان يقوم باستيعاب وتنمية كافة الثقافات سواء كانت ثقافة داخلية من جميع القوميات أو ثقافة مستوردة من الخارج. وبذلك قام بتقديم فرصة لانتشار المسيحية. وفي ذلك الوقت كانت الكنائس تتطبع بالطابع الصيني المعماري, حيث كان الصينيون يطلقون عليها كلمة "معبد".

ومنذ نهاية عهد أسرة تانج الملكية وحتى عهد أسرة سونغ الملكية الشمالية كانت المسيحية قد توارت عن الأنظار وسط أرجاء الصين. ولكن ومع بداية أسرة يوان الملكية بدأت المسيحية في الانتعاش مرة أخرى وكانت الكنائس-المعابد الصليبية- في ذلك الحين قد اتخذت الطراز المعماري الصيني طابعاً لها فيما عدا التأثيث والتخطيط الداخلي للكنيسة فكانت تتميز بطابع ديني مختلف.

أما في عهدي أسرة مينغ وتشينغ فكانت المسيحية تمنع حينا ويسمح بها حينا آخر، حيث كانت المسيحية مازالت تنتشر بعض الشيء وذلك قبل أن تحظر الديانات في عهد جيا تشينغ من أسرة تشينغ الملكية. وفي عام ١٥٨٣وصل ماتيو ريتشي الكاثوليكي اليسوعي إلى قوانغتشو وفي عام ١٥٩٦ عين أول رئيسا للكنيسة اليسوعية بالصينية. وتوافد المبشرون بالمذهب اليسوعي بعد ماتيو ريتشي مجيئا إلى الصين. وكانت الكنائس في بداية ظهورها تتبع طراز الدور الشعبية والمعابد أو كانت تتبع التقاليد الصينية المعمارية في البناء بالإضافة إلى بعض الزخارف الغربية الطراز مكللة ببساطة بالصليب كرمز للكنيسة. فيما بعد تولى بعض المبشرين الغربيين مهمة التصميم بأنفسهم، وبذلك أصبحت الكنائس المسيحية أول طراز معماري غربي يدخل وينتشر في أرجاء الصين.

وبعد عام ١٨٦٠ حصلت الدول الغربية الكبرى عن طريق المعاهدات غير العادلة وبالقوة على حق نشر الدين المسيحي بالصين بحرية تامة. ومنذ ذلك الحين بدأ المبشرون المسيحيون يدخلون الصينعلى نطاق واسع. في هذه الفترة اتخذ المبشرون شكل المعتدين وبوارج المعتدين في دخول الصين، حيث لم يعدوا ينفذون سياسة عهد ماتيو في نشر الدين والتي كانت تقوم على "التوافق" مع التقاليد والثقافات الصينية، بل كانوا يريدون صراحة أن يعيدوا صياغة الثقافة والعادات الصينية باستخدام ثقافة وتعاليم الدين المسيحي. مما انعكس على الطراز المعماري للكنائس حيث أصبحت تحاكي أو تتخذ الطراز



المعماري الغربي للكنائس كسمة رئيسية لها، وذلك انعكاسا "للحركة الانقلابية" التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في التاريخ المعماري العالمي بالصين. حيث إن معالم الكنائس الكاثولوكية لم تختلف كثيراً عن الطراز الغربي على عكس الكنائس البروتستانية والكنائس الأرثوذكسية حيث إن الاختلاف كان كبيرا. ومجمل القول فإن الطراز المعماري للكنائس بالصين قد تأثر بشكل رئيسي بالطرز المعمارية الآتية:



تعد كنيسة نانتهانغ الموجودة بمنطقة شوانوو ببكين والتي أنشأها ماتيو ريتشي في عهد اسرة مينغ هي أقدم كنيسة كاثولوكية ببكين.

كنائس ذات الطراز الروماني: حيث انتشر هذا الطراز في فترة مبكرة بين الكنائس بالصين. وتعد كنيسة سان فرانسوا زافيير التي أقيمت في شارع دونغجيادو بشنغهاي بين عامي ١٨٤٧- ١٨٥٣ من أولى الكنائس التي أنشئت على الطراز الغربي مقارنة بالكنائس الموجودة بالوقت الحاضر، وذلك متخذة اسم فرانسوا زافيير من المذهب اليسوعي وهو أول من جاء من الشرق الأقصى ولكنه توفي بجزيرة شانغ تشوان قبل دخوله إلى الصين، حيث يمتزج الطراز الروماني بالطراز الباروكي في هذه الكنيسة. أما كنيسة شيانغ جينغ بينغ الكاثولوكية والتي كان يطلق عليها قديما كنيسة سان جوزيف والتي أقيمت بين عامي ١٨٦١-١٨٦٠ بالطريق الجنوبي بسيتشوان بالمنطقة الفرنسية بشانغهاي فهي تمثل إلى حد ما نموذج للكنائس الفرنسية ذات الطابع الروماني، حيث تجذب ألوان زجاج النوافذ فوق الجدران وبشكل خاص أنظار الناس.

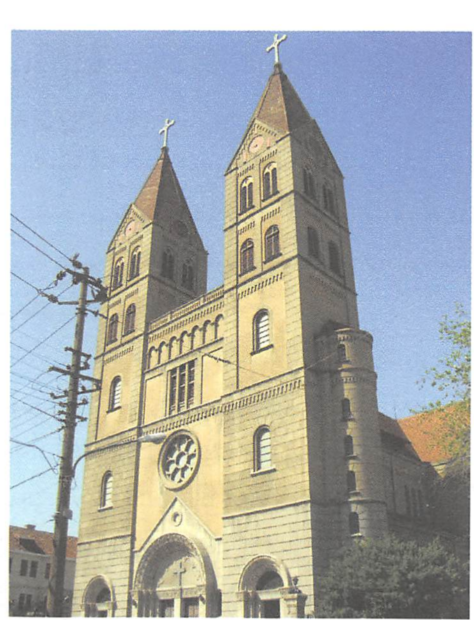
كنائس ذات طراز قوطي: ينتشر هذا النوع من الطراز المعماري بين الكنائس الكثولوكية والبروتستانية المسيحية بالصين. وتعد كنيسة القلب المقدس التي أقيمت في قوانغتشو بين عامي ١٨٦٣-١٨٨٨ هي إحدى الكنائس الكاثولوكية الأكثر نموذجية في العصر القريب والأكثر دقة للطراز المعماري القوطي الفرنسي بالصين، حيث يصل ارتفاع برجها إلى ٥٨,٥ متر لذلك تعد تاج لكافة الكنائس الموجودة بالصين. ومن أبرز الكنائس الكاثولوكية والتي قد تم اختيارها لتكون أكبر الكنائس بشانغهاي -كنيسة شيوي جيا خوي- حيث يوجد برج شاهق على جانبي البوابة الرئيسية لها ومن الداخل يوجد هياكل مقنطرة الإطار على الطراز القوطي، وتتميز الكنيسة ككل بكبر حجمها وتناسق ألوانها مما يعطي إحساسا بالقدسية

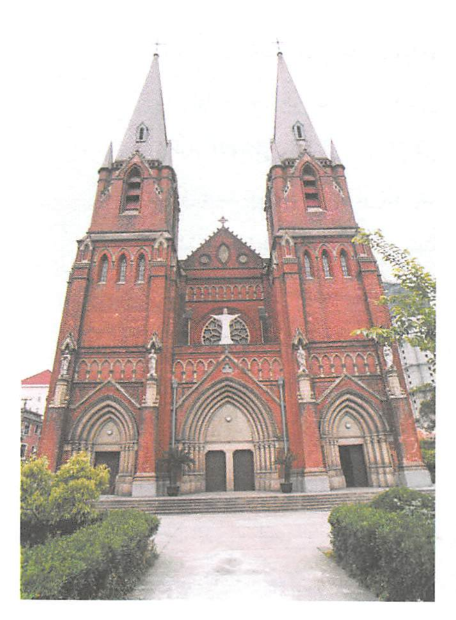


والسمو، لذا يطلق عليها "عملاق الكنائس الصينية". أما بالنسبة لكنيسة الثالوث المقدس والتي تعد أقدم الكنائس الموجودة بشنغهاي في الوقت الحاضر فهي تتخذ الطراز القوطي الإنجليزي طابع لها، كما ان بها جزء يتميز بالطابع المعماري الروماني.

في الصين كنائس تحاكي عصر النهضة والطراز الباروكي وهي ليست بالقليلة. فكاتدرائية سانت مايكل الواقعة على طريق تشجيانغ بمدينة تشينغداو مقامة بأسلوب تصميم أدخل معمار عصر النهضة على الخليط بين الطراز القوطي والطراز الروماني، وهي نموذج للمعمار باختيار الأفضل. وتقع على قمة تل صغير في شانشي يطل على البحر، ببرجين عاليين، أصبحت جزء هام في صورة مدينة تشينغداو، كما أنها نقطة هامة في المناظر الطبيعية بالمدينة.

مدينة هاربين هي أكثر مدينة شيدت بها الكنائس الأرثوذكسية، متأثرة بشكل عميق بطراز الكنائس الروسية. حيث يتميز المعمار الروسي بدقة أعمال الطوب، بناء الجدران دون تجصيص، وعمل الزخارف المختلفة من الطوب، وتنعكس هذه السمات بالكامل في كنيسة سانت صوفيا بمدينة هاربين. وقد أقيمت كنيسة سانت صوفيا في عام ١٩٠٧، فهي من السطح الأفقي على شكل صليب لاتيني، الجزء الرئيسي هو هيكل بقنطرة أسطوانية يتلاقى أفقياً ورأسياً، تحت القبة الوسطى قاعدة دائرية قُطرها الخارجي ١٠ أمتار يدعمها أربع دعامات، أعلى القاعدة قبة ضخمة بصلية الشكل، البرج ثماني الأضلاع على الواجهة

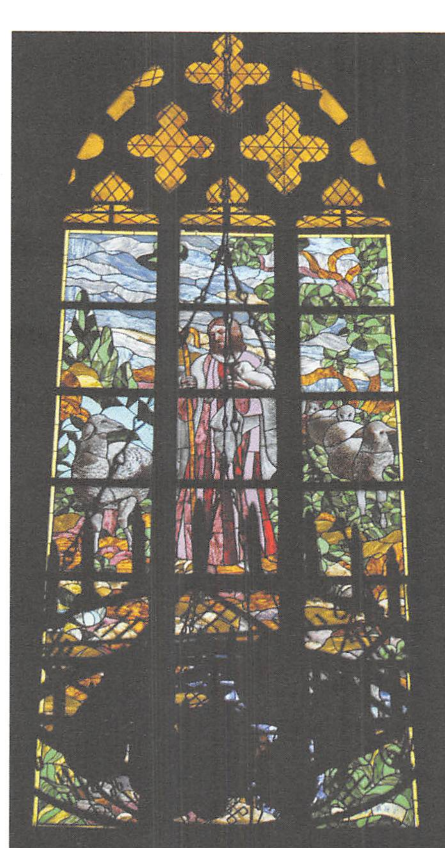

كنيسة القديس اميل بطريق بجزيرة تشينغ


كنيسة شوجياهوي الكاثولوكية بشانغهاي



هو برج مدبب على شكل الخيمة، وأعلى البرج مكلل بقبة بصلية الشكل، والشيء نفسه على الجوانب الثلاث الأخرى، لكنها أقل ارتفاعاً من الواجهة، لإبراز المدخل الرئيسي.

قام المبشرون بنشر تأثير ثقافة المعمار الغربي من بكين وشنغهاي وتيانجين وغيرها من المدن الرئيسية في العصر الحديث إلى نطاق أوسع داخل الصين، حتى في المدن والقرى البعيدة، يمكن مشاهدة الكنائس الغربية الطراز شامخة بين الكثير من المباني التقليدية الصينية. إلا أن الكنائس المشيدة في هذه الأماكن أكثر حيوية من ناحية الشكل المعماري، فالأبراج والأسقف والأقواس المزخرفة والبوابات المزينة وغيرها من العناصر الأساسية للمعمار الصيني التقليدي، مع أبراج معمار الكنائس الغربية وقبابه وأعمدته وقناطره ونوافذه وردية الشكل وصلبانه وغيرها كلها تندمج بحُرية، لتشكل الأشكال المعمارية المختلفة بحيوية مؤثرة ومتعة كاملة، مكونة مناظر فريدة تاريخية لتلاقي الثقافة المعمارية الصينية والغربية في العصر الحديث بالصين.



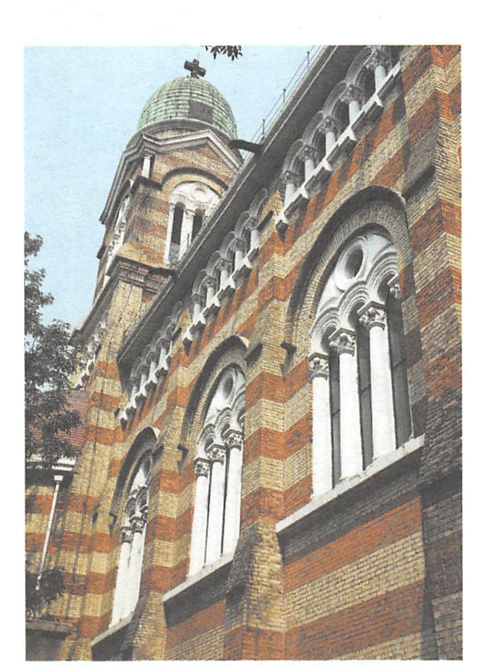
النوافذ المنقوشة والزجاج الملون لكنيسة ايمانويل اللوثرية بشانغهاي

لجذب المعتنقين للعقيدة في المزيد من الأماكن بالصين، واصل المبشرون إطلاق أعمال ثقافية (ترجمة الكتب، إصدار الصحف، مدارس الإرساليات) والأعمال الخيرية (المستشفيات، الساليسيان [رعاية الأطفال]، تقديم المساعدات) لتكون أداة مساعدة في التبشير، واستمر ذلك حوالي مائة عام. من بينها المدارس والمستشفيات وهي شكل معماري احتل مساحة كبيرة نسبياً، فشكلها المعماري يضم الكلاسيكية الغربية، نزعة اختيار الأفضل، أسلوب المزج بين الصين والغرب، كما أن هناك "الطراز الصيني".

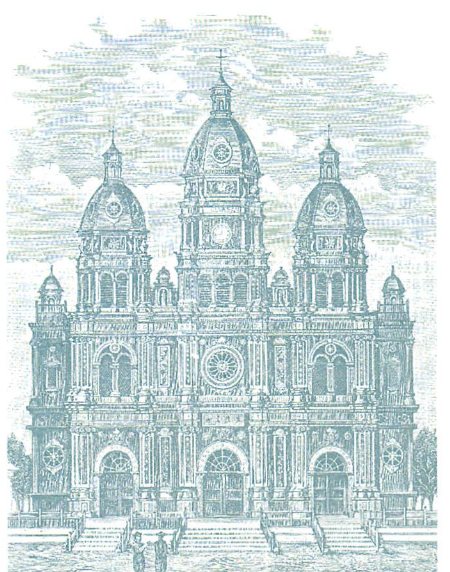
تعد سلسلة مدارس كنيسة هوايشه (١٨٩٤) بجامعة سان جون في شنغهاي (تقع حالياً في جامعة شرق الصين للعلوم السياسية والقانون) وغيرها هي أقدم



مباني المدارس الجامعة للطراز الصيني والغربي، فالتكوين لا يزال يحافظ على الطراز المعماري الغربي، إلا أن السقف استخدم فيه سقف جملون مستعرض مفرد الإفريز وجملون مدبب بأربع زوايا متعدد الطنف، كما أن سقف البرج يحاكي المعمار التقليدي في جيانغنان، مزين وشامخ من الأربع زوايا. ورغم أن الحركة الوطنية بالصين في بداية القرن العشرين لم يكن لها تأثير كبير على شكل معمار الكنائس، لكنها كانت السبب في اتجاه عمارة مدارس الإرساليات والمستشفيات إلى البحث عن الأشكال القومية في المعمار الصيني. طوال عشرينات القرن العشرين، ظهرت المزيد من جامعات الإرساليات على الطراز الصيني وبعض مستشفيات الإرساليات، مثل جامعة يانجينج في بكين (جامعة بكين حالياً)، جامعة جينلينج في نانكينج (جامعة نانكينج حالياً)، جامعة جينلينج للفتيات (منطقة مدارس سوييوان بجامعة نانكينج للتربية حالياً)، جامعة لينجنان في قوانغتشو (جامعة صن يات تسن [تشونغشان] حالياً)، مستشفى الاتحاد في بكين وغيرها. هذه المدارس والمستشفيات كلها تعكس فهم المعماريين الغرب للمعمار الصيني التقليدي، والعناصر المكونة للمعمار الصيني التقليدي المُعالَج باستخدام أسلوب التصميم المعماري الغربي (الأسقف بشكل رئيسي). فرغم أن تجربتهم قائمة على أساس مفاهيم تكوين أشكال المعمار الغربي، لكنهم قدموا إلهام ليس بالقليل لسعي المعماريين الصينيين المستمر في هذا المجال.



كنيسة كايشي بتهيانجين والتي أسست في عام ١٩١٦



كنيسة دونغ ويطلق عليها أيضا كنيسة وانغ فو جين الكاثوليكية وهي تعد إحدى أكبر الكنائس الكاثوليكية ببكين. ولقد تأسست عام ١٦٥٥.



الخوض في مجال الحدائق اصبح متعة

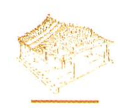


يكرر الناس كثيرا مقولة «على الرغم من أنها صنعت بيد الإنسان إلا أنها وكأنما جاءت من السماء» جامعين بذلك مميزات الحدائق الصينية القديمة. حيث تجمع الحدائق الصينية القديمة بين ما صنعه الإنسان وما صنعته يد الطبيعة من جبال وماء وزروع ومباني مشكلة بذلك بيئة متكاملة للتنزه والتجول, جامعة جواهر الفنون من معمار ورسم وأدب وبستنة وغيرها, لذا فهي نوع من انواع المعمار الصيني الأكثر شمولية و الأعلى إبداعا.

تنقسم الحدائق الصينية القديمة إلى عدة أنواع كالأتي:الحدائق الملكية: تعد الحدائق الملكية هي مزرعة الأمبراطور, ويطلق عليها ايضا أبعادية أو حديقة القصر أو الحدائق الملكية وغيرها من المسميات, وترتبط جميعها بمدينة القصر الملكي أو الإستراحة الملكية أو القصور الخارجية, وتتميز بإتساعها وكبر حجمها, فهي تمثل بالنسبة للأباطرة الإقطاعيين مكان للسكن والتنزه وقضاء الأعياد والصيد حتى انها كانت مكان للتقرب للأله والتواصل معهم, اما بالنسبة للحدائق الخاصة فهي تقام عادة إما بأحياء المدينة أو بضواحيها, وتكون مرتبطة دائما بمكان السكن, وتتميز بصغر مساحاتها وأناقة اسلوبها ودقة ترتيبها, فهي تعد بمثابة مكان لتواري ومكوث المثقفون والعلماء وتجمع الاصدقاء و قراءة الكتب, أو أنها كانت أداة للتفاخر بين وجهاء وأعيان البيروقراطيين وعلامة للغنى والثراء, وهناك نوع أخر من الحدائق وهي مناطق الجبال والمياه الطبيعيه والتي تتميز بجمال مناظرها, فهي مناطق أثرية ذات مناظر طبيعية تعرضت



الحديقة الغربية بسو جو

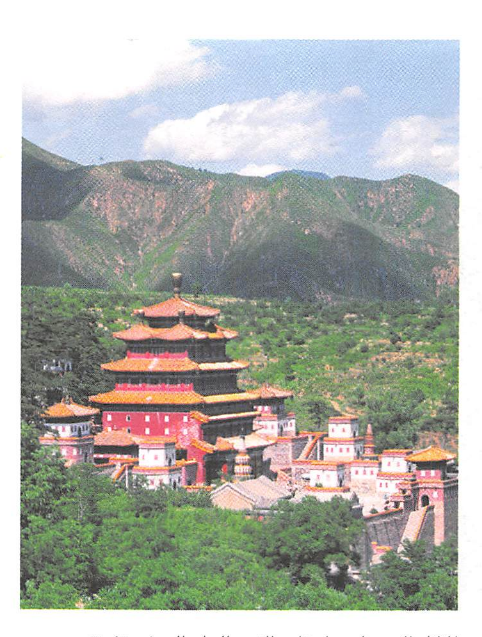


للمجهود والتنمية والتنظيم البشري,فهي مناطق طبيعية مفتوحة أعدت كنزهة من أجل الشعب.

ويوجد ايضا بعض الأنواع الاخرى من الحدائق,مثل الحدائق المحيطة بالمعابد البوزية والمعابد الطاوية ومعابد الأجداد القدماء وغيرها ومعظم هذه الحدائق تم إنشاءها بمناطق ذات مناظر خلابة حيث الاشجار القديمة تعانق السماء والأشجار الخضراء الوارفة الظل كما تتميز البيئة الداخلية والخارجية لها بالأناقة والهدوء. ومن أشهرها حديقة معبد تان توه ومعبد جيا تاي ببكين ومعبد تاييوان بشان شي والحديقة الغربية بسو جو بجيانغ سو ومعبد الروح بكانغ جو بجي جيانغ ومعبد واي جي بتشنغ دي بهيبي وغيرها من المعابد. وتقترب الكبير منها بالحدائق الملكية من حيث المساحة أما الصغير منها فهو يقارب في مساحتة الحدائق الخاصة, وغالبا ما تمتزج وتتواجد مع الحدائق ذات المناظر الطبيعية الخلابة فتصبح بذلك جزأ مكمل للمناطق الأثرية ذات المناظر الطبيعية.

الحدائق الملكية

تعد الحدائق الملكية من أقدم الحدائق الصينية القديمة ظهورا, يحكي التاريخ أن كل أسرة ملكية تقريبا كانت تقوم بإنشاء حديقة خاصة بالإمبراطور. وتعد الحديقة الملكية هي حديقة خاصة بالإمبراطور وحده وكل ما يخص الاسرة الحاكمة, وعلى الرغم من أن معظمها يتم إنشاءها من الجبال والمياه الطبيعية بالإضافة الجهود والتعديلات البشرية إلا أنها يتطلب ايضا عمل مناظر طبيعية مرسومة بالقصر تبرز اسلوب الأسرة المالكة. ويستطيع الأمبراطور أن يستغل الإمتيازات الخاصة الموجوده بسياسته والثروة الهائلة الموجودة بالإقتصاد في الأستحواز على قصر بمساحة كبيره ليستطيع إنشاء حديقة للقصر حتى يوفر لنفسه قدرا أكبر من المتعة والرفاهية, اما بالنسبة لحجم مثل هذا النوع من الحدائق يصعب مقارنته بحجم الحدائق



المناظر البعيده لمعبد با بخارج القصر الجبلي الصيفي بتشهنغدي

الخاصة, فالصغير منها تصل مساحته لمئات الهكتار, والكبير يصل الى مئات من الكيلومترات, مما يجعلها تتميز بالفخامة والعظمة والشمولية.

تعد حديقة «شا بينغ يوان تاي» التي أنشأها الأمبراطور يان تشو في نهاية عهد أسرة شانغ بالقرن الحادي عشر قبل الميلاد وايضا حدائق «لينغ يو» و«لينغ تاي» و«لينغ جاو» التي اسسهم الامبراطور جو ون وانغ مؤسس أسرة جو الملكية من أقدم وأوثق الحدائق الملكية تاريخيا. ويأتي بعدهم من الحدائق الملكية الشهيرة «حديقة شانغ لين» في عهد أسرة تشين و خان و«حديقة الواحة» بعهد أسرة خان و«حديقة خوا لين» في عهد أسرة وي جي و«حديقة لوا يانغ شي» في أسرة تسوي و«حديقة تشانغ ان جين» يعهد أسرة تانج و «حديقة جن يوه» يعهد أسرة سونغ الملكية وغيرها من الحدائق.

في عام ٢٢١ قبل الميلاد وبعد أن قضى الأمبراطور تشين شي على الدول الستة أرسل رسول إلى جبل الأرواح على البحر ليطلب من الملائكة دواء يجعله يعيش طويلا دون أن يصيبه الهرم ولكن هذه الطريقة لم تفلح لذلك قام بحفر بركة طويلة بحديقة شانغ لين ثم قام بسحب مياه نهر وي وفي وسط المياه قام ببناء جبل بنغلاي من أجل أن تهبط عليه الملائكة. وتلى الأمبراطور تشين شي الأمبراطورهان وو الذي كان يؤمن بمهارات الأرواح حيث قام بحفر بركة تاي ييه داخل قصر جيان جانغ بحديقة شانغ لين, ثم قام بردم ثلاث جزر فوقها رامزا بذلك إلى ينغ جو و بنغلاي وفانغ جانغ اولئك الجبال الثلاث الموجودون ببحر الشرق



يطل على القصر الجبلي الصيفي بتشهنغدي



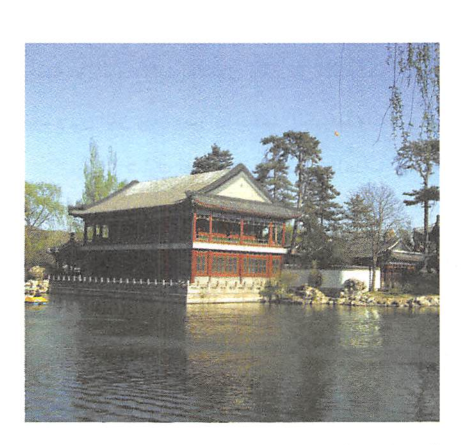
الأوسط والذين روت عنهم الخرافات الأسطورية القديمة. حيث تجعل هذه الجبال الثلاث الموجودة بالبركة سطح المياه المفتوح و المتسع مسبقا يحدث نتائج ذات عمق وأختلاف كبير ومجموعة كبيرة من المناظر الطبيعية الخلابة وبخاصة عندما يغشي الضباب والغيوم والأمطار الجو يحدث شعور خيالي بوجود جبال الملائكة وجزر الأرواح, شعورا غير عادي بالخروج إلى العالم. ولقد أثرت فكرة «بركة وثلاث جبال» في فن صناعة الحدائق كثيرا في إنشاء الحدائق الملكية فيما بعد فمنذ ذلك الحين أصبحت تقليد ساري عند عمل المناظر الطبيعية للحدائق الملكية, وأستمر حتى عهد أسرة تشينغ الملكية.

يعد زونغ جو جي من اسرة سونغ الملكية المعروف بمهارته في الخط والرسم هو مصمم حديقة جين يوي (اعتلى العرش عام ١١٠١-١١٢٥). فمن أجل إدارة هذه الحديقة قام بتخصيص أفراد للقيام بعملية البحث عن الأحجار الغريبة الرائعة في منطقة جيانج جي وذلك كنوع من الجزية,وهذا ما يطلق عليه «خطة الزهور والأحجار» لإنهاك موارد الشعب, ولكن هذا ليس له علاقة بسقوط حكم أسرة سونغ الشمالية.

تعود كافة الحدائق الملكية الموجودة حاليا بالصين إلى عهد أسرة تشينغ الملكية من حيث البناء أو الترميم. ومع إحتواء الحدائق الملكية لأسرة تشينغ على المياه والجبال فقد أعتنت كثيرا ايضا بالدور الإداري والتحكم بمبنى الحديقة كما أهتمت ايضا بالترشيح والأختيار للمناصب مشكلة بذلك مميزات واضحة من الربط بين حديقة الجبال والمياه وبين حديقة القصر المنشأة. ومن أهم هذه النوعية من الحدائق القصر الجبلي الصيفي تشنغ دي وحديقتى يوان مينغ والقصر الصيفي بالضواحي الغربية ببكين.

القصر الجبلي الصيفي_ «إزاحة السماء وتقليص الأرض في جوين خواي»

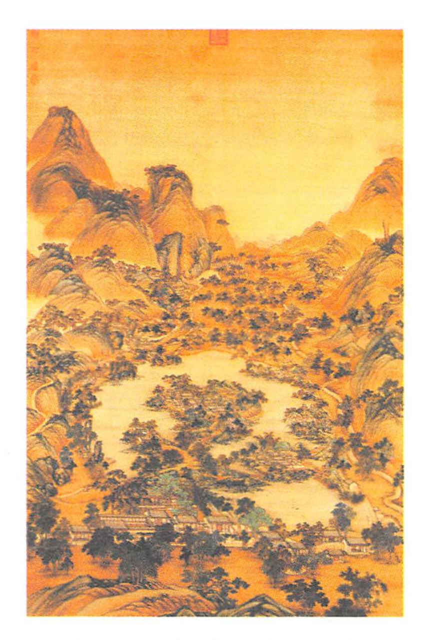
في بداية عهد أسرة تشينغ, قام الأمبراطور كانج شي من أجل دعم وتقوية العلاقات مع مانغوليا بتوحيد العديد من القوميات الصينية, ومن أجل الحاجه للمصيف قام بإنشاء قصر للإستراحة في تشنغ دي (القصر الجبلي الصيفي), ويطلق عليه ايضا القصر الموسمي بتشنغ دي أو إستراحة النهر الحار, وهو لا يعد فقط حديقة صيفية بل إنه يعد ايضا مركز سياسي خارجي.



القصر الجبلي الصيفي بتشهنغدي

إن التصميم التخطيطي «للقصر الجبلي الصيفي» يبرز مدى فطانة وبعد الرؤية لدى الحكام الإقطاعيين «إزاحة





لوحة «القصر الجبلي الصيفي» التى قام برسمها الرسام لنغ مي في عهد أسرة تشينغ

السماء وتقليص الأرض في جوين خواي» . فبجانب منطقة القصر فإن منطقة الحدائق الرئيسية تنقسم لثلاث مناطق ذات مناظر طبيعية هما : منطقة البحيرات ذات المناظر الطبيعية ومنطقة السهول ومنطقة الجبال الشاهقة حيث تجمع بداخلها المناظر الطبيعية الخلابة للشمال والجنوب في حديقة واحدة, فتحوي منطقة البحيرات على العواطف الفياضة لمنطقة مياه جنوب حوض نهر تشانغجيانغ, و تحوي ايضا على مجموعة من المناظر الطبيعية العشبية, اما منطقة الجبال الشاهقة فهي ترمز الى جبال الشمال الشاهقة. كما تم نقل العديد من شتول المناظر الطبيعية الموجودة بحدائق جنوب حوض نهر تشانغجيانغ إلى القصور الجبلية مثل «حديقة الأسد» فهي تحاكي حديقة الأسد بسوجو, ومقصورة «الجبل الذهبي» تجسد المناظر الطبيعية للجبال الذهبية بجان جيانغ, كما تحاكي ايضا «مقصورة ون جين» مقصورة تيان أي بنينغ بو, أما عن «مبنى الرزاز الضبابي فهو مأخوذ من مبنى الرزاز الضبابي الموجود بالبحيرة الجنوبية بجيا تشينغ. ولم تكن هذه المحاكاه مجرد تقليد بسيط بل انها تربط بين مميزات الشمال صانعة عملا فني بحيث تجعل حدائق قصور الشمال تتغلغل في شاعرية الفنون الشعبية من رسم وشعر, باحثة عن الروح وليس الشكل. ولقد قال الإمبراطور تشيان لونغ من قبل « عرفنا أن معنى الحديقة هو انها تجمع بين الفن وبين مميزات بيئتها الطبيعية ولكنها ومع ذلك لا تتخلى عن مميزاتها الخاصة»

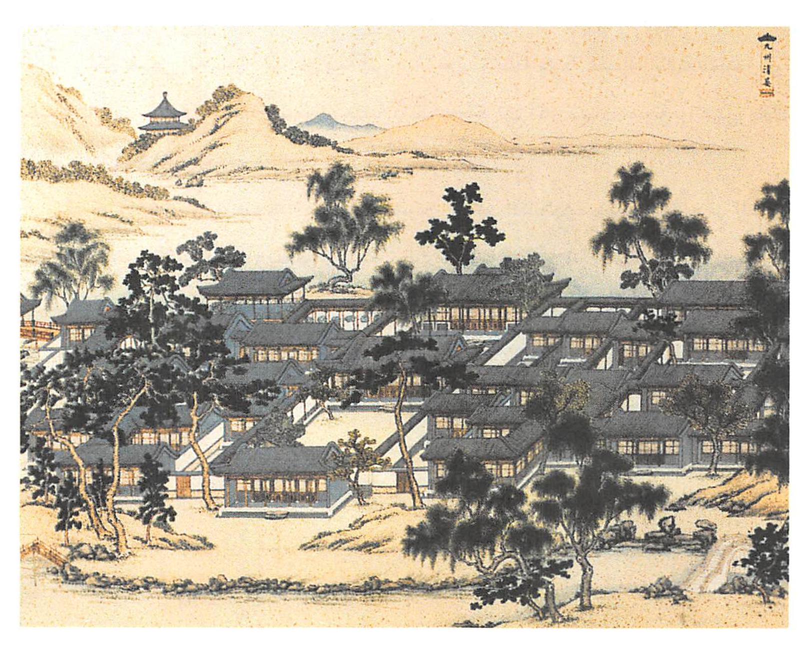
منذ أن شارك المثقفون في تصميم الحدائق أصبح البحث عن التعابير الشعرية والرسومات الفنية صفة رئيسية للحدائق الصينية. حيث كان الشعراء والرسامون القدامى يضمون عدد كبير من صانعي الحدائق البارعين, وبخاصة في عهد أسرتى مينغ وتشينغ الملكيتين, حيث صممت معظم الحدائق المشهوره بأيدي فنانون رسامون, فقد صممت العديد من الحدائق الملكية في عهد أسرة تشينغ بواسطة رسامي أكاديمية الرسم الملكية(أكاديمية رو أي). ومع ذلك فإن الحدائق تعد مشهد صنعه الإنسان لذا فإنه لن يستطع تجسيد جمال الطبيعية بشكل كامل ودقيق, فإن معظم المشاعر الفنية والشعرية التى تحويها هي إنطلاق للتجارب البشرية في مجال التذوق الجمالي, وهو ما يوصف بانه مشهد مثير للشجون والذكريات,

وهوما يدل على امتزاج المشاعر الإنسانية بالمناظر الطبيعية. وكلما زادت الخبرات الثقافية المكتسبة لدى المتجولين كلما زاد الوعي بجمال الحدائق و لقي ذوق مصممي الحدائق الجمالى استجابة وصدى أكبر لديهم.

حديقة يوانمينج --- حديقة الحدائق

في الضواحي الشمالية الغربية لبكين، وطوال ٢٠٠ عاماً مرت بست أسرات حاكمة حكم فيها كانغشي، يونغتشنغ، تشيانلونغ، جياتشينج، داوقوانغ، شيانفنغ، شُيدت حدائق يوان مينج الثلاثة المكونة من حديقة يوانمينج (حديقة القصر الصيفي القديم)، حديقة تشانغتشوين (حديقة الربيع الدائم) وحديقة تشيتشوين (حديقة الربيع البديع) إذ لم يسبق لها مثيل في الأسرات الصينية المتتابعة.

حدائق يوانمينج الثلاثة كلها حدائق بمياه، حيث يتكون بناء الحدائق بشكل رئيسي من سطح المياه، فجاءت متعتها من مياهها. في حديقة يوانمينج ٦٩ موضع من هذه المناظر، وفي حديقة تشانغتشوين وحديقة تشيتشوين ٥٤ موضع، الهامة منها قام الأمبراطور بنفسه بالتوقيع عليها، مثل «الأربعين منظر بحديقة يوانمينج»، «الثلاثين منظر بحديقة تشيتشوين». ما يزيد عن ١٢٠ نقطة معظمها استخدم أسلوب



تعد منطقة كيوشو تشينغ يان ذات المناظر الخلابة والتابعة للقصر الصيفي هي مكان لإقامة الولائم لضيوف الإمبراطور أنذاك، ولقد دمرت في عام ١٨٦٠ بنيران القوات البريطانية والفرنسية.





بقايا فياضانات القصر الصيفي ببكين.و بالنظر إلى التصميمات الحفرية الحجرية المتبقية من بوابة القوس الحجرية يتسرب اليك شعور غامض بروعة الماضي.

«حديقة يوانتشونغ»، مكونة حدائق صغيرة مستقلة بعض الشيء، تربط المياه بين الحدائق، وتصل بينها الطرق، كما استخدم فيها أساليب المشهد المواجه، استعارة المشهد الخارجي، والمشهد المنظور، تنقل الناس بشكل طبيعي إذا ساروا بها من بيئة إلى بيئة أخرى مختلفة بمتعة حقيقية، مكونة مساحة ثرية تضم فيها الحديقةُ الكبيرة حديقة صغيرة وحديقة داخل حديقة. تلك أكبر سمات حديقة يوانمينج، ولذلك اشتهرت حديقة يوانمينج بـ«حديقة الحدائق».

في نهاية عهد أسرة مينج وبداية عهد أشرة تشينج، انطلقت الكاثوليكية بقضية التبشير في الصين، كما شارك بعض الكهنة في بناء حديقة يوانمينج، حيث قام جيانج يورن (بينوا ميشيل، ١٧١٥-١٧٧٤، فرنسي)، لانغ شهنينج (جيوزيبي كاستليوني، ١٦٨٨-١٧٦٦، إيطالي)، أي تشيمنغ (لاتويس سيكلتارت، ١٧٠٨- ١٧٨٠، بوهيمي)، ووانغ تشهتشنغ (جير لينيس أتيبه، ١٧٠٢- ١٧٦٨، فرنسي) معاً بتصميم ست بنايات قصور وحدائق على الطراز الباروكي الأوروبي في القرن الثامن عشر، أسماؤها هي شيه تشي تشو (بهجة الانسجام)، شو شوي لو، يانغ تشويه لونغ (قفص تربية الطاووس)، فانغ واي قوان، هاي آن تانغ، يوان ينج قوان، اشتهرت بـ«القصور الأجنبية»، وأصبحت مناظر فريدة في حديقة يوانمينج. وتعتبر مباني القصور الأجنبية هي أول عمل كامل لثقافة المعمار الأوروبي تدخل إلى الصين، كما أنها أول محاولة إبداعية للجمع بين أنظمة الحدائق الكبرى في أوروبا والصين.

ورثت حديقة يوانمينج ٣٠٠٠ عام من التقاليد البديعة للبستنة في الصين، تتميز بوقار معمار القصور وأناقته، فضلاً عن الأشكال اللطيفة للحدائق بأنهار جيانجنان، وفي الوقت نفسه استوعبت أسلوب معمار



الحدائق الأوربية، لتمزج بين معمار الحدائق للأساليب المختلفة. فهي لا تشتهر بالحدائق فحسب، بل تجمع أيضاً متاحف امبراطورية ثرية جداً، حيث قال عنها الكاتب الفرنسي الكبير هوجو (فيكتور هوجو، ١٨٠٢– ١٨٨٥): «حتى لو جمعت كنوز كنيسة نوتردام الفرنسية جميعها معاً، فلن تقارن بهذه المتاحف الشرقية الملكية البديعة والكبيرة المساحة». من المؤسف أن الأعمال البديعة للفن بهذه الحدائق أحرقتها نيران الغزاة الإنجليز والفرنسيين في السنة العاشرة من حكم شيانفنغ (١٨٦٠).

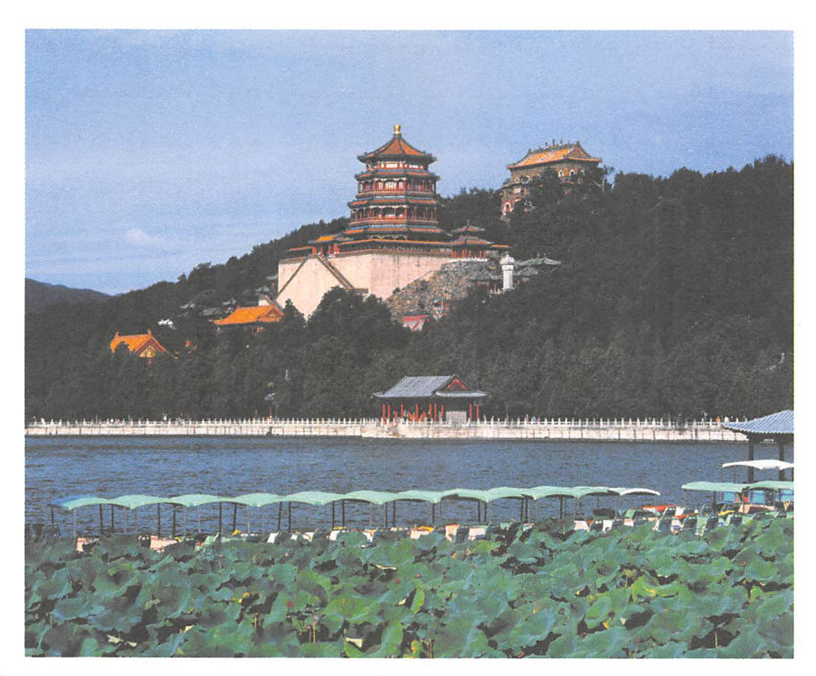
القصر الصيفي --- آخر حديقة امبراطورية

القصر الصيفي --- مثال آخر للحدائق الامبراطورية في عهد أسرة تشينج، هي أكثر الأمثلة كمالاً للحدائق القديمة والقائمة في الصين حالياً، فهذه الحديقة ذات مناظر الجبال والمياه الطبيعية على مساحة ٢٩٠ هكتار هي آخر حديقة امبراطورية. الجزء الأمامي من القصر الصيفي أي حديقة تشينج يي (الرقرقة الصافية)، بدأ بناؤه في السنة الخامسة عشرة من حكم تشيانلونغ (١٧٥٠)، مصدرها الأساسي في التخطيط هو البحيرة الغربية في هانغتشو، حيث تأثرت بشكل عميق بحدائق جيانجنان. حديقة تشينج يي مثل حديقة يوانمينج، احترقت في عام ١٨٦٠، فقامت تسه شي وهي أرملة الامبراطور (في القصر الغربي) الحاكمة الفعلية في ذلك الوقت بتحويل نفقات القوات البحرية إلى إعادة البناء وغيّرت الاسم إلى القصر الصيفي، بعد ذلك أصبح مسكن تسه شي لفترة طويلة والاستراحة للأسرة الملكية في الأحداث السياسية.

المياه هي أهم عنصر بالنسبة للحدائق، فالناس دائماً ما يقولون «لولا المياه ما وجدت الحدائق». فالحدائق الحجرية اليابانية هي شكل فني نشأ بمحاكاة أشكال المياه. وقد شيد القصر الصيفي باختيار مركزه من بحيرة كونمينج التي تجمعت مياهها من عيون جبل شي شان، فبحيرة كوينمينج هي تخطيط «بحيرة بثلاث جبال» تقليدية من الحدائق الامبراطوية ضم ثلاث جزر هي جزيرة البحيرة الجنوبية، تساو جيان تانغ وتشه جينج قه، ويعد القصر الصيفي هو آخر حديقة امبراطورية بهذا التخطيط، والمثال النادر الباقي عنها.

بناء المعابد، المعابد الطاوية والمعابد التذكارية في الحدائق كان سمة كبيرة للحدائق الامبراطورية، معظمها معابد بوذية، فكان هناك تقريباً في كل حديقة امبراطورية كبيرة ما يزيد عن معبد بوذي. وقد قام الامبراطور تشيانلونغ بترميم حديقة تشينج يي (الرقرقة الصافية) كهدية في عيد ميلاد الملكة الأم، وبالتالي فإن مجموعة المباني الرئيسية في الحديقة هي معبد يان شو (العمر المديد) هدفها رد الجميل والواقع في الجزء الأوسط من الجبل الأمامي بجبل وانتشو (طول العمر). مجموعة المباني تتكون من القصر السماوي، البهو الكبير، قصر الكنوز، باغودا فوه شيانغ (عطر بوذا)، المقام التذكاري تشونغ شيانغ جيه، قصر تشهوي هاي (بحر الحكمة) وغيرها، بما يتوافق مع شكل الجبل، ممتداً من سفح الجبل المطل على البحيرة





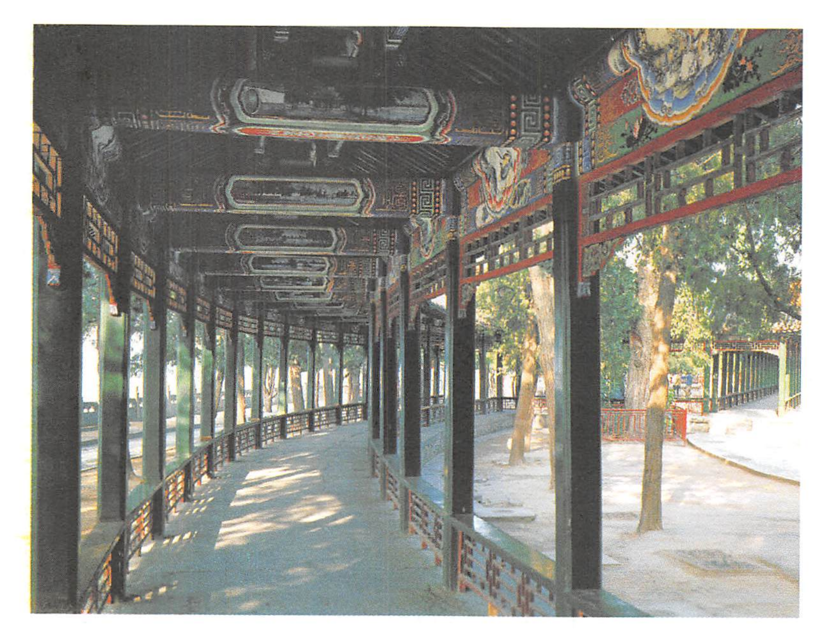
البرج العطري البوذي للقصر الصيفي ببكين

إلى قمة الجبل، مكوناً خط محوري. بل يحتل مكانة عالية في اصطفاف الحجر، فأصبح باغودا فوه شيانغ (عطر بوذا) الرائع والمدهش علامة لحديقة القصر الصيفي، كما أنه مركز صورة الحديقة كلها.

في فترة حكم كانغشي، لم تنقطع الحروب على الحدود، ولتوحيد عقيدة اللامية لدى شعبي منغوليا والتبت، قام بمحاكاة معبد سامبي القديم الشهير في التبت، فقام بتشييد معبد بوذي للامية في منتصف الجبل الخلفي لجبل وانتشو (طول العمر) --- منظر سوميرو. فضلاً عن ذلك، أقيم معبد الملك التنين على البحيرة الغربية أهم جزيرة في الثلاث معبداً، أطلق عليه «المعبد التذكاري قوانغ روين».

«استعارة المشهد الخارجي» هو أحد الأساليب الفنية الهامة المستخدمة في الصين قديماً لعمل الحدائق، ويبرز هذا بشكل كامل في تصميم القصر الصيفي. بالوقوف على منصة باغودا فوه شيانغ (عطر بوذا)، يطل من بعيد على سلسلة جبال الجبل الغربي، منظر للبرج بجبل يوتشوان (نبع اليشب)، مطلاً على الجمال والمياه الصافية لبحيرة كوينمينج، على الجسر الغربي ضباب كثيف، كأن هذا كله اندمج مع بعضه، مما جعل نطاق الحدائق يتجاوز بكثير أسوارها.

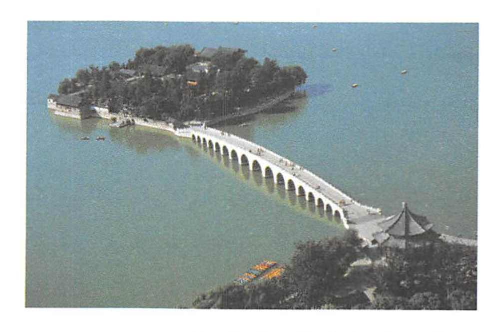
في سفح جبل وانتشو (طول العمر) ممر طويل يبلغ طوله ٧٢٨، به ما يزيد عن ٨٠٠٠ رسم ملون. هذا الممر الذي يعتبر الأطول بين معمار الحدائق الصيني، يمتد بمحاذاة الضفة الشمالية لبحيرة كوينمينج



الممر الطويل للقصر الصيفي ببكين

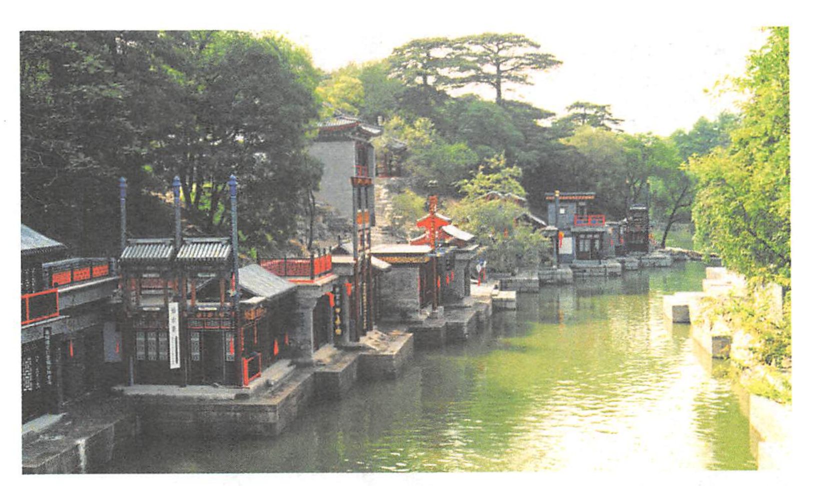
إلى الغرب، ليربط بين المباني المختلفة على الجبال البعيدة والمياه القريبة.

كما كشف القصر الصيفي عن الكثير من المناظر البديعة في جيانجنان. فالحديقة نفسها تحاكي بناء البحيرة الغربية، فموقع الجسر الغربي على بحيرة كوينمينج وترتيبه يشابه ممر سو، حتى أن به «ستة جسور»؛ حديقة شيه تشو (الانسجام والفتنة) بالسفح الشرقي لجبل وانتشو (طول العمر) هي حديقة داخل حديقة مشيدة بشكل يحاكي حديقة جيتشانغ بمدينة ووشي، مساحتها ليست بالكبيرة لكن مناظرها بديعة، فهي أبرز مثال على محاكاة بناء الحدائق في جيانجنان من بين حدائق المتعة للامبراطور؛ «شارع سوتشو» بالمنطقة الخلفية للبحيرة هو شارع تجاري شيد بمحاكاة الشوراع المطلة على النهر في سوتشو ونانجينج وغيرها، فيشعر المرء كأنه حضر إلى سوق تجاري بالمناطق النهرية في جيانجنان. هذه الفنون الشعبية في البستنة عملت بشكل كبير على إثراء مضمون الحديقة الامبراطورية،



جسر القناطر السبعة عشر للقصر الصيفي ببكين





شارع سو جو بالقصر الصيفي ببكين

فأصبحت سمات هامة للحدائق الامبراطورية.

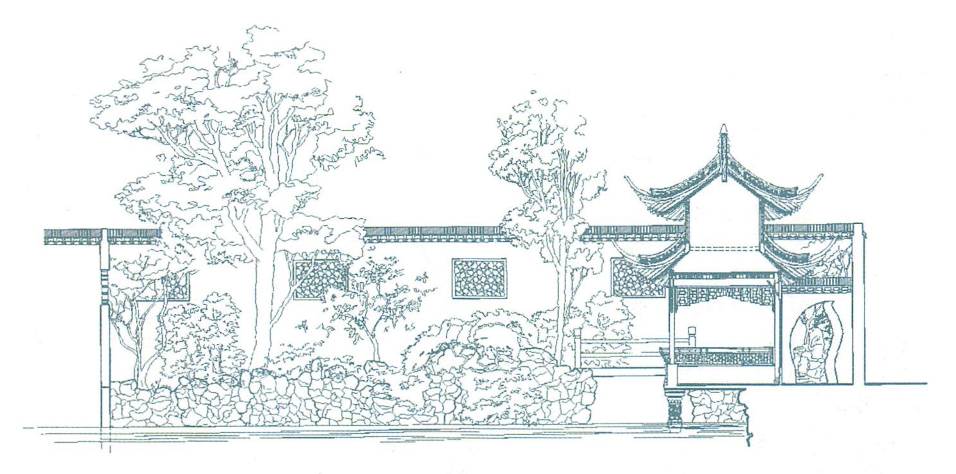
القصر الصيفي يجمع الإنجازات الكبرى في فن البستنة بالصين على مر العصور، ينتقي سمات الحدائق في الأمكان المختلفة، فيضم القصور البديعة والفاتنة للعائلة الملكية، كما أن به مناظر المنازل الشعبية الأنيقة المبتكرة والمعابد الدينية الوقورة المهيبة، فتخلق بيئة من الحدائق المنسجمة، لتصبح كنزاً في فن الحدائق الصينية.

الحدائق الخاصة

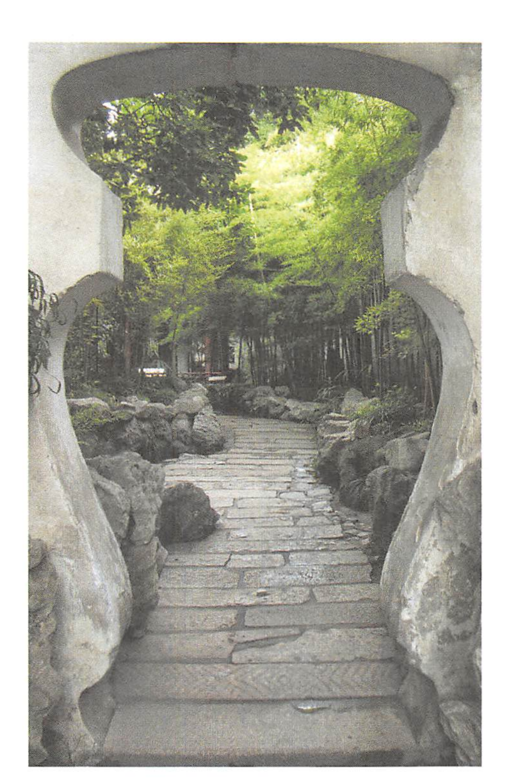
الحدائق الخاصة تشير إلى الحدائق الامبراطورية، فأصحاب الحدائق هم مَن خرج إلى المعاش من عامة الشعب كالموظفين والمتعلمين وأصحاب الأراضي والتجار الأثرياء. للتمييز بين الغني والفقير والنبيل والمتواضع، كان النظام القانوني في الصين قديماً يضع حدوداً كثيرة على أسلوب حياة العامة ونفقاتهم، فيتعرض المخالفون إلى عقوبات صارمة، لذلك، كانت الحدائق الخاصة تختلف كثيراً في مضمونها أو شكلها عن الحدائق الامبراطورية.

بدأت نهضة الحدائق الخاصة الكلاسيكية في الصين في فترة أسرتي وي وجين الشمالية والجنوبية. ففي هذه الفترة، سأمت نخبةُ من المتعلمين الحربَ، فرحلوا إلى الطبيعة، ليسكنوا الأدب، فشقوا أول نهر للأجيال اللاحقة من المتعلمين في إدارة الحدائق. راحة أسرتي وي وجين من العبء، طبيعية أشعار ست أسرات، عُمق فلسفة الطاوية، رقة تعاليم البوذية، فضلاً عن المتعة المتجددة للرسم والشعر، وتراكم





لوحة مقطعية لمقصورة الموسيقى والأسماك بحديقة يو بشنفهاي

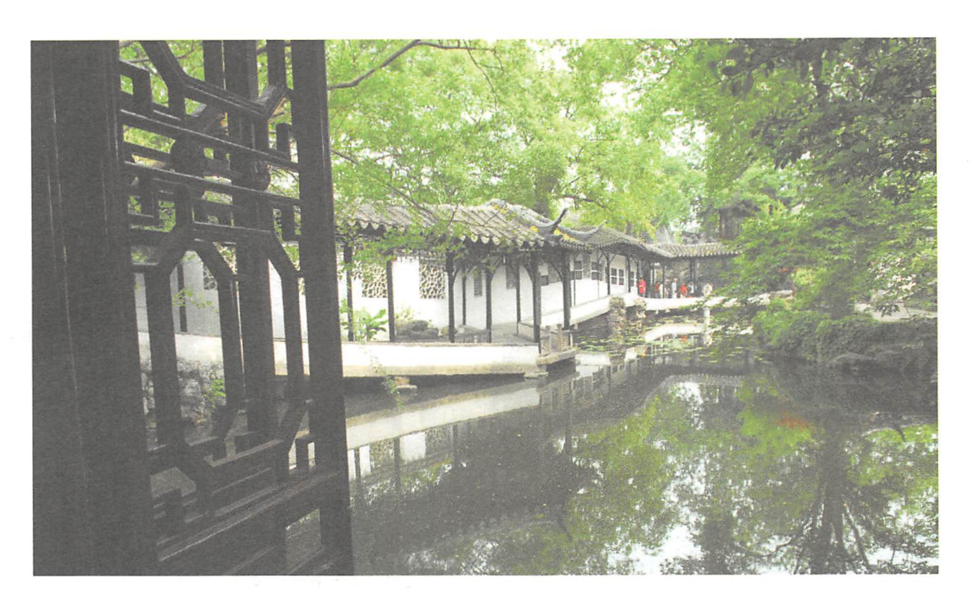


حديقة يو بشانغهاي

خبرات الممارسة الفعلية لفن البستنة، كلها جعلت الحدائق الصينية تبدأ من هنا تشكيل سماتها العديدة، فأصبح «الإحساس الشعري والرسم» هو الحد الذي تسعى إليه الحدائق الصينية. وقد قال الفيلسوف الألماني الشهير هيجل (ويلهلم فريدريتش هيجل، ١٧٧٠-١٨٣١) إن الحدائق الصينية تعتبر لوحة، لكن تلك اللوحة الطبيعية المفعمة بالإحساس الشعري، مختلفة تماماً عن نظام فن الحدائق الكبرى الأخرى في العالم، سعياً وراء التصميم الهندسي الصارم في روما القديمة وفنون البستنة الفرنسيبة التي مبدؤها الأسلوب الكبيرة.

منذ منتصف فترة حكم أسرة مينج إلى نهاية حكم أسرة تشينج،





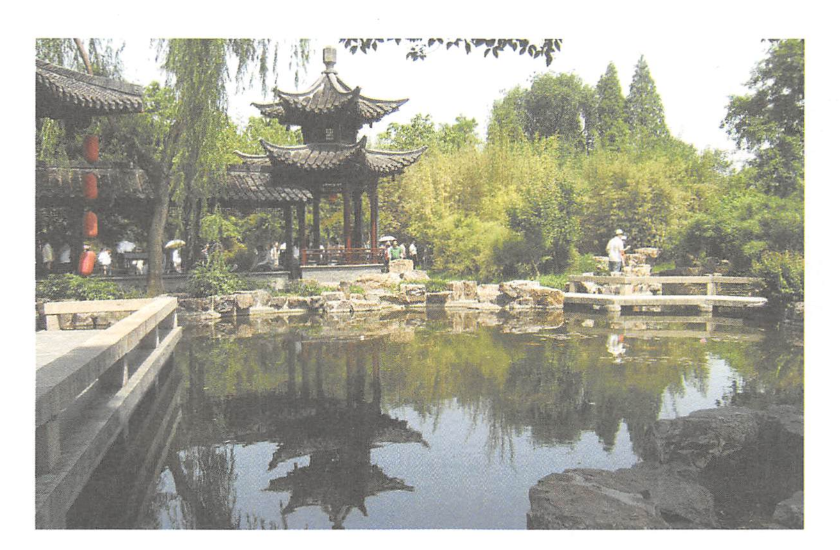
حديقة جواجينغ بسو جو

أصبح قطاع جيانجنان هو موضع تركيز الحدائق الخاصة، واستمرت رياح عمل الحدائق مزدهرة ما يزيد عن ٣٠٠ عاماً. السبب في ذلك، أن جيانجنان تتمتع بفيض من مصادر المياه، الطقس الدافئ، الأزهار والأشجار الكثيرة، مع الخامات الحجرية وغيرها من الظروف الطبيعية التي منحتها الطبيعة، كما تتميز بالبيئة الاجتماعية من الثراء والكثافة السكانية، والأهم من ذلك أنه مع مرور الوقت يشارك المزيد من المتعلمين والرسامين في تصميم حدائق جيانجنان والممارسة العملية، جعلت الحدائق يتوالى ظهور مهارتها. في ذلك الوقت كان جي تشنغ أكبر واضع نظريات البستنة في الصين (١٥٨٢– ؟) وتشانغ ليان أكبر ممارس للسبتنة (١٥٨٧– ١٦٧١)، كلاهما معاصرين للشخصية الممثلة للبستنة الكلاسيكية في أوروبا أندريه لو نوتر (١٦١٣–١٧٠٠، مصمم أكبر حديقتين في فرنسا--- حديقة المقر لرئيسي فو لو فيكومت خارج ضواحي باريس وقصر فرساي أعلى نموذج للحدائق الأوروبية)؛ بل إن العمل الشهير لنظريات البستنة <<يوان يه>> الذي ألفه جي تشنغ (صدر في عام ١٦١٣) نشر في العصر نفسه لصدور أول عمل متخصص غربي في الحدائق <<حول فن البساتين>> (صدر في عام ١٦٣٨).

كانت الحدائق الخاصة تشيد وفقاً لذوق صاحبها وأفكاره، حيث ذكر <<يوان يه>> الذي ألفه جي تشنغ مقولة «ثلاثة أفرع للعامل، وسبعة أفرع لصاحب الشيء»؛ كما أضاف أنه «قد تحتاج لتسعة أصحاب حدائق مشيدة، وعامل واحد»، مما يؤكد على دور مصمم الحديقة. يختلف الإلهام لأصحاب الحدائق، فلكل حديقة أسلوبها الخاص بها.



نظراً لعدم اتساع المساحة التي تشغلها الحديقة الخاصة، ومن أجل بلوغ هذا الأداء، يجب إحداث تغيير ثري في مساحة محدودة، تشكيل منظر الحديقة بشكل بديع يكشف ويخفي وبمشاهد عديدة ومتنوعة، مما يزيد الوقت والمضمون لاستمتاع ناظريها. تعتبر حديقة لي بمدينة سوتشو المثال البارز على ذلك. فعند دخول حديقة لي، تجد المدخل الضيق الطويل يضيء أحياناً ويخفت أحيانا، متعوج، وعند



حديقة يانغ جو



قوس قزح صغير بحديقة جواجينغ بسو جو



تسلسل المعلومات

استعارة المشهد الخارجي، هي طريقة تقليدية للحدائق الصينية، أي العمد إلى «استعارة» المناظر خارج الحديقة إلى نطاق المناظر داخل الحديقة، فلها تأثير السحر باستيعاب اللامحدود في المحدود، تعظيم عمق مناظر الحديقة واتساعها، وإثراء مضمون الاستمتاع. وتنقسم استعارة المشهد إلى ٧ أنواع هي استعارة القريب، استعارة البعيد، استعارة المجاور، استعارة متبادلة، استعارة مساعدة، استعارة بانحناء، استعارة موسمية.

الحضور إلى موضع «الأشجار القديمة الملتفة»، ترى في البداية سور أبيض، نوافذ الزينة الشفافة بالسور يبدو منها مبهماً ما في الفناء من ممرات وبحيرات صغيرة، ثم تنتقل إلى مبنى مينجسه، فتجد نفسك في حديقة دون أن تدري.

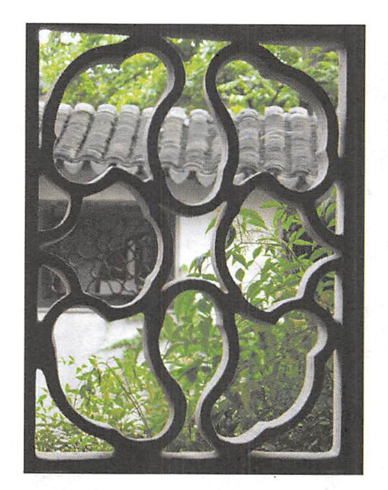
كما أن استعارة المشهد الخارجي وسيلة هامة في بناء الحدائق الخاصة، حيث تجمع المناظر البعيدة والقريبة معاً بشكل حيوي، فتتسع المساحة الداخلية للحديقة بشكل عميق، فعلى سبيل المثال نجد في حديقة تشوه تشنغ (الموظف المتواضع) بمدينة سوتشو قد استعارت من بعيد ظلال باغودا المعبد الشمالي بوسط المدينة؛ بل إن مقصورة تسانغ لانغ (الأمواج المتلاطمة) أقدم حديقة بمدينة سوتشو طريقة استعارة المشهد الخارجي بها فريدة من نوعها: خارج الحديقة جدول صغير، لذلك وضع على الجدول جسر صغير عند المدخل، مما يجعل المساحة داخل الحديقة رحبة، بل يجعل مقصورة تسانغ لانغ (الأمواج المتلاطمة) مختلفة تماماً عن الحدائق الخاصة الأخرى المغلقة، فيمكن القول إنها فريدة جداً.

تعتمد الحدائق الصينية بشكل خاص على تقنيتين ––– تطبيق الجبال وتصميم نظام المياه. الأولى استخدام الحجارة وتعرجات المياه بسهولة لمحاكاة الطبيعة، يضاف إليها ترتيب الزهور والأعشاب والأشجار وتنسيقها، ودائماً ما تعطي تأثير الرسم؛ الثانية مثلما قال كونفوشيوس «الحكيم تسعده المياه، والرحيم تسعده الجبال»، فتراكم الجبال وشق البحيرات هما إعادة اكتشاف لجمال الطبيعة، كما تمثل الاتجاه إلى الجمال والأخلاق والحكمة والخير.

تطبيق الجبال لا يسعى إلى المساحة، بل هو تلخيص وتنقية لشكل الجبال الطبيعية، حيث يُرى الصغير كبيراً، ويحصل على سحر الطبيعة، مما يجعل الجبال غير الحقيقية التي صنعها الإنسان من اصطفاف الحجارة تحتضن قمم الجبال، تغطيتها بتلال خضراء وكهوف عميقة، مثل الجبال والغابات الحقيقية. يفضل في الحدائق استخدام حجارة البحيرات. ويقصد بحجارة البحيرات أنها الحجارة المجمعة من الأنهار والبحيرات، والتي أصبحت في أشكال محفورة ورائعة من جريان المياه واصطدامها طوال العام، أظهرها ما يستخرج من بحيرة



لوجة توضيحية لبرج الجبل الاصطناعي



نوافذ

تاي، لذا يطلق عليه «حجارة بحيرة تاي». وقد قام مي فو الرسام الصيني (١٠٥٠– ١١٠٧) في عصر أسرة سونج بتلخيص الحجارة التي تحمل قيمة الإمتاع في أربعة رموز «رفيعة، منكمشة، مسربة، شفافة»، لتكون معايير ممتازة لتقييم الحجارة، وما يجمعها الأربعة يمكن أن يطلق عليه المنتج الأعلى. في حديقة ليو بمدينة سوتشو اثني عشر قمة، من بينها «قمة قوان يون» التي يصل ارتفاعها إلى ٣ تشانج (حوالي ١٠ أمتار)، حيث تعتبر أكبر حجارة بحيرة في حدائق نانجينج، عجيبة وعالية في شكلها، تتمتع بجمال «رفيعة، منكمشة، مسربة، شفافة»، يذيع صيتها حتى يومنا هذا.

سطح المياه في الحديقة جماله من ملاءمة الطبيعة، يستخدم أسطح لا قواعد لها، حيث تستخدم عليه الجسور الصغيرة المتعرجة أو حجارة زينة للعبور في المياه وذلك لفصل سطح الماء، فيجد المرء أنه رأى كل شيء في نظرة واحدة دون أن يشعر. جانب البحيرة يحاكي ضفة الجبال الطبيعية أو الحجارة المتناثرة بأشكال الطبيعة، ومزودة بالبامبو الدقيق والخوص البري، الأسماك القرمزية والطحالب الخضراء. رغم أنها بحيرة، لكن المرء يشعر بالعمق والهدوء. على سبيل المثال غابة الأسد بمدينة سوتشو، رغم أن الحديقة لا تعد كبيرة، لكن هيكلها محكم، المعالجة الفنية لتطبيق الجبال ونظام المياه ممتازة. التنسيق كاملاً يتخذ من البحيرات المتقاطعة شرقاً وغرباً كمركز للحديقة ككل، على الجوانب الشرقية والغربية والجنوبية للبحيرة تراكمت الحجارة، ونهضت قمم الجبال، وأسفل الجبال كهوف عميقة وغير مباشرة، تتساقط الشلالات، بينها خنادق، أشجار عتيقة متشابكة، تقطعها ممرات طويلة من الأربع جوانب، متعرجة من أعلى وأسفل، تبدو خفية وظاهرة.

بخلاف الجبال والأشجار في الحدائق الصينية، يعد الترتيب البديع للمباني هاماً جداً، مثل الأجنحة المخبأة في الزهور، التعريشة الهادئة على المياه، كما يمكن استخدام أروقة طويلة بجدران السحاب، الجسور المتعرجة وفتحات النوافذ المزخرفة وغيرها من المساحات المقسمة، مما يجعل الحديقة متناسقة من الداخل، يراها المرء فيحسبها لانهائية. وعادة ما تحمل صورة الحديقة ومناظرها موضوعاً، كما أنها بقعة للمناظر الممتعة. مثل حديقة خهيوان بمدينة يانغتشو، جوانب قاعة الفراشة بالمبنى الرئيسي تصل ما بين الأروقة المزدوجة بالطابقين لتلتف حول الحديقة كلها، متعرجة من الأعلى والأسفل، مع احتمالات أن



حديقة يو بشانغهاي

تعلو إلى السماء. الجزء الأوسط والجزء الشرقي تفصل بين الأروقة المزدوجة، تبدو منها فتحات النوافذ المزخرفة على جدران الطابقين، فيمكن رؤية المناظر على الجانبين، مغلقة لكن ليس إلى أبعد الحدود، تفصل ولا تقطع، تبدو فارغة وعميقة.

الفنون والآداب الكلاسيكية الصينية، وبصفة خاصة الشعر المكتوب، كان لها تأثير بارز على فنون الحدائق. فكان الشعراء والرسامون ينهلون من مناظر الحدائق الرائعة ينابيع الإبداع، أو أن المناظر الجميلة للحدائق شيدت مستعينة بالمغزى الشعري والخيال الشعري لكلمات الأشعار وتضفي حبراً صينياً على اللوحات، يتداخلان في بعضهما، ويتنازعان على التألق.

حديقة تشوه تشنغ (الموظف المتواضع) هي واحدة من أشهر الحدائق بمدينة سوتشو، بدأ بناؤها في أواسط أسرة مينج، حيث يعود تاريخها إلى ما يزيد عن ٥٠٠ عاماً، وهي مثال على الحدائق الخاصة في جيانجنان. فهذه الحديقة شيدها المراقب العام وانغ شيان تشن في أثناء حكم جيا تشينج من أسرة مينج (١٥٢٢- ١٥٦٦)، أخذت المغزى من «المتواضعين يحكمون» المستوحاة من «شيان جو فو» لبان يوه (٢٤٧- ٣٠٠) من عصر أسرة جين الغربية، لتوضح أن صاحب الحديقة لا يستمتع بالسياسة، وأن

بناء الحديقة هو عزاؤه. وقد قام وين تشنغ مينج (١٤٧٠- ١٥٥٩) الرسام في عصر أسرة مينج برسم لوحات كثيرة لهذه الحديقة، أشهرها <<واحد وثلاثين منظر من حديقة تشوه تشنغ>>. أما حديقة تويسه (التأمل الهادئ) بمدينة سوتشو فصاحبها كان قد أنزلت درجته كموظف وعاد إلى موطنه، وقد أخذ اسمها من معنى «التفكير والإخلاص، التأمل لتصحيح الأخطاء» وذلك من كتاب <<تسوه تشوان>>؛ الفيلا الجبلية تشيشياو بمدينة يانغتشو أخذت اسمها من جملة «أميل على النافذة الجنوبية مفعم بالقناعة، وأطلق صيحة طويلة من قمة الجبل» من قصيدة <<أعود إلى موطني>> للشاعر تاو يوان مينج (٣٦٥- ٤٢٧) من عهد أسرة جين.

وفضلاً عن تكبد العناء والمشقة في اختيار اسم الحديقة، كان المتعلمون المشيدون للحدائق عادة ما يجمعون بين أزواج أبيات الشعر المعلقة على الأعمدة، الشعر، تي يونغ (نوع من الشعر الوصفي) والحدائق، مما عمل على تعميق فهم الناس للمناظر، وجعل الحديقة تبدو أكثر شاعرية. القاعة الرئيسية في حديقة تشوه تشنغ (الموظف المتواضع) هي قاعة اللوتس المفتوحة من الأربع اتجاهات، أخذت عن «عبير اللوتس يفوح بعيداً» من <<أي ليان شوه>> لـتشو دوين يي (١٠١٧- ١٠٧٣)، يطلق عليها قاعة يوان شيانغ (العبير المتدفق)، مما يوضح أن صاحب الحديقة شعر بنبل اللوتس وطهره فأطلق عليها ذلك؛ أقيمت بالقرب من البحيرة غرفة ليو تينج (ابقى واسمع)، مناظرها تعتمد بشكل رئيسي على اللوتس، بل



«جبل الفصول الاربعة الإصطناعي»لحديقة يانغ جو

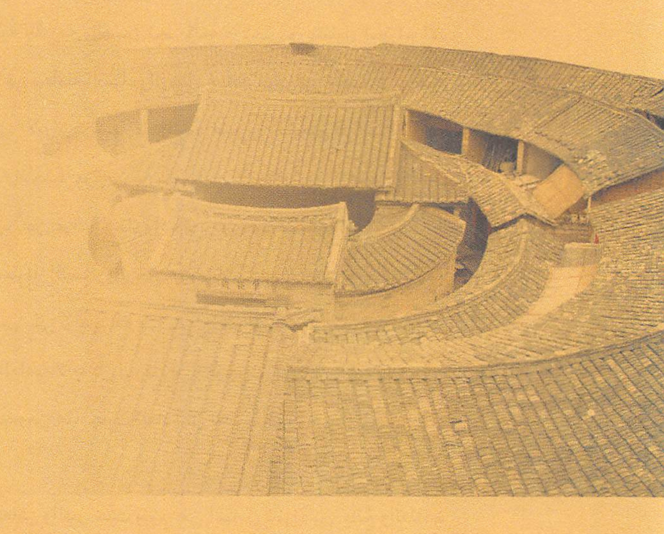


تمنح الجو الشعري الذي وصفه ليو شانغ ين في أبياته «تجتمع سحب الخريف، ويتساقط برد المساء، دع أوراق اللوتس تسقط حتى نسمع المطر». الأعمدة الحجرية لمقصورة تسانغ لانغ (الأمواج المتلاطمة) نقش أعلاها بزوج الأبيات الشعرية «لا قيمة للرياح الباردة والقمر المضيء، المياه القريبة والجبال البعيدة مفعمة بالمشاعر»، لغة رقيقة، غزيرة المعاني، عبارة بديعة نادرة الوجود.

تبدو الحدائق بمناظر مختلفة في الفصول المختلفة.عند المدخل الجنوبي لقاعة قويهوا (إكليل الغار) بحديقة قهيوان في مدينة يانغتشو، تقف سيقان البامبو بالقرب من الباب طازجة ونقية تسر الناظرين، وضعت بينها رواسب كلسية غير مشذبة، لتكوّن منظر الربيع بالحقيقة والخيال؛ في الشمال الغربي للحديقة جبل الصيف المصنوع من حجارة البحيرة، أودية جبلية بجداول جارية عميقة، جميلة وهادئة تسر الأرواح؛ جبل الخريف هو جبل من الحجر الأصفر، يقف على الأرض مباشرة، شامخ وشديد الانحدار، عندما تغيب الشمس في الغرب، يتوهج الأفق على الجبل، ألوانه الرائعة كصورة لجبل الخريف؛ في الفناء الصغير بالجنوب الشرقي، تراكمت على محاذاة الحائط حجارة بيضاء اللون يطلق عليها باللغة الصينية «شوانشه»، ترمز إلى قرب تساقط الثلوج، كما فتحت نوافذ في الجدار تجعل الرياح الباردة تعصف بالمكان، وهذا للمشهد الشتوي. حديقة أخرى في يانغتشو—خهيوان، اهتم مشيّد الحديقة أن يغرس ويربي بدقة البارسول، الغار، عود الصليب، عود الصليب العشبي، موز الجنة وغيرها من النباتات طبقاً لموسمها، فأبدع مناظر مختلفة للفصول الأربعة فيها أوقات الربيع متألقة، أيام الصيف ظليلة، موسم الخريف وارف الأغصان، والشتاء دائم الخضرة.

الحياة المادية والحياة الروحية لكثير من رجال الأدب لم تكن تفارق الحدائق، فتستشعر في أركان الحدائق كلها مشاعر المتعلمين واهتماماتهم وأنفاسهم وتلامسها. فالحدائق لم تقتصر في تكوينها على الجبال والمياه والعيون والأحجار والمقصورات والشرفات والحجرات، فكل ما يرتبط بساكن الحديقة ويمكنه إبراز جو الحديقة، يعتبر جزء مكوّن للحديقة، من الكنوز الأربعة للكتابة (فرشاة الكتابة، عصا الحبر، المحبرة، الورق) إلى الموضوعات الرومانسية (الرياح، الزهور، الثلوج، القمر)، كان لجمعها الفضل في تشكيل ثقافة فريدة للمجتمع الصيني القديم، وهي الخلفية التي تشكلت على أساسها أساليب الحدائق.

معمار العامة



معمار العامة يشير إلى المباني المشيدة في القرى من هذه البيئة، مقامة من أجل السكان، كما تشمل ما يتعلق بها من معابد تذكارية، مباني المسارح، القنطرة التذكارية وغيرها من الأشكال المعمارية. يرتبط ظهور معمار العامة الصيني وتطوره بشكل وثيق بحالة المجتمع، وهو يعكس أوضاع إنتاج الناس، عاداتهم وتقاليدهم، الاختلافات بين القوميات، الديانة والعقيدة، وفي الوقت نفسه يجمع اتجاه الناس للبحث عن الجمال ووعيهم الاجتماعي.

كان للنظريات والأفكار الدينية ونظرية ين-يانغ والعناصر الخمسة تأثيراً عميقاً على التوزيع الأفقي وتشكيل المساحات ومعالجة المناظر في معمار العامة التقليدي بالصين. فمنازل العامة التقليدية بالصين كثير منها تلبي الحاجات المعيشية لأسرة مجتمعة، فمن قرية أهلها من قومية واحدة والقلاع، قصور البلدة من قومية واحدة إلى الأفنية للعشيرة الواحدة، يربطها كلها علاقة قرابة. تقاليد احترام السلف لدى الصينيين، والمعابد التذكارية لتأليه السلف أصبحت أهم المباني في الأسرة بل والقرية، حيث تتخذ المباني الأخرى مركزاً منها. في النظريات الأخلاقية القديمة بالصين نجد كلمة «الاحترام» تتناول احترام الأب وتواضع الابن، احترام الأكبر سناً، التمييز في معاملة النساء والرجال. ويظهر ذلك في ترتيب المبنى، ففي البداية نجد أن الغرفة المركزية التي يقيم فيها الأبوان ترتيبها على الخط المحوري للمجموعة كاملة، موقعها في المنتصف، الأجنحة التي يسكنها الأبناء والأحفاد مرصوصة بالتساوي على الجانبين الشرقي والغربي للغرفة المركزية؛ كما تختلف درجة غرفة الأبوين عن غرف الأبناء والأحفاد من حيث مساحة البناء، وزخارف الغرفة من الداخل وترتيبها. التمييز في معاملة النساء والرجال يؤكد على وضع حدود ونماذج لحرية المرأة في التصرف وحرية الشخص، وتنعكس على ترتيب الغرف، حيث نجد الرجال في الغرف الخارجية والنساء في الغرف الداخلية، ففي الحالات العادية لا يمكن للنساء أن يخرجن من الباب دون تصريح، ولا يمكن للغرباء أن يدخلوا الفناء كما يحلو لهم، ومن هنا جاءت العادة أن يطلق الناس على الزوجة «ني رن (القاطنة في الداخل)».

«فنغ شوي» هو فن لتحديد موضع المعاش والقبر حيث يقوم على أساس نظرية ين-يانغ والعناصر الخمسة. ونظراً لاعتقاد الناس قديماً أن «فنغ شوي» البناء يمكن أن يؤثر بشكل مباشر على ازدهار الأسرة وتقدمها، كانوا في البداية عند بناء الغرفة يفكرون في حسن «فنغ شوي» وسيئه، مستخدمين «فنغ شوي» لتوجيه اختيار العنوان الأساسي، ترتيب المساحة وتركيب الفراغات وغيرها.

تتمتع الصين بمساحة كبيرة، شعب كثير، بيئات طبيعية وجغرافية مختلفة وقوميات مختلفة العادات، مما جعل المساكن الموزعة في الأنحاء المختلفة تتمتع بسمات المنطقة وأساليب القومية بشكل مكثف، وذلك على ضوء احترام القواعد الأساسية للمعمار الصيني التقليدي. وهذه المساكن لم تكتف بملاحظة البناء ودراسته، بل تعددت أنواعها، وفيما يلي شرح مختصر لبضعة منها تمثلها.

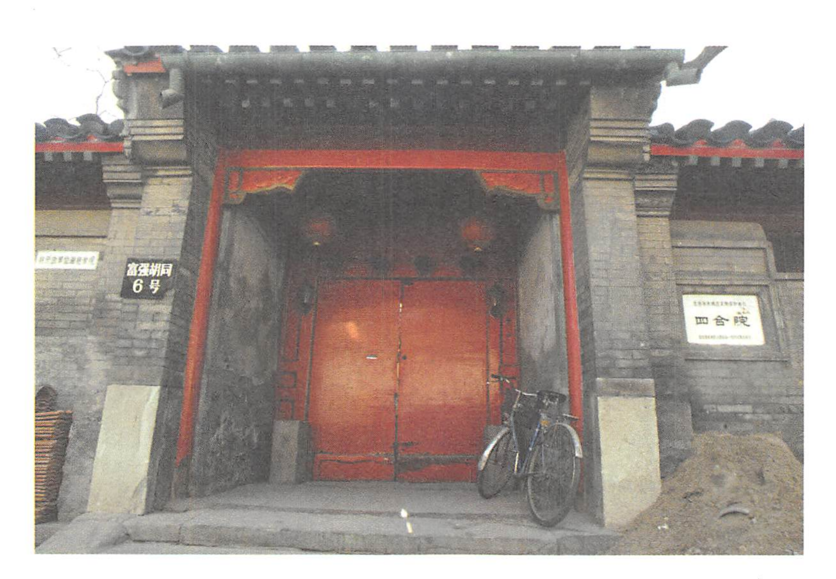


الأفنية الرباعية في بكين

السمة العامة للمساكن التقليدية بشمال الصين هي اتخاذ الفناء (أو الفناء الصغير) مركزاً، توزيع الأنواع المختلفة للإشغال على أساس مبدأ الخارج الصلب والداخل الفارغ والتنسيق العادي بالتساوي على جانبي المحور. من بينها، الأفنية الرباعية في بكين التي استقرت لفترة طويلة في العاصمة، واستمرت تستخدم طريقة رسمية كاملة محكمة، لتلائم متطلبات النظام الأسري للمجتمع الصيني القديم ومتطلبات الدين والأخلاق، وتعتبر أفضل نموذج لمعمار المساكن في الصين القديمة.

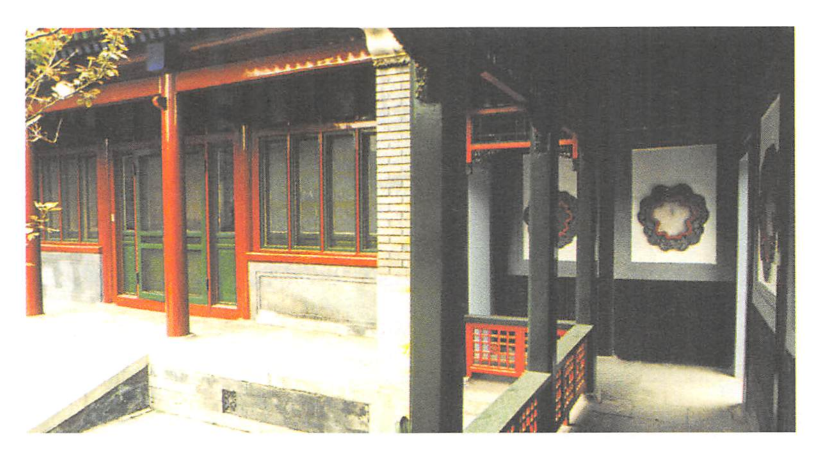
تتكون الأفنية الرباعية في بكين معظمها من غرف وفناء موزعة بالتساوي على خط محوري يمتد من الجنوب إلى الشمال، حيث تفتح البوابة الرئيسية بزاوية جنوب شرقية، فهي أكثر «الأبواب الثمانية للقصور» جلباً للخير وذلك طبقاً لنظريات «فنغ شوي» ومواضع باكوا ، حيث يمكن أن تجلب الثروة والحظ. بعد الدخول من الباب يلقى المرء في وجهه جدار حاجب منقوشة حجارته بدقة، وقد كان الغرض الرئيسي من الجدار الحاجب قديماً هو إخراج الأرواح الشريرة، فيمكن القول من فنون الفراغات، إنها يمكن أن تزيد تغيرات الفراغ وعزل خط البصر الخارجي، مما يلبي حاجة الأسرة من السرية في المسكن.

بالالتفات إلى الغرب نجد فناء أمامي صغير وضيّق، الغرف جنوب الفناء هي غرفة الضيوف، حجرة الدرس، مكتب الأسرة أو غرفة المعدات. في الطرف الشمالي من الفناء الأمامي نجد الباب الثاني للمسكن،



بوابة الأفنية الرباعية ببكين



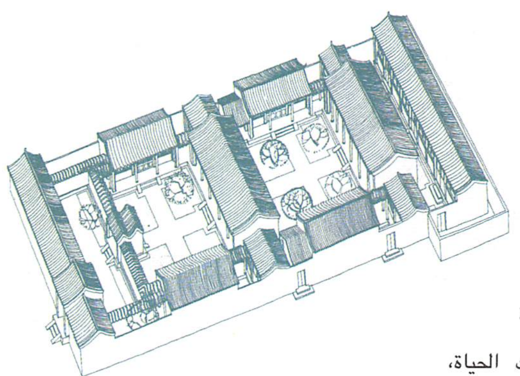


ممر الأفنية الرباعية

يقع على الخط المركزي، العمودان على الجانبين الأيمن والأيسر للأفريز الأمامي يسقطان عموديين في نصف الفراغ دون ملامسة الأرض، الطرف السفلي للعمود منقوش على شكل زهرة، لذلك يطلق عليها «بوابة الزهرة الساقطة»، معظمها فخمة، وهي أهم نقاط الزخارف في المنزل. تعتبر بوابة الزهرة الساقطة هي البوابة الفاصلة بين الفناء الداخلي والفناء الخارجي، كما تفصل بين المسكن الداخلي والمسكن الخارجي، وقد تم نقلها إلى خلف القاعات في الأفنية ذات العديد من القاعات، لتصبح بوابة غرفة النوم في تصميم «القاعات في الأمام وغرف النوم في الخلف».

داخل بوابة الزهرة الساقطة نجد الفناء الرئيسي للأفنية الرباعية، وقد غرست الزهور والأشجار داخل الفناء، لتكوين بيئة سكنية هادئة ومريحة. الغرفة المركزية شمال الفناء والمتجهة من الشمال إلى الجنوب هي الجزء الرئيسي من الفناء الرباعي، ونظراً لأنه في عصري أسرتي مينج وتشينج وضعت لدرجة المنازل قاعدة أن «منازل العامة يجب ألا تتجاوز ثلاث غرف وخمس أعماق»، جميعها عرضها ثلاث كايجيان (العرض النموذجي للغرفة في المنازل القديمة بطول رافدة خشبية)، تلاصقها على الجانبين غرف جانبية. تناظر الأجنحة يقع على جانبي الفناء. خلف الغرفة المركزية فناء صغير، ويطلق على صف الحجرات داخل الفناء «غرف التغطية»، حيث تعتبر آخر صف في المنزل.

وفقاً للاحترام والتواضع وترتيب الكبير والصغير، استخدمت الأفنية الرباعية جميعها من الداخل: صاحب المنزل (السلف) يسكن الغرفة المركزية، القاعة الوسطى للوح التذكاري لعبادة السلف، مثل المعبد التذكاري المصغّر؛ الأجنحة على جانبي الغرفة المركزية، يسكنها الخلف. الغرف الأخرى منخفضة عن الغرفة المركزية مهما كان قياس الكايجيان، قياس العمق أو ارتفاعها أو طريقة زخرفتها، فهذا التصميم عمل على التشكيل الواضح لعلاقة السيد والتابع، الأساس والمشتق، الداخل والخارج، لتبرز عبادة السلف


لوحة محورية الأفنية الرباعية

وهيبة الأبوة، مما جعل الغرفة المركزية ليست مركز حياة الأسرة في الواقع فحسب، بل هي رمز لروح الأسرة.

وهناك ميزة أخرى لشكل الأفنية الرباعية، وهي إمكانية «التوسع» دون قيود. مع زيادة عدد أفراد الأسرة أو متطلبات الحياة، يمكن تشكيل أفنية متعددة العمق، كما يمكن إضافة فناء جانبي أو عدد من الطرق المتوازية وذلك على المحور الرئيسي، حيث تستخدم الممرات والجدران كرابط وحاجز. وهذا النظام السكني يلائم التقاليد الأسرية الصينية القديمة وطريقة تطورها.

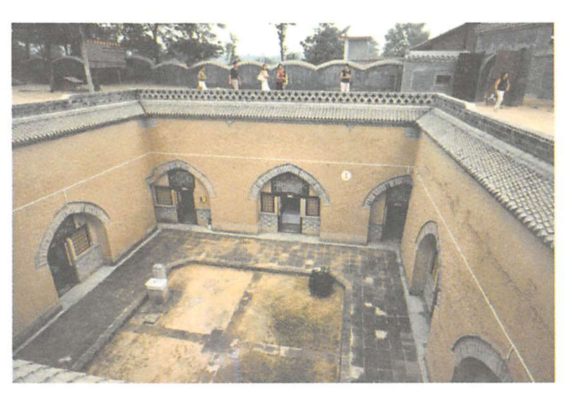
فضلاً عن الأفنية الرباعية في بكين، في هونان ومقاطعات شانشي وشآنشي وهينان وغيرها من المناطق، حيث قيظ الصيف، تصبح الأفنية ضيقة وطويلة من الجنوب إلى الشمال، لتحمي من الشمس الحارقة؛ في قانسو وتشينغهاي بمنطقة الشمال الغربي، تعمل على منع البرد القارس وحجب الرمال، حيث تكون جدران الفناء عالية وسميكة، ويطلق عليها «أعشاش القرية»؛ في منطقة الشمال الشرقي حيث المساحات الشاسعة نادرة السكان، والبرد القارس، نجد المساكن أكثر اتساعاً لاستيعاب أكبر قدر من أشعة الشمس. حيث تتميز الأفنية الرباعية بسمات مختلفة تلبي متطلبات البيئة.

مساكن الكهوف في الشمال الغربي

توجد في السهول الوسطى للنهر الأصفر طبقة كبيرة من الرواسب الطفيلية، سهلة الحفر، كما تتميز بمقاومة البرودة والحفاظ على الدفء، لذلك تم حفر مواضع المنحدرات في الرواسب الطفيلية كشكل من أشكال المساكن عبارة عن كهوف أفقية ـــ مساكن الكهوف، تنتشر في قانسو، شآنشي، شانشي، هينان ونينغشيا وغيرها من المقاطعات والمناطق.

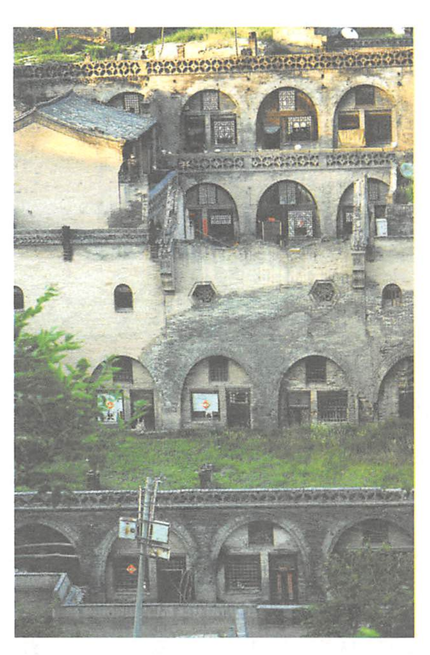
مساكن الكهوف هي مساكن تحافظ على تبيؤ الطبيعة وتعتمد على الأرض، ولا توجد بها الأشكال والممرات التي تتمتع بها المباني العادية، فما تبرزه في أسلوبها الفني هو الجمال الذي تكوّنه ألوان الرواسب والإحساس بخامتها وفراغها الداخلي، كما تتميز بالجو المحلي من الخشونة، البساطة، والصراحة. وتنقسم مساكن الكهوف إلى ثلاثة أنواع كبيرة: الجرفية، الفناء تحت الأرض والكهوف الحبيسة.




الكهوف تحت الأرض — الفناء تحت الأرض محافظة شان بمقاطعة هينان

الكهوف الجرفية هي كهوف محفورة مباشرة في حفرة أفقية، تعتمد على الجبل بمحاذاة الحفرة، تتماوج في ارتفاعها وانحدارها. يمكن حفر كهوف أخرى في الكهوف ذات منحدرات عميقة وسميكة، يطلق عليها «تيان ياو (كهف سماوي)»، يربط بينها وسطح الأرض منحدر أو سلّم من الطوب، كما يمكن الربط من داخل الغرفة باستخدام سلّم. خارج الكهف كثيراً ما يستخدم المنحدر كفناء صغير، أو تشكل مع الكهوف الحبيسة أفنية ثلاثية وأفنية رباعية، حتى أنها تشكل مسكن كبير بعمقين.

الكهوف تحت الأرض تتم بحفر فناء إلى أسفل في قطاع مستو، ثم يتم حفر الكهوف الأفقية في المنحدرات الأربعة. السلالم الطويلة الخارجة من الحفرة الأرضية بعضها داخل الفناء، وبعضها خارج الفناء تخترق الكهف لتدخل إلى الفناء؛ بعضها يدخل في خط مستقيم وبعضها بزاوية، كما أن بعضها ملتف، بأشكال تختلف عن بعضها، فأضافت إلى مجموعة الكهوف الأرضية الكثير من المتعة.


أهم الكهوف متعددة الطوابق— المنازل الشعبية بخنادق وكهوف شي جيا بشانشي

الكهوف الحبيسة هي في الحقيقة منازل مشيدة باستخدام الطوب اللبن أو الحجارة، أعلى القنطرة مغطى بطبقة من التربة. أكثر أشكال الكهوف الحبيسة شيوعاً هو الكهوف الحبيسة بثلاث فتحات، متخذة منها وحدتها الأساسية لتشكل أفنية ثلاثية وأفنية رباعية؛ كما أن بعضها مندمج في المنازل ذات الهياكل الخشبية، دائماً ما تكون الكهوف الحبيسة هي

الغرف الرئيسية، لتستغل مميزاتها من الشتاء الدافئ والصيف اللطيف.

رغم الاختلاف الكبير بين مساكن الكهوف والمساكن الأخرى من حيث شكلها المعماري، لكنها من حيث التكوين الفراغي لا تزال تتبع التنسيق التقليدي للمساكن. فكثير من الكهوف تتخذ من الكهف الشمالي الأساس، مستخدمة إياه في تحديد الغرف أو غرف نوم السلف، حيث تكون الأجنحة الشرقية والغربية هي غرف النوم، المطبخ أو غرفة المخزون، وفضلاً عن المدخل في الجنوب كثيراً ما تستخدم دورة مياه والحظيرة وغيرها، وتقع البوابة الكبيرة في الزاوية الجنوبية الشرقية للفناء، وتشبه كثيراً مساكن الأفنية الرباعية في علاقتها المساحية. ومهما كان شكل المسكن، ومهما تغيرت خامتها، فلا يتغير جوهرها، حتى ذات الفناء الداخلي، هي نتيجة تأثير أوضاع مجتمع القبائل الإقطاعية.

مساكن هويتشو

قرى مساكن هويتشو، موزعة حيث تستند إلى الجبال وتجاور المياه، في بيئة بديعة الجمال. في عصر أسرتي مينج وتشينج، كان فنغ شوي إحدى المشكلات التي أبدى لها أهل هويتشو اهتماماً، حيث قيل إن «الأرض المباركة لا تخلو من المياه»، فكل قرية تجري فيها الجداول، فتجد «مصب المياه» هو نقطة الاتصال الحقيقي لفنغ شوي القرية كاملة، فهو يعني صعود وهبوط وتجمع وتفرق سكان القبيلة والثروات. كما يجب إقامة مبان مثالية على المصب، لإغلاق المعبر الاستراتيجي، فنجد مثلاً استراحة تانغموه، المقام

رابط المعلومات

المقامات التذكارية المقنطرة هي مبان على شكل بوابات تختص بها الصين، أما بالنسبة للغرض من إقامتها، يمكن أن تنقسم إلى أربعة أنواع: أولها قنطرة تذكارية للفضيلة والعفّة، تسجل فضائل وأخلاق شخص ما؛ ثانيها قنطرة تذكارية للعفة والأخلاق، معظمها للثناء على النساء العفيفات المثاليات؛ ثالثها ترمز إلى الإنجازات في الاختبار الامبراطوري، معظمها قنطرة تذكارية للقبيلة، تستخدم لشهرة السلف؛ رابعها القنطرة الرمزية، تقام معظمها في مدخل القرية أو الشوارع، تستخدم في الفصل بين قطع الفراغ.



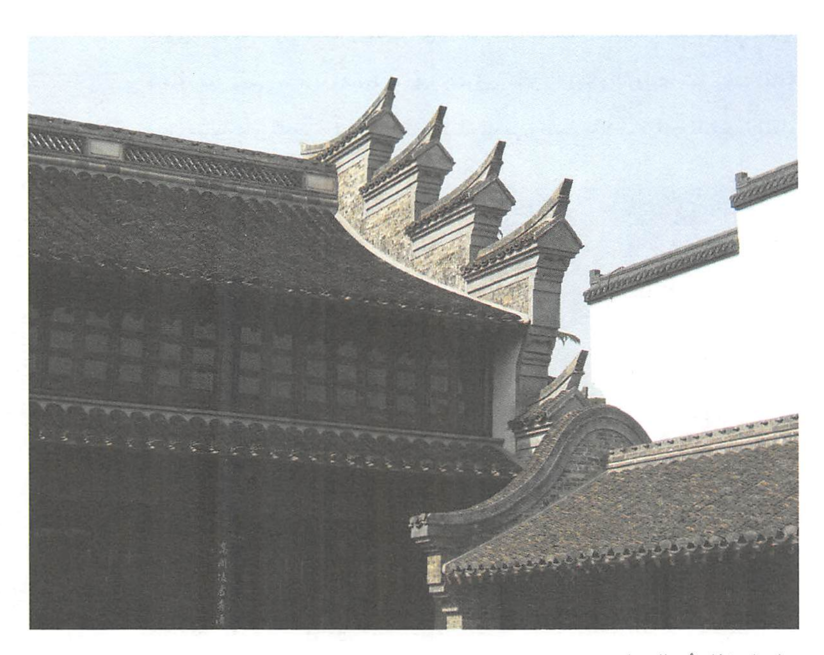
قرية هونغ بمحافظة أي – مقاطعة آنهوي




الرسومات التفصيلية الخشبية بالمنازل الشعبية في هوينشو

التذكاري المقنطر في شيونينج، برج جبل بيشان بمركز ييشيان وغيرها، بل إن قرية تانغيوه بمركز شهشيان بها ٧ مقامات تذكارية مقنطرة تنشر للناس قصص الابن المطيع، الشعب الطيب والزوجة العفيفة، اصطفت بشكل متواصل على الطريق الرئيسي للقرية، تحمل بعض القوة.

تتمتع هويتشو بتقاليد عميقة للنظام القبائلي، حيث يسكن أهل كل لقب معاً، والمعبد التذكاري هو مركز القبيلة، ومن خلال بناء المعابد التذكارية وتقديم الاحترام وغيرها من الأنشطة القبلية، يتحد أهل القبيلة متماسكين تحت نصب قبيلة واحدة،


جدار على شكل رأس الحصان



لتشكيل مجموعة ذات روابط متماسكة، بل إن الأبناء والأحفاد يشيدون مساكنهم حول المعبد التذكاري.

التوزيع الأفقي لمساكن هويتشو المثالية، يستخدم أسلوب الكهوف تحت الأرض، وينتشر هذا الهيكل من الأفنية على طول قطاع جيانجسو، تشجيانغ، آنهوي، جيانجشي. عادة ما تكون مواجهة لمدخل البوابة، وفي الداخل كهف واحد تحت الأرض، وهذا الكهف هو مركز المسكن، حيث تطرد كلُّ غرفةٍ المياهَ إلى الكهف الأرضي، لذلك يطلق عليه السكان المحليون «قاعة عودة أربعة مياه»، حيث ترمز إلى عدم خروج الثروة. بعد ذلك نجد الغرفة المركزية نصف المفتوحة، والأجنحة على يمينها ويسارها، وخلف الغرفة المركزية نجد السلّم والمطبخ وغيرها، وهناك البعض يقيمون السّلم في المساحة بين الأجنحة والغرفة المركزية؛ في الدور العلوي ممرات دائرية، توزيع المساحة بها يختلف عن الدور الأسفل. يحيط بالمسكن سور أبيض اللون أعلى من مستوى الغرف، سور أبيض بطوب رمادي، ارتفاعه غير منظم، فيشعر المرء بالحس الجمالي من الانتعاش والاسترخاء، البساطة والحيوية.

يكثر التجار في هويتشو، فكثير من المساكن شيّدها التجار الأغنياء، حيث نجد العوارض المنقوشة والعوارض المرسوم عليها في الأفنية تحت الأرض لتوضح قوتهم وثراءهم، لذلك تشتهر مساكن هويتشو بجمال لا يقارن في «النقوش الثلاث» على الخشب والطوب والحجارة. لتجنب كارثة انتقال حريق الجيران للمنزل أو انتقال حريق المنزل إلى مسكن الجيران، يقوم الناس بتشييد جدار عالٍ مانع للحريق، لكنه اشتق ليصبح شكل زخرفي، فنجد على سبيل المثال الأنواع المختلفة للجدار على شكل رأس الحصان، جدار على شكل قوس، جدار على شكل السحاب وغيرها، فتعكس الإحساس بالإيقاع الفريد لمساكن هويتشو وذلك باستغلال التغيرات في صعودها وهبوطها.

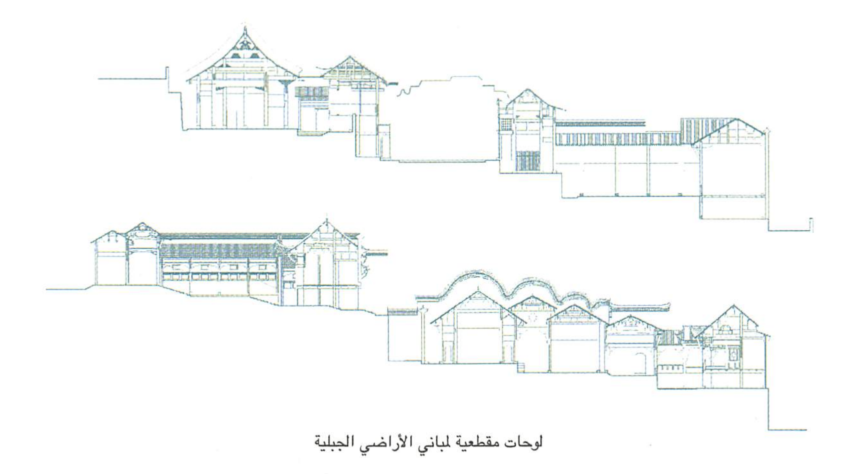
مساكن المناطق الجبلية في باشو

تقع باشو في الجنوب الغربي للصين، بتاريخ ثقافي عريق، وكثافة سكانية كبيرة، لكن تضاريسها شديدة الخطورة، لذلك يقال إن «صعوبة طريق شو، تفوق صعوبة الصعود للسماء»، لذلك ترتبط مساكن منطقة باشو دائماً بالتضاريس العالية والمنخفضة. من ناحية التوزيع، لا يزال بالغرف الرئيسية خط محور مركزي، ولا تتبع أشكال الغرف الثانوية والأفنية ومساحتها أسلوب واحد. ولملاءمة خصائص المنطقة الجبلية، دائماً ما يعتمد اتجاه المسكن وشكله على التضاريس، ويمكن إجمالها كما يلي:

«منصة»: تستخدم على الأماكن ذات ميل منحدر نسبياً، حيث ترتفع الطبقة بعد الأخرى مائلة في انحدارها مثل حفر الحقول المدرجة، لتشكيل منصات شاسعة. لذلك، تتوزع المنازل حسب اتجاه خط ارتفاع الطبقة، طبقة على طبقة، في منظر غير عادي.

«واقفة»: تستخدم في الأماكن ذات التضاريس الضيقة، حيث تشيّد على الأدوار أدوار بارزة أو





لوحات مقطعية لمباني الأراضي الجبلية

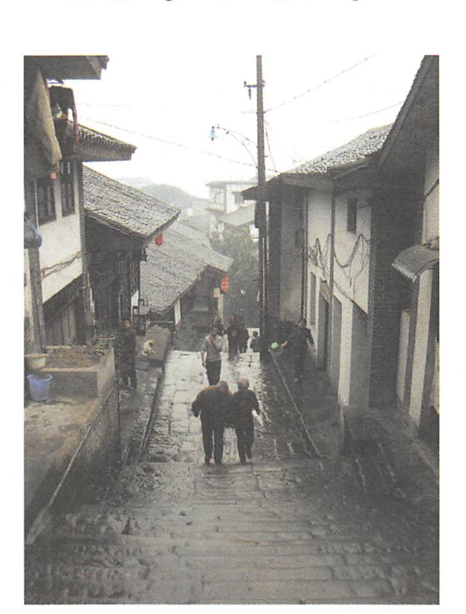
ممرات بارزة، لتوسيع المساحة داخل الغرفة.

«السحب»: تستخدم في أماكن منحدرات الجبال شبه المسطحة، تشيّد بتقسيمات مع المنحدرات وفقاً للاتجاه المتعامد على خط تساوي الارتفاع. وعادة ما تستخدم هذه الطريقة في أجنحة المنزل، فيظهر السقف على شكل درجات، تبعث على الحيوية والرشاقة.

«منحدر»: تشيّد المنازل مع المنحدرات وفقاً للاتجاه المتعامد على خط تساوي الارتفاع، حيث يكون الميل أكثر تسطيحاً من «السحب»، إلا أن أرض الغرفة من الداخل تنفصل في عدة ارتفاعات مختلفة، ويحافظ السقف على استمرارية كاملة.

«مكوكي»: أي سحب سقف المنزل إلى الخلف، لتشكل سقيفة مرتفعة من الأمام ومنخفضة من الخلف، تستخدم كثيراً في الأجنحة. عندما تكون الأنجنحة متوازية مع خط تساوي الارتفاع، تكون الغرف الجانبية المكوكية أقل ارتفاعاً من أرض الأجنحة، ويمكن أن تستمر إلى مسافة بعيدة.

«تعليق»: تصعب زيادة العميق نظراً



مزيد من المنازل التي بنيت على طول نهر اليانغستي في تشونغ تشينغ،والتي تتسم بوعورة تضاريسها

للتشييد على المنحدرات، لذلك تستخدم طريقة التعليق لتوسيع عمق الغرف العلوية. الأدوار بارزة، فتزيد مساحة الغرف، كما تقوم المداخل والمخارج للدور الأسفل بدورها في التغطية من الأمطار، في بناء أكثر حيوية. نظراً للميل الشديد في التضاريس لبعض المنازل، تمت إطالة دعامات المنازل المعلقة، حتى أن بعضها يتجاوز طابقين؛ كما أن بعضها شيدت بها المنازل مع طبقات المنحدر، تبرز إلى الخارج طبقة بعد طبقة. تكثر هذه العمارة على الضفة الموازية لنهر اليانجتسي ونهر جيالينج بمدينة تشونغتشينغ، وتتميز بسماتها الفريدة.

تولو مقاطعة فوجيان

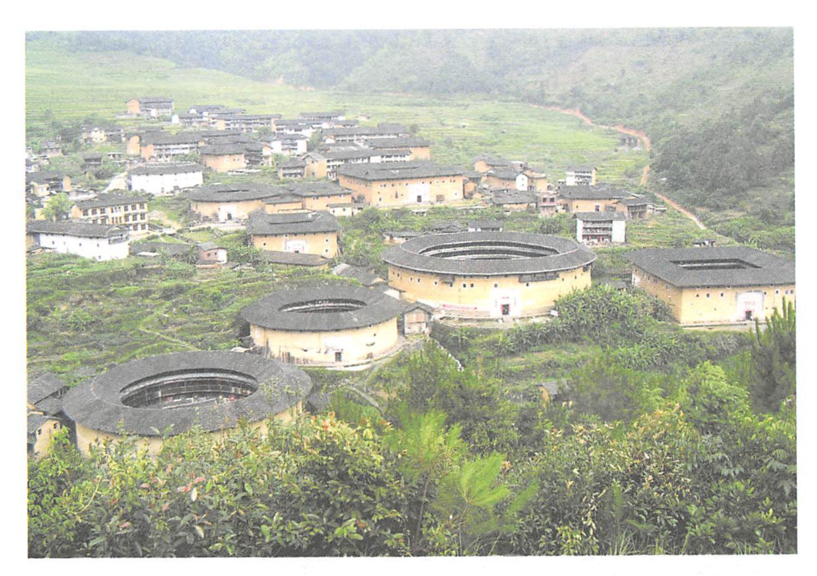
على شريط يونغدينج، لونغيان، تشانغبينج وتشانغتشو جنوبي مقاطعة فوجيان، تتناثر منازل تولو كثيرة لأهل هاكا. تتميز التولو بارتفاعها، فعادة ما تكون من ثلاثة إلى أربعة طوابق، ويصل إجمالي ارتفاعها إلى اثني عشرة أو ثلاثة عشر متراً، يحوطها سور مكبوس قوي يصل سُمكه إلى متر أو مترين، وتعتبر شكل معماري يتميز عن مساكن المناطق المختلفة في الصين بسماته الخاصة به وجذبه للأنظار. هناك ثلاثة أنواع رئيسية هي الأكثر تمثيلاً لتولو مقاطعة فوجيان: يوانلو (المباني المستديرة)، فانغلو (المباني المربعة الشكل)، ووفنغلو (برج خمسة العنقاوات)، فضلاً عن الكثير من الأشكال المتغيرة.

مشيّدو التولو هم في الأساس «أهل هاكا»—أهل قومية هان الذين بدأوا الانتقال تدريجياً إلى الجنوب بسبب فوضى الحرب قبل ما يزيد عن ١٠٠٠ عاماً. نظراً لعدم استقرار المجتمع، تكرار حدوث قطع الطريق، أصبحت هذه المساكن الحصينة التي يتجمع لسكنها ما يمكن إحصاءه في مائة شخص، هي الطريقة التي اتخذها أهل هاكا للتصدي للهجمات المسلحة.

أهل هاكا «تعود جذورهم للسهول الوسطى»، العنصر الأساسي لأسلاف أهل هاكا فيناندو هم النبلاء بالمعاطف والقبعات والأسر الثرية التي أنجبت شخصيات عامة لأجيال عديدة، حيث يفتخر أهل هاكا بتلك الفترة التاريخية عندما كان أسلافهم النبلاء بالمعاطف والقبعات بالسهول الوسطى ويظلون يتذكرونهم، رغم أن ثقافة الهاكا استمرت تتغير وتتطور مع التحولات التاريخية، لكنها لا تزال مرتبطة بشكل وثيق بالثقافة التقليدية للقوميات الصينية، حيث تبرز في كل مكان تأثير التعاليم الإقطاعية للسهول الوسطى. وينعكس هذا التأثير على أشكال معمار التولو، كما يبرز في التوزيع بالتساوي على جانبي الخط المحوري، التركيز على القلب (المركز)، الاكتمال والوحدة، الحدود الواضحة بين الأساسي والثانوي وغيرها من السمات.

مبنى تشنغتشيلو بمركز يونغدينج في مقاطعة فوجيان يمثل اليوانلو (المباني المستديرة). أقيم تشنغتشيلو في السنة الثامنة عشرة لحكم كانغشي من أسرة تشينج (١٧٠٩)، وانتهى العمل به بعد ٣





مجموعة التولو في تشهوشي بمقاطعة فوجيان

أعوام، بقُطر يبلغ ٦٢,٢ متر. تشنغتشيلو به إجمالي ٤ حلقات، الحلقة الخارجية بها ٤ طوابق، حيث الطابق الأول الأرضي هو المطبخ، الطابق الثاني هو المخزن، الطابق الثالث والرابع هما غرف النوم، كل طابق به ممر حلقي بالممر الأمامي؛ الحلقتان وثلاث حلقات بطابق مفرد؛ الحلقة الداخلية هي قاعة السلف للبناية كلها، على الخط المحوري مع البوابة الكبرى جنوبي التولو.

فانغلو (المباني المربعة الشكل) ترتفع من ثلاثة إلى أربعة طوابق من الجهات الأربع، داخل الفناء شيدت قاعة السلف على الخط المحوري مواجهة للبوابة الكبرى. حول فانغلو (المباني المربعة الشكل) والفناء الداخلي معظمها بها مبان ملحقة، يطلق عليها السكان المحليون «تسوه»، هذه المباني الملحقة ترتبط بشكل وثيق بالتولو، لتعكس علاقة الرئيس والتابع، فأصبحت جزء لا يتجزأ من التولو، لتخلق شكل مساحي ثري ومتنوع، وشكل معماري من مجموعة رائعة.



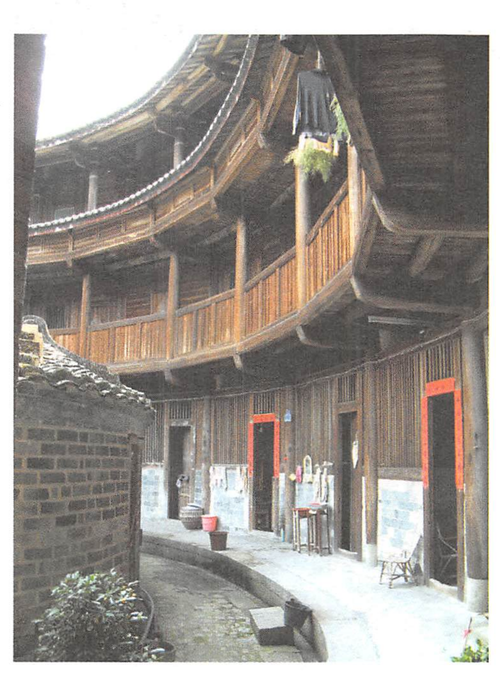
منازل جنغ تشهنج بيونغ دينغ بمقاطعة فوجيان, والتي أسست في عام ١٩١٢



فانغ يوانلو (المباني المربعة المستديرة الشكل) أقيمت في وسطها قاعات السلف، بلوح تذكاري للسلف، وهي مكان تقام فيه الاحتفالات. لذلك فإنه في التولو التي كان يسكنها السلف، تكون قاعة السلف هي الأعلى، فاحترام السلف من الأخلاق الحميدة التقليدية، والرباط لتوحيد صلة الدم؛ قاعة السلف هي الموضع الرئيسي بمساكن المبنى، فهي ليست نظام طقوس عبادة مركزية فحسب، فهي بالنسبة لأهل هاكا الذين انتقلوا من السهول الوسطى إلى جنوب فوجيان وغيرهم من المهاجرين، ربما تحمل مغزى عميق لئلا ينسى أصوله وألا ينسى سلفه.

ووفنغلو (برج خمسة العنقاوات) هي شكل بارز في تولو جنوب غربي فوجيان. تنقسم على الخط المحوري إلى ثلاث قاعات، القاعة السفلى هي حجرة البوابة، التضاريس منخفضة قليلا؛ القاعة الوسطى هي قاعة السلف، تستخدم لاستقبال الضيوف، فهي مكان إقامة الاحتفالات القبلية ومركز المسكن ككل، التضاريس منخفضة قليلا؛ القاعة الخلفية هي المبنى الرئيسي المكون من ثلاثة إلى خمسة طوابق، الأعلى موجود على الطرف الشمالي للخط المحوري، هي مسكن السلف في القبيلة، هي أعلى مبنى في المسكن ككل. يربط بين الثلاث قاعات شرفة ممرات، تحيط مشكلة فنائين. الغرف المشيدة على الصفين الأيمن والأيسر هي غرف على الصفين أمام الحجرة المركزية على شكل سلالم، تهبط تدريجياً من ثلاثة طوابق إلى طابقين، طابق، مثل جناحين لثلاث حجرات، وهي مسكن السلف الأقل في الترتيب.

كلمة «ووفنغ» في ووفنغلو (برج خمسة العنقاوات) تشير إلى «طائر» بخمس ألوان مختلفة: الأحمر، الأصفر، الأخضر، البنفسجي، الأبيض، كما ترمز في الوقت نفسه إلى الاتجاهات الخمس وهي الشرق، الجنوب، الغرب، الشمال والوسط، لتوضح أن هذا المنزل يتميز بسمات الجمع بين المحور المركزي والاتجاهات الأربعة وهي اليمين واليسار والأمام والخلف في ترتيب. تبدو ووفنغلو من المظهر



المناظر الداخلية لمباني تشياوفو بقرية هوكنغ بمحافظة يونغدينغ

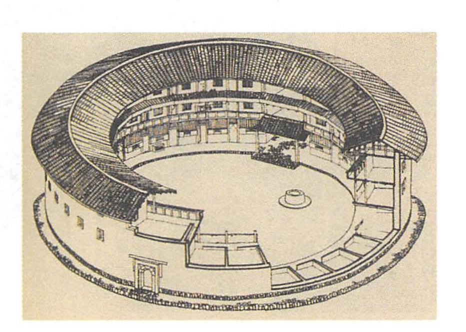




البيئة الداخلية لمبنى تشنغ تشي

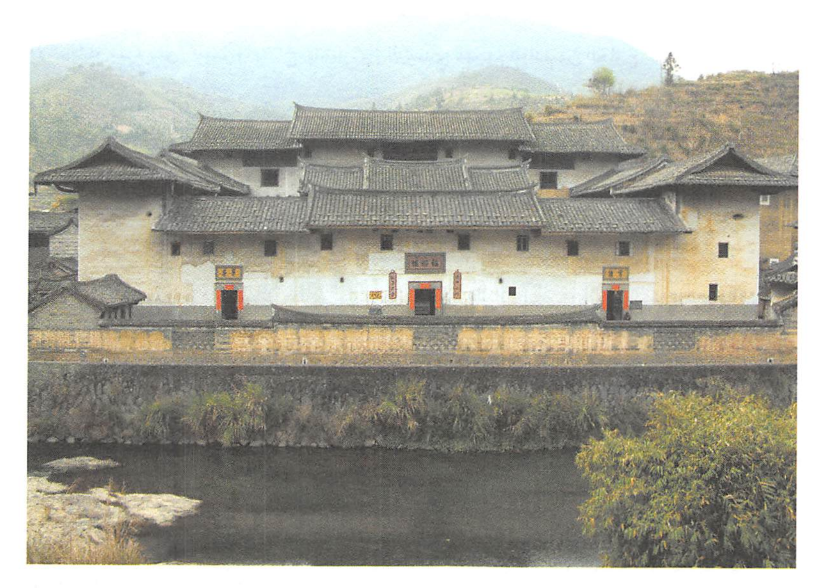
الخارجي طبقات متراكبة، متناثرة عشوائياً عالية ومنخفضة، تبدو مثل مقر إقامة النبلاء وقصور ضخمة ومهيبة، كما تشبه عنقاء تتطلع إلى بسط جناحيها لتطير.

يمكن القول إن ووفنغلو هي أول شكل من أشكال تولو مقاطعة فوجيان، لذلك فهي الأكثر ارتباطاً بالمعمار التقليدي في السهول الوسطى، تطور فيما بعد إلى فانغلو ويوانلو كشكل من أشكال مساكن تولو مقاطعة فوجيان تلبس القديم برداء الحديث. فضلاً عن وجود المعبد التذكاري في أعلى مكان بالمسكن في فانغلو ويوانلو، بالكاد لا يُرى ترتيب للوحات التذكارية داخل منزل القبيلة، فكلها حجرات نوم متحدة في الحجم تحيط بالتوزيع المركزي. وبصفة خاصة اليوانلو، فضلاً عن وجود علامة درجة واضحة في قاعة السلف، فإن المساحات



اللوحات المقطعية لمباني التولو





مبنى ووفنغ بمقاطعة فوجيان

السكنية كلها لا تنقسم بالأجيال وتنقسم متساوية المساحة، حجرات متساوية المساحة، وحدات سكنية متساوية المساحة، لا اتجاه لها؛ ووفنغلو تعكس تماماً مفاهيم علم الأخلاق الاجتماعية من «عدم التمييز في الاحترام، تقسيم اللوحات التذكارية، درجات الأعلى والأسفل، والتحدث بأدب»، فلا ترى فيها علاقة المساواة في اليوانلو، فهناك فارق واضح في درجات الحجرات، فتوزيع ووفنغلو وابتكاره كاملاً هي إعادة صياغة غير مباشرة لنظام الأخلاق وتعاليم الكونفوشيوسية.

في الصين القديمة كانت هناك قواعد صارمة تجاه طبقات الغرف. بل إن التولو ضخمة ومهيبة، مساحتها الهائلة تفوق كثيراً المساكن العادية في المناطق الأخرى، جسم المبنى وزخارفه خالفت بشكل واضح القواعد الملموسة التي فرضتها السلطة على السكان عبر العصور. لماذا يوجد هذا الشكل المعماري المخالف والمتميز في قرى جنوب غربي فوجيان؟ في البداية، قرى جنوب غربي فوجيان بعيدة عن المدينة، فيما يطلق عليه «سماء عالية وامبراطور بعيد»، ينقصها أرض القانون، ويصعب تنفيذ نظام درجات مساكن الموظفين؛ ثانياً، التولو الموجودة حالياً معظمها شيدت في عصر أسرة تشينج، فاخترقت التولو «التفصيل»، ربما كانت عدم رغبة أهل هاكا قومية هان غير المهجنين الذين يسكنون مساكنهم دائماً ألا يذعنوا لسلطة قومية مان.

أرض مكوّمة بهذا الارتفاع، ومشيدة مثل المدن، واستمر استخدامها لمئات السنين، لا تزال قوية

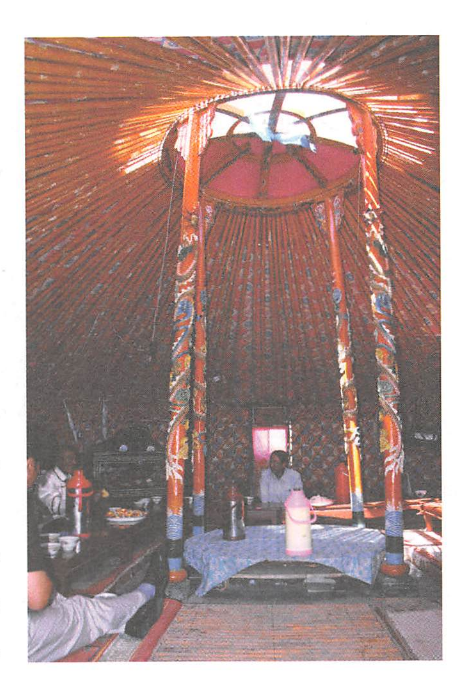


وراسخة تجعل المرء يشعر بالغموض؛ تحت سقف غرفة واحدة، تجتمع أسرة كبيرة، يتواصل ويتعايش مئات الأشخاص، يمارسون العمل والإنتاج، يتشاركون التصدي للهجوم القادم من الخارج، مما يثير دهشة المرء.

خيام منغوليا

«سماء زرقاء داكنة، برية شاسعة، تهب الرياح على العشب القصير فترى الأبقار والأغنام» (<<أغنية تشيلَه>>) هي وصف لمناظر المروج بالمناطق التي تجتمع فيها قومية منغوليا في منغوليا الداخلية وقومية الكازاخ في التبت وغيرها من القوميات، حيث تتناثر خيام اللباد البيضاء الكثيرة على المروج الخضراء الكبيرة، وهي شكل سكني فريد ناتج بما يناسب حياة الرعاة الذين يسكنون بالقرب من المياه والمراعي—خيام منغوليا (أو ما يطلق عليه منازل الخيام).

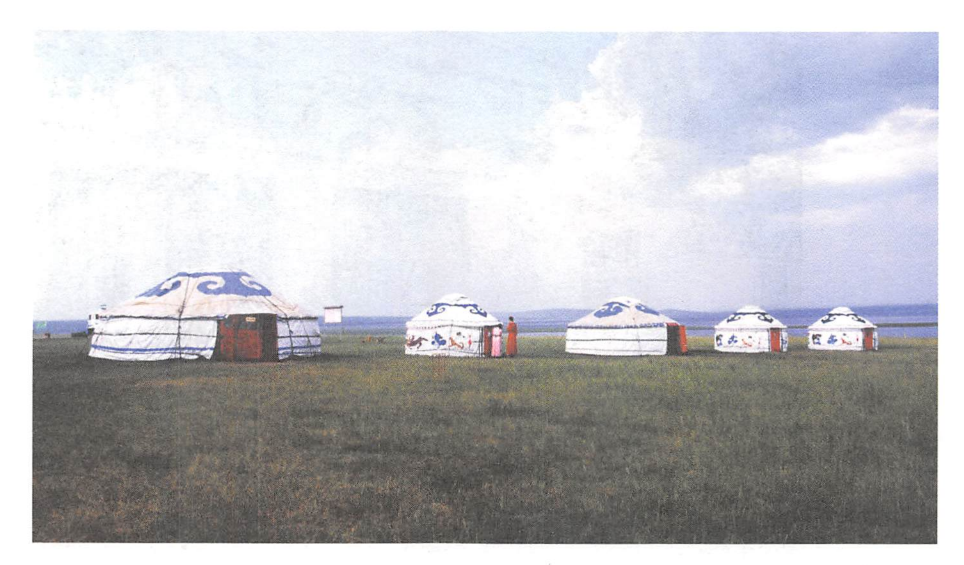
خيام منغوليا هي غرف متنقلة دائرية الشكل، نظراً لأنها محدبة من الخارج، لذلك أطلق عليها الناس قديماً «الأكواخ العالية». قُطر خيمة منغوليا كثيراً ما يكون ٤– ٦ متر، إطار شبكة مغزولة من الخشب، مغطاة من الخارج بجلد الماعز أو اللباد. مغطاة من أعلى بسقف متحرك على شكل مظلة، تركت على طرف السقف كوة دائرية لتسهيل الفتح والإغلاق، فهي للإضاءة، وفتحة تهوية، كما أنها فتحة لطرد الدخان.


المناظر الداخلية خيام منغوليا

داخل خيام منغوليا وأمام المدخل نجد مسكن صاحب المكان، مركز الخيام كلها هو موقد النار وحامل النار لطهي الطعام والتدفئة، وعلى الأرض والجدار الأربعة علقت سجاجيد ملونة وبديعة، مما يجعل المساحة الصغيرة تبدو دافئة وحميمة.

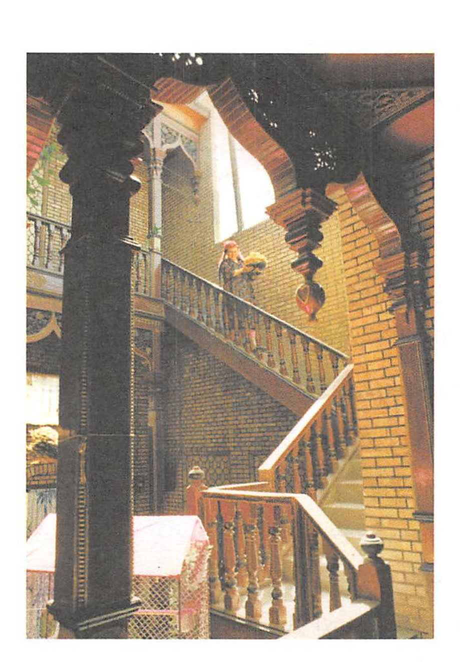
عادة ما ينتقل رعاة قومية منغوليا مرتين في العام: في مايو يصبح الطقس دافئاً تدريجياً، فيجب البحث عن منطقة وافرة المياه والأعشاب تلائم الرعي؛ وفي أكتوبر تهب الرياح الباردة، فيجب البحث عن مكان لقضاء الشتاء. تفكيك خيام منغلوليا وتركيبها لا يستغرق سوى ساعة إلى ساعتين، سهل للغاية، عند التحرك تستخدم سيارات الجمال أو سيارات الخيل للنقل.





خيام منغوليا

«آيوانغ» التبت

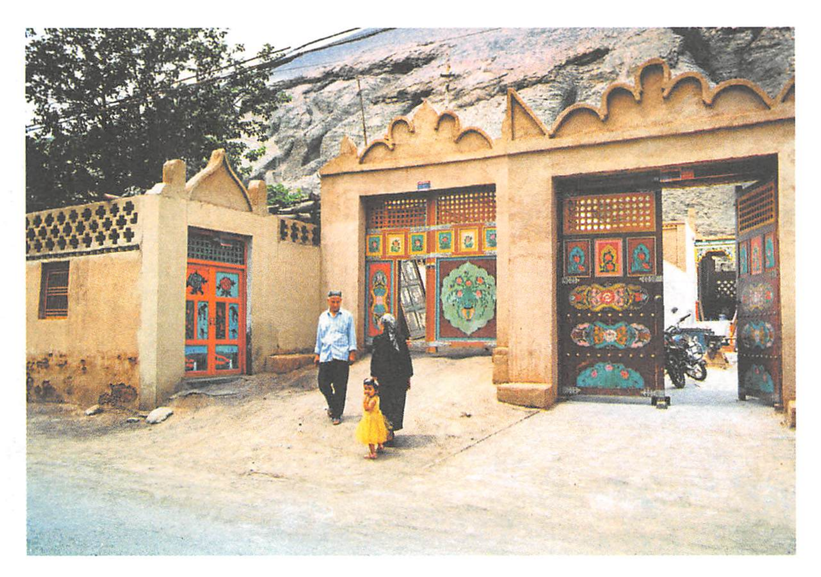


الأجزاء الداخلية للمباني السكنية بقومية الويغور بشينجيانغ

مساكن آيوانغ أطلق عليها هذا الاسم من قاعات آيوانغ، وكلمة «آيوانغ» تعني بلغة الويغور «المكان المضيء»، فهي شكل معماري تشتهر به قومية الويغور التبتية، تتميز بشكل واضح بخصائص القومية والسمات المحلية، ويمتد تاريخها إلى ما يزيد عن ٢٠٠٠ عاماً.

قاعات آيوانغ هي القاعات الأكبر مساحة، الأعلى طوابقاً، الأفضل زخرفة والأكثر إضاءة في هذا النوع من المساكن، حيث وضعت في وسط الغرفة ٢– ٨ أعمدة، وأعلى الأعمدة يبرز السقف، بنوافذ جانبية عالية للإضاءة، حول الأعمدة وضعت درجات كانغ (سرير من الطوب قابل للتسخين) عرضه ٢,٥– ٥ متر وارتفاعه ٤٥ ملليمتر، يفرش





المباني السكنية بقومية تولوفان بشينجيانغ

بالسجاد، مساحة مساعدة تصلح للحياة اليومية، استقبال الضيوف وتناول الطعام، الاسترخاء في مكان لطيف، ملجأ في أيام الصيف ولياليه، لهو الأطفال، نقاهة كبار السن من المرض وقيام السيدات بالغزل، تربية ديدان القز، نسج السجاد، تنقية البذور في مواسم الانشغال وغيرها من الأعمال الزراعية. في الأعياد والمناسبات، تصبح مساحة بهجة لشعب قومية الويغور القادر على الغناء والرقص الحسن حيث يجتمعون للعزف والغناء، الغناء مع الرقص. الغرف الأخرى في مساكن آيوانغ تحيط في توزيعها قاعة آيوانغ.

إذا نظرنا من الزاوية المعمارية، نجد أن «آيوانغ»هي جزء من الغرف، هي غرفة المعيشة داخل المسكن كله؛ لكن بالتحليل الوظيفي، فهي موضع الأنشطة خارج الأبواب، في موضع استقبال الضيوف، الاجتما ع، أنشطة الرقص والغناء. فإذا قمنا بالمقارنة بين آيوانغ وغيرها من أماكن الأنشطة خارج الأبواب مثل الشرفات والأفنية، وجدناها أكثر ملاءمة للرياح الرملية، البرد القارس، الصيف القيظ وغيرها من سمات الطقس. فهي شكل معماري محلي تعود جذوره إلى جغرافيا المكان والبيئة الثقافية. سمات الجو الفريد للتبت، هي النبع الأكثر عمقاً الذي ابتكر منه شعب قومية الويغور مساكن آيوانغ.

تتميز غرف مساكن قومية الويغور من الداخل بالنظافة والمظهر الجميل، جدرانها مزخرفة كلها بمنسوجات، مثل سجاد الحائط، ستائر الأبواب، ستائر النوافذ وغيرها، الأرض مفروشة بالسجاد؛ التدفئة لا تحتاج حفرة نار للتدفئة مباشرة بالنار، لتجنب التأسخ بالرماد، حيث تستخدم المدفأة، الجدران النارية،

حفرة النار للحفاظ على النظافة داخل الغرفة. مساكن قومية الويغور متنوعة حيث تستخدم أشكال الجص لعمل الزخارف، وبصفة خاصة المحراب على شكل باب مقنطر، فضلاً عن ذلك يستخدم الجص لعمل الزخارف على جسم فرن الجدار، غطاء الفرن والإفريز، الحواف داخل الغرفة.

مساكن دياوفانغ لقومية التبت

تنتشر قومية التبت بشكل رئيسي على الشريط الغربي في التبت، مدينة تشينجهاي، قانسو وسيتشوان، ومن أجل التلاؤم مع الطقس والبيئة في هضبة التبت، استخدمت مساكن قومية التبت التقليدية معظمها الحجر، للبناء مثل الحصون، لذلك أطلق عليها «مساكن دياوفانغ» (مساكن الحصون).

عادة ما تتكون دياوفانغ من ثلاثة إلى أربعة طوابق. الطابق السفلي لتربية الماشية وتجميع الأعلاف والمواد المختلفة؛ الطابق الثاني موزع على غرف النوم والمطابخ وغيرها؛ الطابق الثالث قاعات البوذية. نظراً لأن قومية التبت تعتنق البوذية التبتية، تحتل قاعات البوذية حيث يرتل السوترا وتقام العبادات البوذية مكانة هامة، فلا يمكن أن يسكن الناس أعلى الإله أو تخزن النثريات، لذلك تقام كلها في الطابق العلوي للمنزل.

مساكن دياوفانغ لقومية التبت

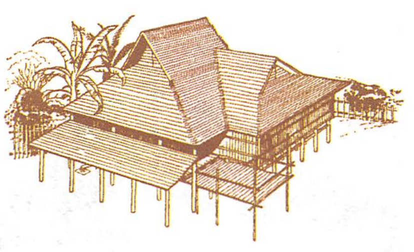


ومن أجل توسيع المساحة داخل الغرفة، دائماً ما يكون الطابق الثاني بارزاً من الجدار، تكوّن توازن واضح بين المبنى البارز الخفيف والجدران الحجرية السميكة، لذلك يبدو شكل المبنى من الخارج ثري بالتغيرات.

مساكن التبت متنوعة وبسيطة متناسقة، تستخدم بشكل أساسي الألوان الحقيقية للخامات: اللون الكاكي للطين، الألوان البيج والأخضر والأحمر الغامق للحجارة، بعض قطع الأخشاب تدهن باللون الأحمر الغامق، لعمل توازن للأسقف والجدران مع درجة الإضاءة. على الجدران المصنوعة من تراص الحجارة الخشنة فتحات متدرجة للنوافذ مرتبة كبيرة من الأعلى وصغيرة من أسفل، أعلى فتحة النافذة إفريز بارز ملوّن. ما بين السماء الزرقاء والسحب البيضاء على الهضبة والأنهار المتجمدة، تبدو مساكن دياوفانغ متناسقة وثرية الألوان، أسلوبها خشن وفخمة.

مباني البامبو لقومية داي في مقاطعة يوننان

قومية داي هي أقدم قومية في منطقة يوننان، تجتمع بشكل رئيسي بمقاطعة يوننان في ولاية شيشوانغبانا (سيبسونغبانا) ذاتية الحكم لقومية داي وولاية ديهونغ ذاتية الحكم لقومية داي وقومية جينجبو. التضاريس هناك مسطحة، يخترقها كل من نهر لانتسانغ ونهر رويلي، تتساقط الأمطار غزيرة، فينمو البامبو والأشجار كثيف.



لوحات محورية لبيوت الخيزران

تنتشر قرى قومية داي المحاطة بأسوار في المساحات المفتوحة الشاسعة أو بجوار الجداول الشفافة، مما يسهل حياة الإنتاج والاستحمام. نظراً لأن قومية داي تعتنق بشكل رئيسي العقائد القديمة والهينايانا (بوذية ثيرافادا)، لذلك نجد على تقاطعات القرى المحاطة بأسوار أو على الهضاب كثير من المعابد البوذية والباغودات المشيدة بالبامبو بطريقة فريدة.

تستخدم كل عائلة في القرية المسورة أسواراً تحيط بالفناء المستقل، وتزرع في الفناء أشجار الفاكهة الاستوائية. كثيراً ما تبنى المنازل من البامبو، لذلك يطلق عليها « مباني البامبو». السطح الأفقي لمباني البامبو شبه مربع، ولأغراض التهوية وتوزيع الحرارة ومقاومة الرطوبة، تم تشييد الطابق السفلى على أعمدة، ليستخدم في تخزين الأعلاف وتخزين الأشياء المتناثرة. صعود السلم الخشبي إلى المر الأمامي هو مساحة العبور إلى داخل الغرفة، على المر الأمامي السقف، يحيطه ويحوطه درابزين، يسري فيه الهواء، إضاءة جيدة، فهو المكان الذي يقابل فيه صاحب البيت الضيوف، يستمتع بالجو اللطيف وتقام الأنشطة اليومية. في الخارج شرفة تطل على السماء، تستخدم في تخزين إناء المياه، تجفيف الملابس.

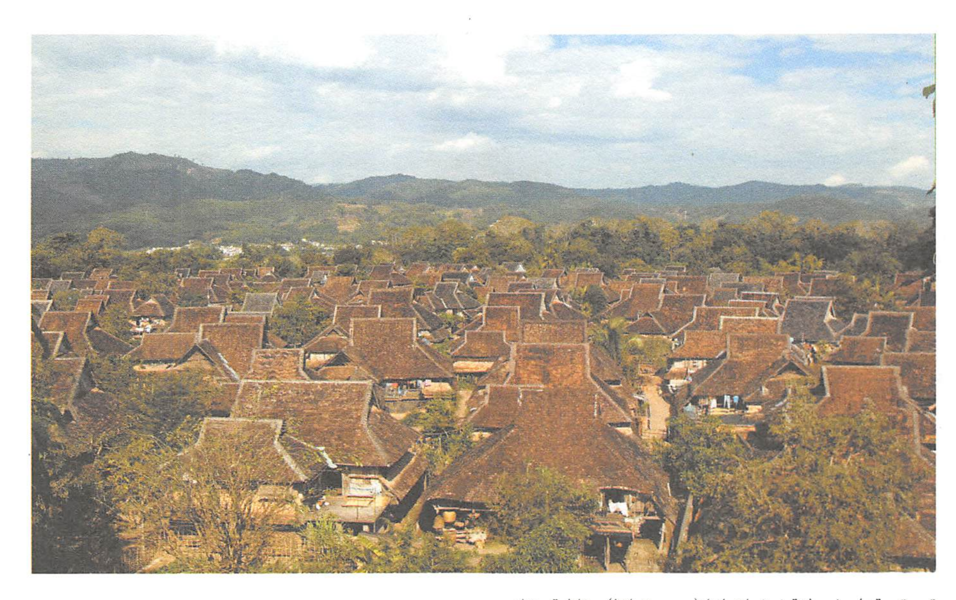


داخل المنزل الغرفة المركزية وغرف النوم، داخل الغرفة المركزية حفرة النار، لطهي الطعام وحرق الشاي، حيث يجتمع أفراد الأسرة.

مباني البامبو كثيراً ما تستخدم سقف بواجهة جملون مستعرضة، قمة قصيرة منحدرة، إفريز بارز عميق، شيدت حولها أبراج مائلة، مشكلة العديد من الطنف، لمنع إشعاعات الشمس الحارقة، مما يجعل المساحة داخل غرف المنزل حبيسة في ظلال كثيفة، لتخفيض درجة حرارة الغرفة. في الوقت نفسه التي حققت فيه الأشكالُ العديدةُ المتغيرة للبناء، الأسقفُ بواجهة الجملون المستعرضة الثرية بالخطوط العريضة، الأبراجُ المائلةُ التي تظلل من الشمس الحارقة، المساحةُ الفارغةُ للممرات والممر الأمامي، كلها نتائج جيدة في التهوية وحجب الشمس، فقد كوّنت توازن بين الحقيقي والزائف، الضوء والظلام، الخفيف والثقيل، حيث يتميز أسلوب البناء بالرشاقة، الشفافية، والأناقة.

لوحات مسطحة لبيوت الخيزران

التأثير المتنوع للعقيدة الدينية وعبادة السلف على المعمار، جعل المباني العامة في قرى قومية داي



قرى قومية داي في ولاية شيشوانغباننا (سيبسونغباننا) بمقاطعة يونّنان

المحاطة بأسوار ثرية ومتنوعة: معابد بوذية للهينايانا (بوذية ثيرافادا)، الطوب الداكن للجدران الحمراء، داخل الغرف بديع بلون اليشب والذهب؛ أبراج البامبو إما تقف طويلة في بياض الثلوج، أو تلمع كضوء الذهب، أو تتوهج بالألوان. فهي تشكل توازن واضح مع أسوار البامبو البسيطة الأنيقة للمساكن، مما أضاف ألواناً للقرية المسوّرة. مجموعة مباني البامبو القصيرة متحدة الاتجاه، مغطاة برقاقات جوز الهند وأعواد البامبو، ليخرج منها أبراج البامبو والمعابد البوذية المهيبة العظيمة، فتفيض القرية المسورة كلها بأسلوب قومية داي وسمات خط الاستواء والمدار شبه الاستوائي.

التبادل بين الصين والغرب

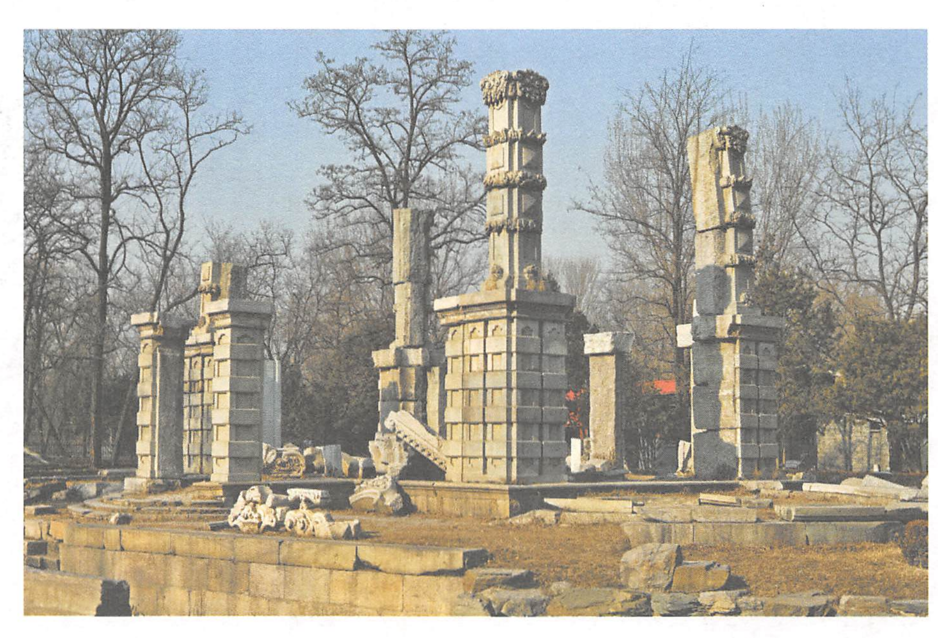


يمكن القول إن فن المعمار الحديث وقبل الحديث في الصين، من ناحية ما، هو فترة انتقالية ونمو تدريجي، حيث قام بدور تقريري في عملية حداثة المعمار. فالمعمار في العصر الحديث وما قبله هو عملية دراسة للفكر المعماري المتقدم في الغرب وتقنياته، كما أنه في الوقت نفسه عملية دمج بين الثقافة المعمارية للصين والغرب.

قبل منتصف القرن التاسع عشر، كانت الصين دولة إقطاعية انغلقت على نفسها لمدة طويلة وتتطور ببطء. المعمار الصيني القديم الذي يتكون بشكل أساسي من نظام الهياكل الخشبية المعروفة جداً، ويتمتع بالأسلوب التقليدي الفريد والمنظم، يقع في حالة عدم تفاهم تام مع المعمار الغربي.

إذا أخذنا حرب الأفيون في عام ١٨٤٠ علامة، سنجد أن الصين دخلت مجتمع حديث نصف إقطاعي نصف مستعمر، ومن هنا بدأت المسيرة التاريخية للمعمار الصيني الحديث، كما انطلقت في ظل هجوم الثقافة المعمارية الغربية وتحريضها ودفعها. فقد استمرت من جهة ثقافة المعمار الصيني التقليدي، ومن جهة أخرى انتشرت ثقافة المعمار الغربي القادم من الخارج، ومع تبادل الأدوار بين هذين النشاطين المعماريين، تشكّلت الخطوط الرئيسية لتاريخ المعمار الصيني الحديث، كما أصبح المعمار الصيني الحديث ذا سمات فريدة.

بعد قيام جمهورية الصين الشعبية في ١٩٤٩، قامت الصين لعشرات السنوات بعملية بناء عصرنة



اثار منازل الغرب بحديقة يوان مينغ في بكين





مبنى صغير أوربي الطراز موجود بدور وو داوتاي (حفيد ووين) في يانغ جو، وكان معد خصيصا لإستقبال الضيوف الأجانب

الاشتراكية. وفي نهاية سبعينات القرن العشرين، بدأت الصين تطبق سياسة الإصلاح والانفتاح. حدثت تغيرات كبيرة في مجالي الاقتصاد والمجتمع بالصين طوال ٦٠ عاماً، فاستقبلت الصين عصر جديد تماماً، قوي ومتفتح.

أسلوب الغرب متدرج الشرقية

قبل حرب الأفيون في عام ١٨٤٠، ظهرت في الصين الكثير من آثار المعمار الغربي، تضم الكنائس والفنادق التجارية وغيرها مما شيدها البرتغاليون بعد تأجيرهم لمكاو في عام ١٥٥٧، مباني «الثلاثة عشرة مهنة» في قوانغتشو و«ا لقصور الأجنبية» في حديقة يوانمينج ببكين والتي سبق لنا ذكرها عالية، لكن هذه المباني الغربية لم تتمتع بشروط نشرها وتعميمها، كما أنها لم تترك تأثير عادي على المعمار الصيني.

بعد حرب الأفيون، ومع الغزو الكبير للنزعة الاستعمارية والإمبريالية، فضلاً عن تفكك الهيكل الاقتصادي للإقطاع وتطور طرق الإنتاج الرأسمالي، بدأ المعمار الغربي ينتقل إلى الصين في دفعات. فتعاقب ظهور الأنواع المعمارية الحديثة والتقنيات المعمارية الحديثة في الصين، نتج عنه نظام معماري جديد في العصر الجديد بالصين، فوُجدت الأنظمة المعمارية الجديدة والقديمة جنباً إلى جنب في ظل تطور



المعمار الحديث في الصين، وتشكلت حالة من التلاقي بين الأساليب المعمارية الصينية والغربية والتوغل والامتزاج المتبادلين.

من الواضح جداً، أن ظهور هذا النوع من الأنظمة المعمارية الجديدة في الصين الحديثة لم يأت من التغيرات التدريجية في نظام المعمار الخشبي التقليدي في الصين فحسب، بل إن الدول الغربية نقلته بشكل مباشر مع غزوات الدول الامبريالية على الصين، فوقع التغيير المفاجئ في ظل ظروف تاريخية معينة. لذلك، شيدت مباني الأنظمة المعمارية الجديدة بشكل رئيسي في عدد قليل من المدن الكبرى بالصين، وبصفة خاصة في المدن المجاورة لمناطق الامتيازات أو مدينة مؤجرة محتلة من قبل دولة ما، ثم انتشرت تدريجياً إلى الأنحاء المختلفة بالصين.

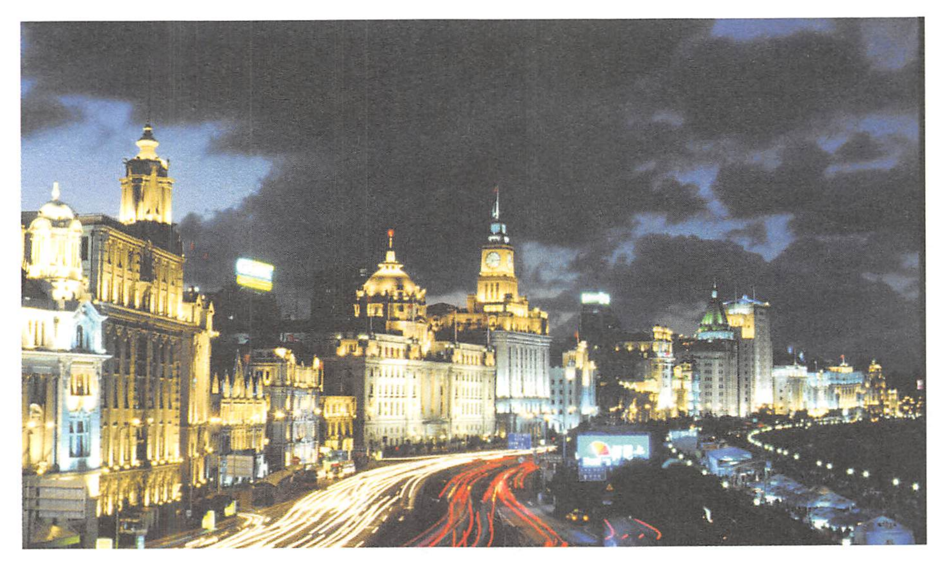
منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى عشرينات وثلاثينات القرن العشرين، مر معمار الدول المختلفة في أوروبا وأمريكا بفترة تغيير من النهضة الكلاسيكية، الرومانسية عبر النزعة الاختيارية، الحركات الفنية الجديدة إلى التحولات المعمارية الحديثة، وهذه الأساليب المعمارية تداخلت لتظهر في المجتمع نصف الإقطاعي نصف المستعمر بالصين الحديثة. في شنغهاي، تيانجين، هانكو وغيرها من مدن الامتيازات التي تحتلها دول كثيرة، اختلطت الأساليب المعمارية الشائعة في الدول المختلفة بأوروبا وأمريكا في ذلك الوقت، فبدت المدينة بملامح لا متجانسة نسبياً؛ بل إنه في تشينغداو، داليان، هاربين وغيرها من مدن الامتيازات المحتلة من قبل دولة واحدة، كان معمار المدينة يمر عادة بتخطيط موحد، فيبدو الأسلوب المعماري متناسق بعض الشيء.

شنغهاي

تعتبر شنغهاي أهم مدينة في تاريخ المعمار الصيني الحديث والأكبر تأثيراً. بعد افتتاح الميناء التجاري بشنغهاي قام المهندسون المعماريون الغربيون والمهندسون الصينيون الذين دربوهم باستقدام الثقافة المعمارية الغربية، فشيّدوا في الفترة بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين مجموعة كبيرة من المباني الثرية بالسمات الفنية والسمات الوظيفية، فحطمت تماماً الأشكال المعمارية التقليدية للصين والمساحات المعمارية.

في المعمار الحديث بشنغهاي تجد كل فترة تاريخية، وكل أسلوب معماري يمثلها، حيث تجد المعمار المصري القديم، الأعمدة الكلاسيكية الإغريقية والرومانية، الطراز البيزنطي، الأسلوب الروماني، الطراز الأورثوذكسي الروسي، الطراز القوطي، طراز عصر النهضة، الطراز الباروكي، النزعة الكلاسيكية والنزعة الكلاسيكية الجديدة، إلى المذاهب والأساليب المعمارية الحديثة كلها، معمار القصور التقليدي الصيني والمعمار التقليدي الشعبي وغيرها، لذلك، يتمتع المعمار الحديث في شنغهاي بمضمون ثري، حتى قيل إنه

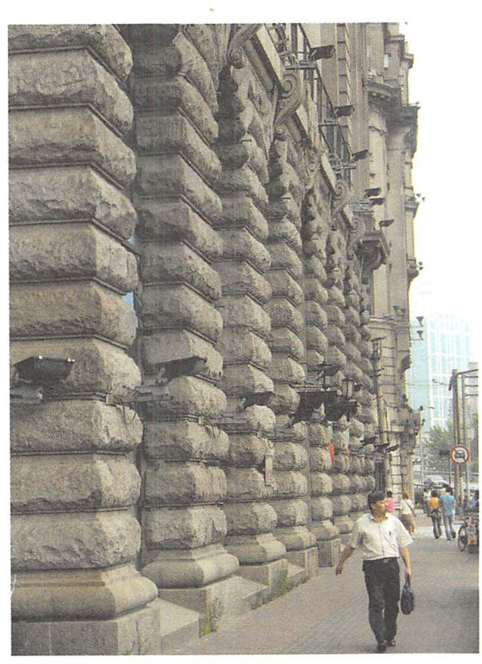




المشاهد الليلية للشواطئ الخارجية بشانغهاي



تاريخ المعمار العالمي بشكل حيوي.
كما أن المعمار الحديث في شنغهاي يعكس الأسلوب الإقليمي على نطاق واسع، فهو يضم في جنباته الطراز الإنجليزي، الطراز الألماني، الطراز الفرنسي، الطراز الإيطالي، الطراز الأسباني، طراز البحر المتوسط، طراز الولايات المتحدة، الطراز الهندي، الطراز الياباني، الطراز الروسي، طراز شمال أوروبا والأسلوب المعماري الإسلامي، بعضها ينعكس في المبنى كاملاً، وفي بعضها ينعكس هذا الأسلوب الإقليمي في أشكال التصميمات والزخارف في المبنى، ألوانه أو التفاصيل.



المباني الغربية على الشواطئ الخارجية بشانغهاي



تعد وايتان هي المنبع لاعتبار شنغهاي مدينة كبرى في العصر الحديث، فتطورها هو الصورة المصغرة لنمو هذه المدينة، وظلت لفترة طويلة هي العلامة والرمز لمدينة شنغهاي. وقد مرّت المباني في وايتان بفترة تأسيس العمارة الحديثة في منتصف القرن التاسع عشر، فترة الازدهار في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وفترة الرخاء في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين. حتى اليوم على الجانب الغربي لوايتان، تقف شامخة في صفوف وصفوف ٥٢ مبنى ضخم على الطراز القوطي، الطراز الباروكي، الأسلوب الروماني، النزعة الكلاسيكية، طراز عصر النهضة، الطراز الخليط بين الصيني والغربي وغيرها من الأساليب المختلفة. مجموعة المباني في وايتان التي تتخذ من البنك الصيني وفندق خهبينج (السلام) من جهة، ودار الجمارك وبنك HSBC من جهة أخرى كمجموعتين معماريتين هما مركز الرسم، ورغم أنها خرجت على يد مهندسين معماريين مختلفين، ويتباين أسلوبها، لكن تنسيق الأسلوب المعماري موحد، والخطوط العريضة للمباني متناسقة، لترسم الأفق البديع على الضفة الغربية لنهر هوانغبو، فاشتهرت بلقب «المتحف المعماري لدول كثيرة».

تيانجين

تبعد مدينة تيانجين بمسافة قريبة من المركز السياسي للصين –بكين، فأصبح هذا الموقع السياسي الجغرافي كشاشة واقية للعاصمة وضواحيها عنصراً هاماً في تطوير مدينة تيانجين الحديثة. بعد عام ١٨٦٠، أطلقت بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة، ألمانيا، اليابان، روسيا، أستراليا، النمسا، إيطاليا، بلجيكا وغيرها من الدول فتح موانئ تجارية وامتيازات في تيانجين، من بينها دول ثلاث هي إيطاليا وبلجيكا والنمسا أقامت مناطق مؤجرة في تيانجين بآسيا فقط، لتتمتع المناطق المؤجرة للدول التسع في تيانجين بسمات فريدة في التاريخ الحديث للعالم.

انطلقت أنشطة البناء في المناطق المؤجرة على نطاق واسع بين عامي ١٩٠٠– ١٩٣٧ وبصفة خاصة بين عامي ١٩١٢ و١٩٣٧، وفي فترة قصيرة، تدفقت إلى تيانجين مباني تحمل الأساليب المختلفة والأشكال المخلفة للدول المختلفة. وبتأثير الحرب العالمية الأولى، لم تدم بعض المناطق المؤجرة كثيراً، فلم تشكل تأثير كبير؛ لكن المناطق المؤجرة الإنجليزية والفرنسية واصلت التوسع، وبصفة خاصة على شريط الشارع الأوسط وتشوانيه تشانغ لتشكل منطقة رخاء متركزة المباني.

يعتبر الشارع الأوسط (اليوم هو طريق التحرير الشمالي) في المنطقة الإنجليزية الفرنسية المؤجرة أول شارع يقام في منطقة مؤجرة، وقد أطلق عليه «شارع البنوك» لتركيز بناء الكثير من مباني البنوك به. مباني البنوك معظمها اتخذ طراز عصر النهضة الكلاسيكي في الغرب، مستخدمة طراز الأعمدة الكلاسيكية، مركزة على التماثل، مبرزة الخط المحوري، مؤكدة على علاقة الرئيس والتابع في الرسم،



لتشكيل صورة الواجهة العمودية بنسب صارمة، في أسلوب أنيق ورائع. حيث يتعبر بنك HSBC الإنجليزي (١٩٢٥)، وبنك يوكوهاما سبيسي الياباني (١٩٢٦) نموذجين لذلك.

بعد عام ١٩٠٠ انتقل المركز التجاري لمدينة تيانجين تدريجياً من منطقة المدينة القديمة إلى قطاع تشوانيه تشانغ في المنطقة المؤجرة الفرنسية. في عشرينات القرن العشرين، تطورت التجارة هنا بشكل سريع، فأقيمت كمية كبيرة من المحلات، الفنادق، المطاعم، السينمات وغيرها من المباني التجارية والترفيهية، ومنذ عام ١٩٢٢ شيّد على التوالي الفندق الوطني (١٩٢٢)، بنك سوسيتيه جينيرال تشيجيانغ (١٩٢٥)، فندق إليجانس (١٩٢٨) ومبنى تشوانيه تشانغ (١٩٢٨) وغيرها، بسرعة شكلت مركز تجاري مزدهر يتجاوز منطقة المدينة القديمة، كما أصبح تشوانيه تشانغ هو المبنى الذي يرمز إلى مدينة تيانجين. المباني التجارية لقطاع تشوانيه تشانغ ومباني البنوك في الشارع الأوسط شيدت في الوقت نفسه بشكل أساسي، لكن هذه المباني التجارية تختلف عن مباني البنوك الصارمة، فشكلها ثري بالتغيرات، استخدمت فيها الكثير من أساليب معالجة المباني، واستخدمت الأبراج العالية المتنافسة في الارتفاع سعياً وراء الثراء وإظهار القدرات في سمات الدعاية التجارية، تنتمي لنطاق النزعة الاختيارية، كما تأثرت بتيارات الفكر المعماري الحديث.



منازل غربية الطراز بالطريق العام بمقاطعة تيانجين



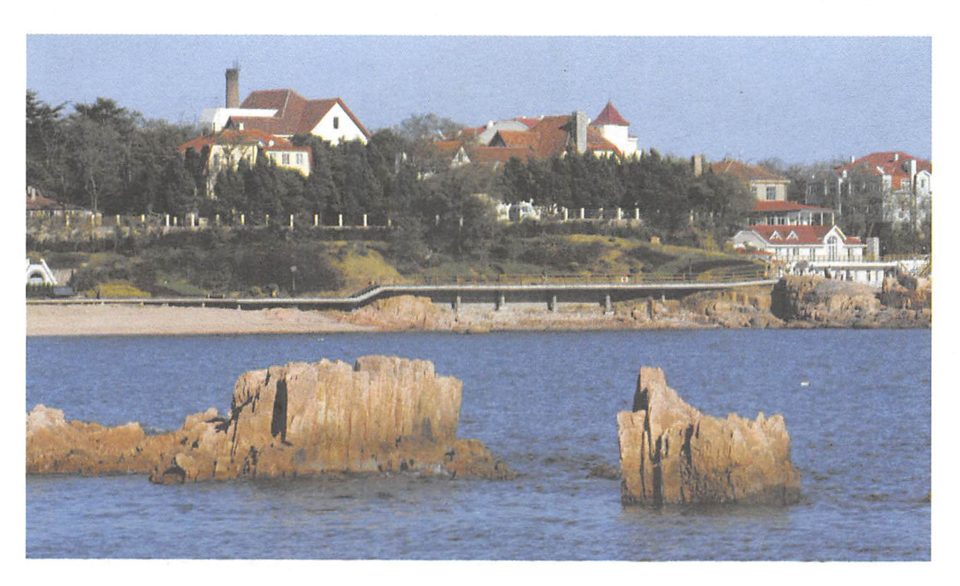
تشينغداو

تشينغداو مدينة أقيمت في العصر الحديث، في العشرين أو الثلاثين عاماً الأولى لبدء بنائها، كانت أرض مستعمرة بين يدي ألمانيا واليابان، وفي النهاية استردتها الحكومة الصينية.

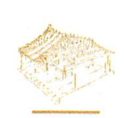
التوزيع الأساسي لمدينة تشينغداو العصرية قائم على التخطيط الذي وضعته السلطات المحلية للاستعمار الألماني في عام ١٩٠٠، ومن الواضح أنه تأثر بفكر التخطيط الشائع في أوروبا في ذلك الوقت من «المدن شريطية الشكل» و«المساكن على شكل حدائق». في تصميم المدينة، استخدمت التضاريس الطبيعية للمدينة الجزيرة، مستعينة بخط الساحل الطبيعي وتركيب الجبال، شوارع منظمة ومباني موزعة بشكل بديع، لتشجيع طريقة تصميم المدن الأوروبية في القرون الوسطى التي تميزت بالحرية النشاط والمناظر مثل اللوحات.

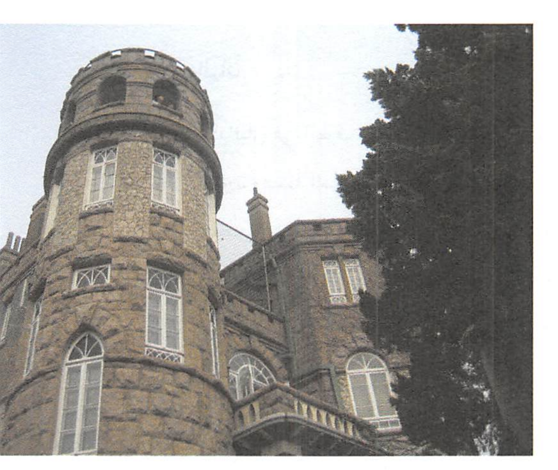
رغم أن ألمانيا احتلت تشينغداو لفترة قصيرة قدرها بضع عشرة سنة، لكنها أقامت الكثير من المباني في هذه الفترة، فشيدت الكثير من البنايات التي تتميز بسمات ألمانيا.

على المنحدر الجنوبي لجبل قوانهاي يقع الميدان المركزي لـ«منطقة تشينغداو»، بخط محوري طوله حوالي ٢٠٠ متر، في طرفه الشمالي «مقر الحاكم»، أما الطرف الجنوبي فبه البرج التذكاري ليوسكيه (Joeskee) الواقع على جانب الخليج. حول الميدان شيدت محكمة جياوآو (١٩١٢)، القنصلية البريطانية



فيلا على ساحل البحر بمنطقة باداقوان بمدينة تشينغداو




فيلا الحاكم الألماني السابق بمدينة تشينغداو --- المنزلي الحجري المزخرف (هواشهلو)

(١٩٠٧)، فندق كاتز (ويرتشاوس فور كاتز Wirtshaus fur Katz)، فندق الأمير هينريتش (Hotel Prinz Heinrich ، ١٩١١) وغيرها.

فضلاً عن ذلك، هناك محطة قطار تشينغداو التي تحاكي طراز النهضة الفنية الجديدة في ألمانيا (١٩٠٢)، قسم شرطة جياوآو (١٩٠٥)، مكتب بريد جياوآو (١٩١٠)، البنك الألماني الآسيوي (Deutsch-Asiatische Bank ، ١٩٠٦)، «البيت الأحمر» الذي يتميز بخصائص الحركة الفنية الجديدة، فندق الشاطئ (١٩٠٤) الذي يستخدم الهياكل نصف الخشبية، نادي جنود البحرية (١٨٩٩)، كلها المباني الهامة لمدينة تشيغداو في ذلك الوقت.

أقيم مقر الحاكم الألماني في عام ١٩٠٦، وكان في ذلك الوقت أضخم مبنى، يتمتع بسمات المعمار الباروكي، مزوّد بسقف على طراز ويندسور الفرنسي. فيلا الحاكم (يطلق عليها أيضاً «مبنى هواشهلو»، ١٩٠٦) ومقر الحكومة (١٩٠٨) استخدمت فيها زخارف الحجارة على الجدران الخارجية، فيبدو شكل المبنى معقد، أدخلت تموجات على الأسقف المختلفة، حرية ورشاقة، مختلفة تماماً عن المعمار الألماني في ذلك العصر.

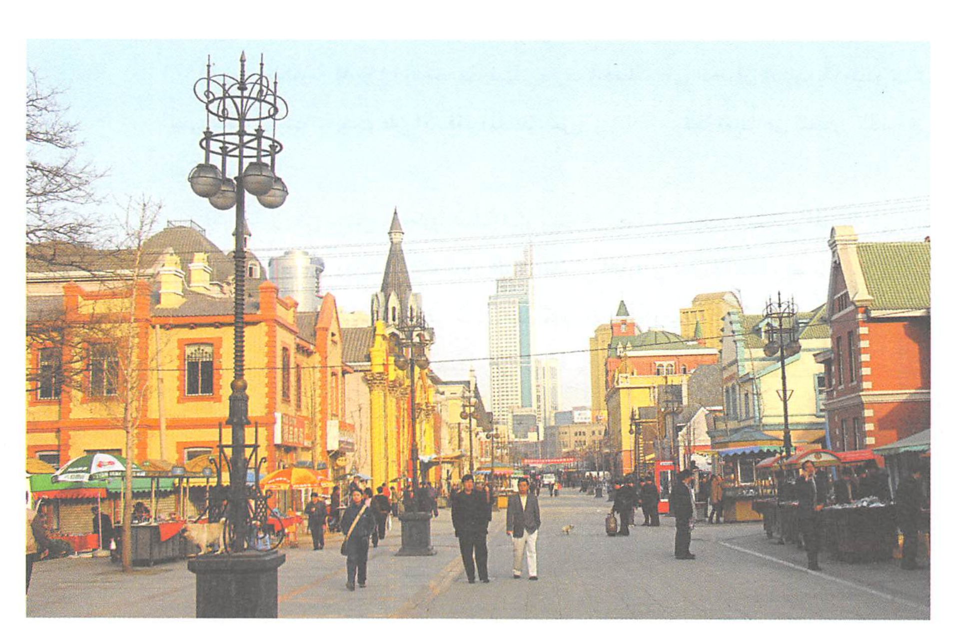
أكبر تأثير على الملامح المعمارية لتشينغداو يجب أن يعزو إلى معمار المساكن المستقل في هذه الفترة. فقد انتشر في أوروبا في ذلك الوقت الفكر الجمالي المعماري للحركة الفنية والصناعية، وانتشرت المناطق السكنية على شكل حدائق في مجال التصميم والتخطيط، مما كان له أثر كبير على التصميم المعماري للمساكن في تشينغداو، يضاف إلى ذلك الهوايات الفردية للمالك، فظهرت أشكال عديدة: هيكل نصف خشبي، طراز استعماري، طراز النهضة الكلاسيكية، الطراز القوطي... أصبحت المساكن الحدائقية هي أساس معمار المساكن في تشينغداو، أبرزها مجموعة مباني «فندق باداقوان». شريط فندق باداقوان، رأس تايبينج، خليج هويتشوان وشاطئ نانهاي، مباني صغيرة تزيد عن المائة كل منها يتميز بالتفوق، كل منها مستقل، يتجمعون لتشكيل منطقة، مع تغيّر أشكال الجبال، متناثرة عشوائياً في الارتفاع والانخفاض، تتبادل المسافات، فكوّنت لوحة كبيرة من الطوب الأحمر، الجدران الصفراء، الأشجار الخضراء، التلال الخضراء، البحر الأزرق، السماء الزرقاء.

داليان

تقع داليان في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة لياوتونغ، فهي محور المواصلات البحرية والبرية شمال الصين، وهبتها الطبيعة تميزاً جغرافياً في المجال الاقتصادي والعسكري. في عام ١٨٩٨، قامت روسيا القيصرية بـ«تأجير» داليان، ومنذ ذلك الحين دخلت جدول تحويل المستعمرات إلى مدن في العصر الحديث؛ في عام ١٩٠٥ قامت اليابان باحتلال داليان، فتقدمت داليان خطوة في تحويل المستعمرات إلى مدن؛ حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، انقضى تاريخ المعمار الحديث في اعتبار داليان مدينة مستعمرة.

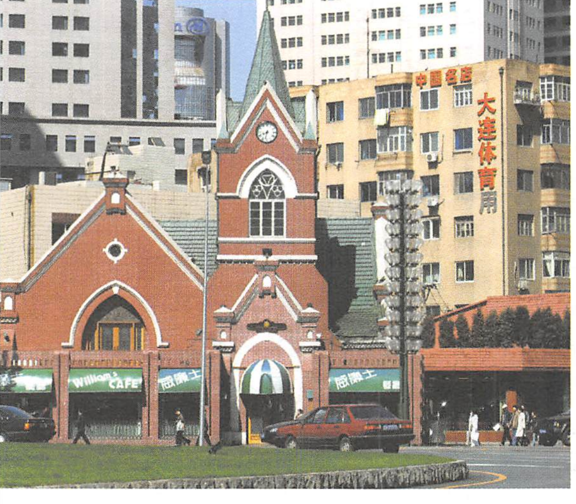
يمكن تقسيم الأشكال المعمارية الحديثة في داليان إلى ثلاثة مستويات:

قام المستعمرون من روسيا القيصرية بتخطيط وتأسيس الشكل الرئيسي لمدينة داليان، فوضعوا ميدان مركزي يتميز بسمات توزيع المدن الروسية—نظام الطرق الإشعاعية، فتشكل أول مستوى معماري يتمتع بالمذاق الروسي والأوروبي وأسلوب معمار النزعة الاختيارية في القرن التاسع عشر. كما ظهرت في داليان المباني الخشبية الشعبية الروسية، الأسقف الخشبية الصغيرة الأنيقة ارتدت أبراج صغيرة خضراء، علقت عليها قطع الطوب على شكل الريش، تعكس الذوق الريفي الرئيسي؛ تعتبر المدرسة



مجموعة من المباني على نمط القارة الأوروبية في داليان





مباني غربية الطراز بمدينة داليان

التجارية في فترة روسيا القيصرية نموذج للمعمار الاختياري، فعلى الواجهة العمودية استخدمت الأزهار والجبال اليونانية وطراز الأعمدة الضخمة الرومانية.

بعد احتلال اليابان لمدينة داليان، استمر البناء على أساس تخطيط روسيا القيصرية، فأقيم الميدان الكبير ووسط المدينة بمحاكاة الشكل المعماري للطراز الكلاسيكي الأوروبي والأمريكي. حول الميدان الكبير ترى مبنى إدارة الأحوال المدنية في داليان (اليوم مكتب التجارة الخارجية في داليان) بالأسلوب القوطي، بنك صك العملة (اليوم بنك الصين) على طراز ما بعد النهضة الفنية، فندق داهه (اليوم فندق داليان) على طراز النهضة الفنية، بنك كوريا الشمالية (اليوم بنك الشعب الصيني) على طراز النهضة الكلاسيكية وغيرها .هذه المباني شكّلت المستوى الثاني من المباني في وسط مدينة داليان.

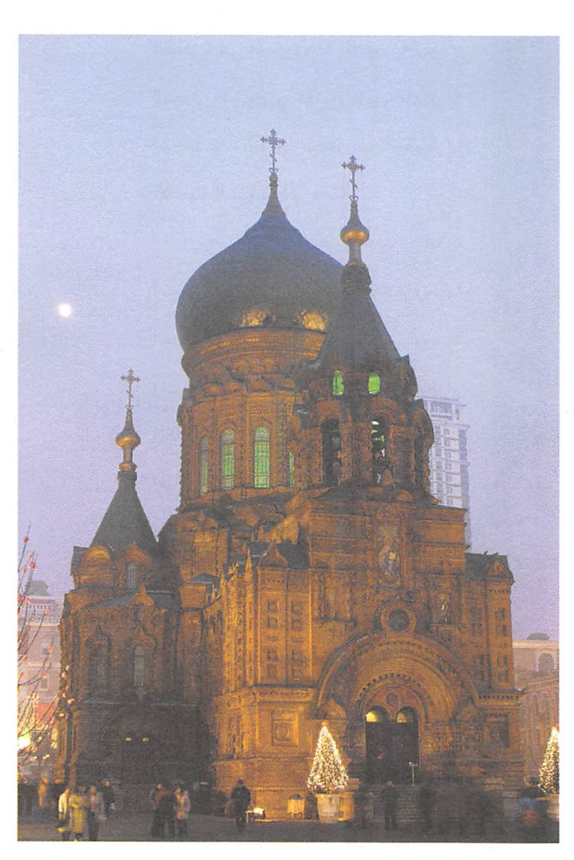
مع تعمق الحرب الاستعمارية، اتخذ اليابانيون من داليان قاعدة للحرب الاستعمارية، فقاموا بتطوير مباني وسط المدينة وتوسيعها. في نهاية العشرينات من القرن العشرين تأثرت اليابان بسرعة بالفكر المعماري الحديث الذي أسسته ألمانيا، فأصبح دليل الأوساط المعمارية اليابانية في ذلك الوقت، وبالتالي كانت الأعمال التي صممها المعماريون اليابانيون في الثلاثينات معظمها يدخل في نطاق «الطراز العالمي»، كما تغلغلت إليها صبغة النسمة الرقيقة الثابتة في المعمار الياباني، فأصبحت المستوى الثالث الأكبر تأثيراً على مدينة داليان.

هاربين

هاربين هي مدينة شيدتها روسيا القيصرية في شمال شرقي الصين على السكك الحديدية الشرقية. الخلفية التاريخية الخاصة أحدثت تصادم ناعم في هاربين بين ثقافة المعمار التقليدي للأمة الروسية، الثقافة المعمارية بأفكار الغرب القديمة والجديدة وثقافة المعمار التقليدي الصيني، تتعايش مختلطة ببعضها، فتشكلت بشكل متوافق ثقافة معمارية لمدينة ذات سمات فريدة.

بدأ تخطيط مدينة هاربين في عام ١٨٩٩، وتم البناء بمحاكاة ملامح العاصمة الروسية موسكو،





أكبر كنيسة أرثوذكسية في الشرق الأقصى-كنيسة القديسة صوفيا في هاربين

حيث تنقسم المدينة إلى عدة مناطق تتقاطع فيها سكة حديث تبدو على شكل الرمز T داخل المدينة. من بين المباني الرئيسية في شارع الصين بمنطقة بوتو «رصيف الميناء» (اليوم الشارع المركزي في منطقة داولي) بنك كيوا (١٩١٧)، فندق مودرن (١٩١٣)، شركة تشيولينج التجارية (١٩١٩)، مجلس الجالية الروسية (١٩٠٩) وغيرها، حيث يبرز بشكل كامل في هذا الشارع تأثير المعمار التقليدي الروسي وأشكال «الحركة الفنية الجديدة». وتعتبر محطة السكة الحديد بـهاربين المشيدة في عام ١٩٠٣ هي بوابة مدينة هاربين، فأصبحت رمز المدينة في ذلك الوقت بسمات «الحركة الفنية الجديدة».

لعبت الكنيسة الأرثوذكسية دوراً هاماً في تشكيل ملامح المدينة الفريدة لـهاربين. ففي عام ١٨٩٨، وفي أعلى مكان بالمدينة، شيدت في مركز منطقة نانقانغ كنيسة سانت نيقولاي الأورثوذكسية. تبدو الكنيسة من السطح الأفقي على شكل صليب يوناني، تعكس من الخارج الشكل التقليدي لأسقف الخيام الخشبية الروسية، أعلى سقف الخيمة ثماني الأضلاع تعلو قبة صغيرة على شكل رأس البصلة، اشتهرت بكونها رمزاً لـ«موسكو الشرقية». وقد هدمت هذه الكنيسة. حتى ثلاثينات القرن العشرين، شيدت في هاربين ٢٥ كنيسة أورثوذكسية. من بينها كنيسة سانت صوفيا المشيدة بين عامي ١٩٢٣-١٩٣٢ وهي أكبر كنيسة أورثوذكسية مساحة في هاربين، متأثرة بشكل عميق بالمعمار البيزنطي، استخدمت في الجسم الرئيسي الهياكل المقنطرة من الطوب، في كل نهاية للسقف البادية من الخط الأفقي على شكل صليب لاتيني أضيفت قبة على شكل رأس بصلة صغيرة إلى سقف الخيمة، تتقاطع في قبة كبيرة ضخمة على شكل رأس البصلة، فأصبحت مركز التحكم في المبنى ككل، ثرية بجو كنيسة صوفيا في القسطنطينية، ولا تزال حتى اليوم محط أنظار الناس.

معمار الشكلية القومية الجديدة

في بداية القرن العشرين، اتقن الكثير من المعماريين المحدثين في الصين تقنيات المعمار الغربي وذلك من خلال قنوات تعليمية مختلفة مروا بها، فبدأت قضية التعليم المعماري في الصين. بعد ذلك، توالى الكثير ممن تلقوا التعليم المعماري المنتظم بالغرب يعودون إلى الوطن وينخرطون في الممارسة العملية، فدخل المعمار الصيني إلى عصر التطوير المشترك بين المعماريين الصينيين والغربيين. فضلاً عن الصبغة الصينية للمباني الكنسية سابقة الذكر، كان لطريقة تصميم المعماريين الغرب تأثيرها كما ألهمت روح الاستكشاف لدى المعماريين الصينيين، ونتج عن ذلك مجموعة من الأعمال المعمارية تحمل الأسلوب الغربي وأشكال القوميات، فهناك مثلاً مبنى بيدالو بجامعة جينلينج في نانجينج المشيدة في عام ١٩١٩، ضريح صن يات سن المشيد بين عامي ١٩٢٦-١٩٢٩، القاعة التذكارية لصن يات سن في قوانغتشو المشيدة في عام ١٩٣١ وغيرها. من بينها ضريح صن يات سن وهو قبر السيد/ صن يات سن (١٨٦٦-١٩٢٥) السياسي العظيم في الصين الحديثة ورائد الثورة العظيم ومجموعة المباني التذكارية التابعة للضريح. يقع ضريح صن يات سن في الشمال متجهاً إلى الجنوب، بمساحة تزيد عن ٨٠ ألف متر مربع، تبدو المقبرة على شكل «ناقوس الخطر»، تضم المباني الرئيسية: القنطرة التذكارية، ممر المقبرة، بوابة القبر، السلم الحجري، جناح اللوحة التذكارية، قاعة الاحتفالات وحجرة القبر وغيرها، متراصة على خط محوري، تعكس أسلوب المعمار التقليدي الصيني.


مقبرة تشونغشان بنانجينغ

في أواسط ثلاثينات القرن العشرين، ومن خلال البحث المستمر لبعض الدارسين من المعماريين الصينيين المحدثين، ظهرت أشكال معمارية تضع في الاعتبار المتطلبات الوظيفية للمعمار الحديث وخصائص التكنولوجيا الحديثة، كما تحمل أسلوب القوميات، فأطلق عليها الناس « معمار الشكلية



القومية الجديدة». فقدمت هذه التجربة إسهامات تعود بالنفع على دمج عصرنة المعمار الصيني مع قوميته، كما كان لها أثر عميق على التصميم المعماري للأشكال القومية بعد عام ١٩٤٩. وتقع هذه المباني معظمها في نانجينج التي كانت العاصمة آنذاك، والمثل على ذلك مبنى وزارة الخارجية السابق في نانجينج والمقام في عام ١٩٣٣، متحف الفن القومي في نانجينج والمشيد في عام ١٩٣٥، المبنى الرئيسي للمستشفى المركزي في نانجينج والمشيد في عام ١٩٣٣ وغيرها.

وفي تلك الفترة، أصبح البحث في الثقافة المعمارية الصينية ذاتها أمر لا مفر منه. ففي عام ١٩٣٠م قام معهد البحوث في مجال الهندسة المعمارية الصينية الذي تأسس في بي بين (بكين) بتكريس نفسه لدراسة البنايات الصينية القديمة، حيث كان رئيس المعهد هو تشو تشي تشيان. وخلال الخمسة عشر عام على وجود معهد البحوث في مجال الهندسة المعمارية الصينية قام كلاً من تشو تشيتشيان، ليانج سه تشنج، ليودون تجين، كان دوا، ليانج تشي شيونج، دان شه يوان، تشنج تشونج تشى، وانج بيون وغيرهم من مجموعة كبيرة من الزملاء بالمعهد بإجراء دراسات استقصائية ميدانية واسعة النطاق كما قاموا بإعادة ترتيب الكتب والوثائق والسجلات القديمة. وقاموا على التوالي بالبحث عن البنايات التاريخية العريقة لأكثر من ٢٢٠ بلدة في ١٥ مقاطعة بجميع أنحاء البلاد، حيث قاموا برسم الخرائط والمسح والتحقيق وأخذ صور لأكثر من ٢٠٠٠ مبنى، فأصبح لديهم معارف أساسية لعصور تانج، سونج، لياو، جين، حيث استوعبوا معلومات مادية عن العمارة منذ عهد أسرتي وي وجين إلى عهد أسرتي مينج وتشينج. كما أجروا فحص للمؤلفات القديمة الهائلة لتمييز الأصلي من الفرعي، فأصبح لديهم معارف أكثر وعياً بالتطور التاريخي للعمارة الصينية منذ العصور القديمة وحتى فترة أسرتي مينج تشينج، كما أرسوا أساساً صلباً للتطوير والتعمق في أعمال البحث في المستقبل، وقدموا إسهامات هائلة لدراسة العلوم التاريخية للبنايات الصينية.

ونظراً للتغيرات الجذرية التي شهدتها السياسة والاقتصاد الصيني في العصور الحديثة، فإن مسيرة التطوير في تاريخ العمارة الصينية الحديثة اعتمد بشكل أكبر على العوامل السياسية والعوامل الاقتصادية المسيطرة على تطور المجتمع، فالعوامل الرئيسية الأكثر تأثيراً على أنشطة البناء هي الحروب والأحداث السياسية الكبرى التي لها علاقة وثيقة بالحروب. فقد تأثرت بالحرب ضد اليابان وحرب التحرير، وبين عامي ١٩٣٧-١٩٤٩ دخلت أنشطة العمارة الصينية فترة من الركود.

وقد شهدت بعض المدن الداخلية مثل تشنج دو وتشونج تشينج في وقت الحرب بعض التطورات. فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أصبحت العمارة الحديثة هي التيار المعماري الذي يحتل مركز السيادة في جميع أنحاء العالم، حيث استخدم عدد قليل من البنايات التي شُيدت بعد الحرب الأنماط المعمارية الأصيلة المعاصرة بشكل أساسي: مبنى أ ب السكني للفريق الإستشاري الأمريكي الذي صممه مكتب الهندسة المعمارية هوا جاي عام ١٩٣٥، وانتهى عام ١٩٤٥، كان المظهر الخارجي للمبنى بسقف مسطح،

ذو واجهات بسيطة، والنوافذ الفولاذية الشريطية ذات المساحات الواسعة تشكل خطوط أفقية ومقسمه، فهو عبارة عن مبنى نموذجي حديث؛ أول بنك تجاري والذي صممه مكتب هواجاي عام ١٩٤٨ في تشجيانغ، فالخطوط الأفقية الأنيقة له والشكل الخارجي الأصيل و المعالجة الموضوعية للفراغات الداخلية قد أظهرت الأساليب البارعة للهندسة المعمارية المعاصرة؛ مشروع توسيع محطة قطار نانجين شيا جوانج الذي صممه المهندس يانج تين باو رئيس القسم بشركة تي تاي(عام ١٩٤٦)، المكتب الرئيسي للطرق السريعة لهو هوا جانج بنانجين (عام ١٩٤٧)، نادي شياو ينج للطلاب الجدد في نانجين (عام ١٩٤٧)، وكالة الأنباء المركزية (عام ١٩٤٨- ١٩٤٩)، متحف هان هوي مقر سون كه (عام ١٩٤٨) وغيرها من البنايات الحديثة لخالصة. وخلاصة القول، أنه على الرغم من قلة الأنشطة المعمارية بعد الحرب، إلا أنها قد أظهرت في طياتها استقدام التيار المعماري العالمي المعاصر.

نحو هندسة البناء الجديد

في اليوم الأول من شهر أكتوبر لعام ١٩٤٩م تم تأسيس جمهورية الصين الشعبية. وفي هذه الفترة، وقد طرأ على النظام الإجتماعي الصيني والبيئة الثقافية الاقتصادية والسياسية في داخل وخارج البلاد تغيرات هائلة. فقد أرسى الجيل الأول من المهندسين المعماريين الصينيين القواعد الأساسية للإمتداد التلقائي للبنايات الصينية الحديثة بعد عام ١٩٤٩م وذلك في تطبيق الهندسة المعمارية الحديثة وتأسيس المنهج الأيديولوجي في البناء الحديث والإحتياجات الموضوعية للصين الجديدة من هندسة البناء الحديث في عشرينات وثلاثينيات القرن العشرين. فالبنايات المعاصرة قبل وبعد تأسيس الصين الجديدة مازالت تعبر عن الاستمرارية التاريخية التي لا تتجزأ. وقد انتهى تاريخ الهندسة المعمارية الصينية الحديثة لمنتصف القرن العشرين عند دخان بارود الحرب والصدمات النفسية، ولكن الرؤية والأمل الجديد قد حمل بداية جديدة مرة أخرى.

ومروراً بالتجربة القاسية لحرب المقاومة ضد اليابان والصعود الأول للبنايات الصينية الحديثة في عشرينات وثلاثينيات القرن العشرين، فقد كان كلا من يانغ تجينغ باو وتجاو شين وتشين تجيه وتونغ وتجوانغ تجون ودونغ دا يو ولين كيه مينغ وغيرهم من المهندسين المعروفين هم الجيل الأول للمهندسين المعماريين الصينيين الذين انضموا إلى صفوف بناة الصين الجديدة. كما قام كلاً من وانغ دينغ تسينغ وهوانغ تسوا وفينغ تجي تجونغ ووانغ دا هونغ وتشين تجان شيانغ وجين جينغ تشانغ الطلاب المغتربين الذي عادوا لبلادهم بعد فترة الثلاثينيات وفي فترة الأربعينات من القرن العشرين بالإضافة إلى هوا لان هونغ ولين يو إي وغيرهم من طلاب الهندسة المعمارية الذين رجعوا إلى وطنهم في أوائل الخمسينات



وغيرهم قاموا أثناء فترة إغترابهم بجلب الفكر التخطيطي للمدن والبنايات الغربية الأكثر حداثة مباشرة والتي كان لها الفضل في جعل أوساط البناء الصيني تكون أكثر ارتباطاً بحركة البناء الدولي المعاصر، حيث رأوا أمام أعينهم حركة البناء الحديث في الغرب. وفي الوقت نفسه، أصبح ذلك الجيل الجديد من المهندسين المعماريين الذين تدربوا وتعلموا أساليب البناء المتقدم داخل البلاد والذين برزوا لفترة قصيرة في فترة الأربعينات من القرن العشرين تدريجياً هم العمود الفقري للعمارة الصينية الحديثة.

وقد كانت الفترة منذ عام ١٩٤٩م إلى عام ١٩٥٧م هى فترة تأسيس لإعادة التقدم الاقتصادي الوطني بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، حيث كانت تعمل على تضميد جراح الحرب وإستئناف الإنتاج إلى جانب الاستقرار وتحسين مستوى معيشة الشعب وغيرها من المهام الشاقة، والسعي لاستغلال التصاميم والتخطيطات ومعارضة التزيين والزخرفة ووظائفية البناء الحديث من أجل تغيير حياة الطبقة العاملة من الناس، وإستخدام الوسائل ومواد البناء الحديث لتناسب آراء ومبادئ التصميمات التي يتطلبها المجتمع الصناعي الجديد. وتتوافق حقا مع متطلبات تلك المهام. وفي أوائل الخمسينات من القرن العشرين، ظهرعلى الصعيد الوطني مجموعة من الأعمال المحلية للبناء الحديث كانت في غاية الجمال والتميز، مثل مبنى الأحياء بكلية الطب بتشونغشان في قوانغتشو(شيا تشانغ شيه، ١٩٥٣م)، ومستشفى الأطفال ببكين (هوا لان هونغ و فو إي تونغ ١٩٥٢م– ١٩٥٤م) ، ومبنى بون يوان بجامعة تونغ جي بشنغهاي (هوانغ يون لين وها شيونغ ون دينغ، م١٩٥١– ١٩٥٣م)، ومستشفى ووهان بكلية الطب في ووهان(فنغ جي تشونغ ١٩٥٢م– ١٩٥٣م)، ونادي هيئة التدريس بجامعة تونغ جي (لي دا هوا ١٩٥٦م) إلخ، والتي أظهرت بشكل كامل استمرارية العمارة الحديثة بعد عام ١٩٤٩م.

ولكن مع استقدام نظرية البناء« الإشتراكية « للإتحاد السوفيتي، انتُقدت الكثير من البنايات الحديثة المتميزة والتي كانت تعد بنايات «كونية» و«تفكيكية» رأسمالية إمبرالية. فقد قامت البلاد بأكملها بتقديم حركة «الشكل القومي» المتميز وذلك على أساس استخدام الأسقف الصينية التقليدية. ومقارنة بالأعمال ذات التأثير مثل فندق شي يي ببكين وقاعة الشعب الكبرى بتشونغتشينغ ومبنى مكتب» سي بوإي هوي» بسان لي خيه ببكين وغيرهم فمعظمهم يوجد به الأسقف الصينية التقليدية الضخمة مثل القصور، ومغطاة بالبلاط المزجج الملون، والجزء السفلي للإفريز يكون مغطى بالهياكل الخشبية المشابهة التي تستخدم صب الخرسانة المسلح، أما الجزء العلوي له فيكون ملئ بالرسومات الملونة، كما تكون الأبواب والنوافذ على طراز الأبواب والنوافذ الخشبية القديمة. ولم يمض وقت طويل حتى قامت حملة لمحاربة التبذير بنقد « الأسقف الصينية التقليدية المنحدرة» وأعطت لها اسم «نزعة العودة إلى القديم». ومع تداخل العوامل السياسية، فإن الفكر المعماري لهذه الفترة لم يستطع أن يتفادى الركود والرجوع الكبير الذي حدث في الرؤية المشتركة لحداثة الهندسة المعمارية الصينية التي توصلوا إليها في عصر الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين.



تعد إحدى أكبر عشر بنايات في بكين في خمسينات القرن العشرين–قاعة الشعب الكبرى

وخلال هذه الفترة كانت بكين هى المركز وقد أظهرت من قبل سعيها وتأييدها لقيمة الفن المعماري. ففي عام ١٩٥٩ م الإحتفال بالذكرى العاشرة لتأسيس جمهورية الصين الشعبية قررت الحكومة المركزية تشييد عشر مشاريع كبرى في العاصمة بكين. وفي اليوم الخامس من شهر سبتمبر لعام ١٩٥٨م قاموا بتحديد مهام تأسيس المشروعات، وفي ٢٥ من شهر أكتوبر تم البدء في العمل بالتتابع، ولم يستغرق سوى عام، ووصولاً لشهر أكتوبر من عام ١٩٥٩م اكتُملت تلك المشاريع العشر بأعجوبة فأصبحت قاعة الشعب الكبرى ومتحف التاريخ الصيني والثورة الصينية والمتحف العسكري للثورة الشعبية الصينية ومحطة سكة حديد ببكين والقاعة الرياضية للعمال ببكين والمعرض الزراعي الوطني ودار الضيافة والقصرالثقافي الوطني والفندق الوطني وفندق الصينيين المغتربين. فكانت حركة جماهيرية للتصميم المعماري على نطاق قومي، وبسبب قيامها بالتركيز على جوهر البناء والتصاميم القومية فإن تصاميم « المباني العشر الكبرى » وعناصر البناء والتشييد قد وصلت إلى أعلى مستوى في ذلك الوقت، وبالرغم من أننا لا نزال نرى اليوم الكثير من الأماكن التي تستحق النظر إليها والتدقيق فيها وإقتباسها والإكثار منها إلا أنه يمكننا القول بأن تلك « المباني العشر الكبرى» هى مَعلَمَ العقد الأول بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية.

في أثناء فترة «الثورة الثقافية» من عام ١٩٦٦ – ١٩٧٦، توقفت أسس الأبنية الصينية، كما أصيبت أسس وقواعد العمل لمنظمات ووحدات التصميم بالشلل والعجز. ويمكن القول من منطلق التنمية الشاملة للعمارة، فإن «الثورة الثقافية» والتي استمرت لمدة عشر سنوات تعتبر هي فترة «الإنحدار الكلي والتقدم الجزئي». وفي خلال فترة «التقدم الجزئي»، وهي تشتمل على بعض المجالات التي بها احتياجات محددة



وخاصة فيما يتعلق بالبناء والتشييد، مثل المباني الرياضية وتشييد المباني الدبلوماسية والمباني التي يتم فيها تقديم العون والمساعدات للبلدان الأجنبية وغيرها من الأبنية، ومن بينها كثرة العوامل الحديثة.

وبعد أن انتهت «الثورة الثقافية» في شهر أكتوبر من عام ١٩٧٦، فإنه في خلال العشر سنوات التي تلت تلك الفترة قد شهد المجتمع الصيني تغيرات هائلة، وفيما يتعلق بقطاع البناء والتشييد، فقد كان لا يوجد أكبر من التأثير والنفوذ السياسي إلا إنه تلاشى تدريجياً، ودخل استكشاف الأبنية الصينية إلى خلق بيئة جديدة بشكل كامل.

إن صناعة العمارة والتشييد في الصين قد انعزلت تماماً عن حركة العمارة الحديثة الدولية في الثلاثين عام الأخيرة، وبإعادة إلقاء النظر إلى العالم الغربي، فإنه قد تم البدء في استيراد الفكر الغربي في العمارة والتشييد على نطاق واسع. ويعتبر ذلك هو تقبل لانتعاش فترة القمع السياسي الثقافي الرسمي وحالة الوعي اللذان كانا سائدين في ذلك الوقت فيما يتعلق بنظريات البناء والتشييد الحديثة طويلة الأمد، وقد ظهر في صناعة البناء والتشييد الصينية الحركة الأكاديمية لاستيراد نظريات حركة البناء والتشييد الحديثة على نطاق كبير، وتشكل فكر البناء الحديث. كما انتصبت بالفعل أعمال المهندسين المعماريين المشهورين في الخارج، مثل فندق شيانغ شان بمدينة بكين (١٩٧٩ – ١٩٨٢، باي يو مينغ، أمريكا) وفندق جيان قوه بمدينة بكين (١٩٨٠– ١٩٨٢، ومكتب الشؤون العامة تشن يي يوان للمهندسين المعماريين) وفندق جين لينغ بمدينة نان جينغ (١٩٨٠– ١٩٨٣، مجموعة بالمر وتيرنر، هونج كونج) وفندق سور الصين العظيم بمدينة بكين (١٩٧٩– ١٩٨٣، مكتب الشؤون العامة الدولي باي قاي ته للمهندسين المعماريين ، أمريكا) وغيرهم.

وفيما يتعلق بإعادة التعرف على تقاليد البناء والتشييد، وبإعادة التفكير بعمق في جميع الطرق المتبعة لعشرات السنين، والتبادل الفكري والثقافي الذي حدث بين الصين والبلاد الأجنبية، كما كان هناك نطاق لا مثيل له في مهام الإبداع والابتكار في التصميمات المعمارية، فقد كان لكل ذلك الدور في دفع أشكال البناء والعمارة إلى حالة من التنوع والتعددية، وفي تلك الفترة كانت الأنماط المعمارية الصينية غنية ومتنوعة، ويمكن أن تنقسم تقريباً إلى عدة أنواع منها المباني ذات الأفكار والعادات القديمة والمباني التي تجمع بين الحداثة والكلاسيكية والمباني ذات النزعة الإقليمية الجديدة والمباني ذات الفكر الحديث المحلي المتعدد والمباني التي يتم إنشاؤها في ضوء فكر البيئة الجديدة.

إن الفكر التقليدي الحديث يطلق عليه أيضاً فكر العادات والأعراف القديمة، وهذا مظهر من المظاهر الحديثة للأشكال التقليدية. ويكون هناك جزء من هذه أشكال هذه المباني متوافقاً مع متطلبات الشروط المحددة الخاصة، وسيتم تطبيق الإبداع في الأشكال والأنماط التقليدية في المباني والأبنية الحديثة، وإن ذلك يحمل الكثير والكثير من التعديلات والاصلاحات على المظهر الخارجي للعمارة التقليدية. ومن



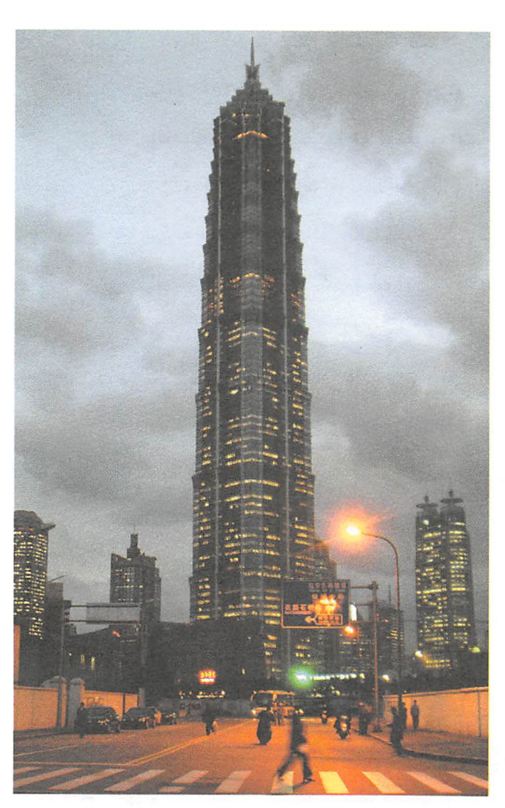
الأعمال الأخرى الأكثر تمثيلاً على ذلك دار الضيافة تشويه الذي يوجد في منطقة تشو فو بمقاطعة شان دونغ (١٩٨٥، ديان نيان تسي، فو شيو رونغ، يانغ جيان شيانغ)، حيث تم استخدام نظام هياكل الأبنية الحديثة، كما تم استخدام هيكل مقوس الشكل وسقف مربع الشكل ذو أربعة أعمدة على شكل الرمز « + » في القاعة المركزية، حيث إن الجزء الخارجي يتشكل تلقائياً من سقف على شكل الرمز « + » وكأنه قمة جبل، أما الجزء الداخلي فيتكون من شكل طبيعي كمظلة فارغة، فلا يوجد ذلك التناقض في الهياكل المعتادة؛ كما كان هناك أيضاً المشهد الرائع للباغودا (البرج الموجود بالمعبد البوذي) بمقاطعة شي آن «الهندسة المعمارية لثلاثة أبنية من عصر أسرة تانغ» (١٩٨٤– ١٩٨٨، تشانغ جين تشيو وغيره)، حيث سيتم تجميع المباني التي تكونت أشكالها في عصر أسرة تانغ مع الحدائق والمواد الخام والمباني العامة التي تم تحديثها. إن هذه الأعمال لا تعتبر مرجع يمكن الاقتباس منه وليس الأساس هو تقليدها، وهناك العديد من الأسباب التي جعلت المهندسون المعماريون يتخذون نوع خاص من الأساليب المنسقة وهذا لقربهم من الأبنية القديمة المشهورة، أو إن طبيعة الأبنية نفسها قد جعلت الناس يتذكرون الثقافة التقليدية بشكل أكثر.

إن فكر الحداثة والكلاسيكية يطلق عليه أيضاً الفكر الذي يجمع بين العصر الحديث والكلاسيكية القديمة، ووفقاً لتطبيق القواعد والقوانين المتبعة في الأنماط والأشكال المعمارية القديمة في الصين



يعد مطعم شيانغشان ببكين والذي صمم بيد المصمم المعماري الأجنبي المشهور بيومينغ من أحد أوائل الاعمال المعمارية التى صممت بايدي مصممين أجانب بعد حركة الاصلاح والإنفتاح عام ١٩٧٨ بالصين.





يبلغ إرتفاع برج جينماو الذي يقع في بو دونغ بشانغهاي ٤٢٠,٥ متر فهو الثاني من حيث الإرتفاع بعد المركز المالي العالمي بشانغهاي الذي يبلغ إرتفاعه ٤٩٢ متر, وهو يعد ثاني أعلى مبنى في الصين.

والعالم الغربي فإنه يتم تطبيق ذلك أيضاً في الأعمال المعمارية والأبنية التي شُيدت في العصر الحديث، وفي ضوء مفهوم الغرض من الإقتباس من الإبتكارات والإبداعات المعمارية القديمة الكلاسيكية، فإن ذلك يجعل الأعمال المعمارية تحظى بالتأثير الفني الذي يمتاز بشدة استقراره وتوازنه، أما بالنسبة إلى باقي النسب والتكوينات والتفاصيل والتصميمات فهي في غاية الدقة والإحكام. ومن الأمثلة التي تدل على ذلك مكتبة جامعة تشينغ هوا الحديثة(١٩٩١، قوان تشاو يه). حيث تم الربط بين المكتبة الحديثة وتلك التي بُنيت في عامي ١٩١٩ و ١٩٣١ وتم دمجهم جميعاً في هيكل واحد، فقد أُنشأت المكتبة الجديدة وهي تحمل جميع معاني التعايش والتناغم الموجودة في المباني القديمة كما إنها لا تفقد إحساسها العصري الحديث.

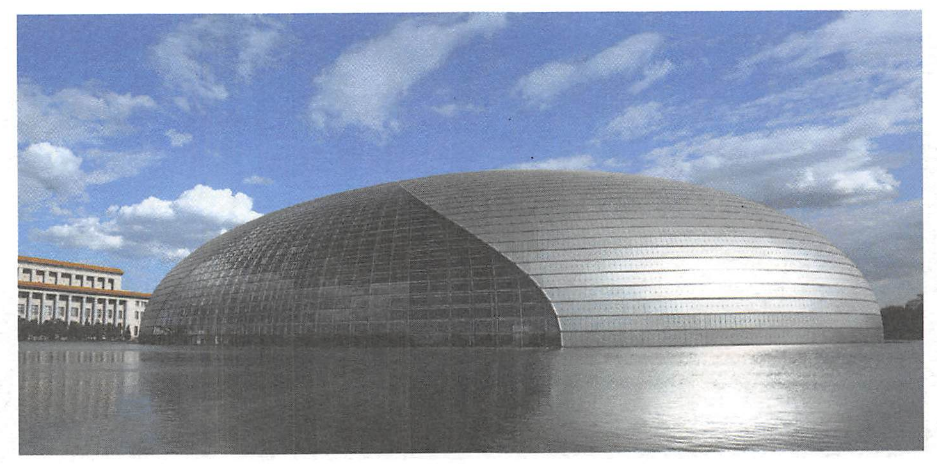
النزعة الإقليمية الجديدة، حيث يتم التركيز على التقاليد الثقافية القومية والأماكن الدالة الظاهرة، فقد كان هناك محاولة للبحث عن نقطة إلتقاء وتطابق بين التكنولوجيا المعاصرة والثقافة التقليدية، وعند تجديد المناطق الحضرية القديمة كان ذلك هو الوقت المناسب لتشجيع وتسهيل هذه النزعة من أجل حماية النسيج الحضري التقليدي وأنشطة البناء في البيئة المحاطة بمباني التراث الهامة، وهذه هي إحدى النقاط الساخنة في عالمنا الحالي في مجال صناعة البناء والتشييد. وهناك العديد من المهندسين المعمارين الصينيين الذين يقومون جميعهم ببذل أقصى الجهود الممكنة في البحث عن الأبنية التي تمتاز بالخصائص المحلية، والتي تجعل الأبنية والعمارة الحديثة أكثر تنوعاً وثراءً، والتي تمتاز بخصائص المناطق المختلفة والقوميات والعرقيات المختلفة. ومن الأعمال الأكثر تمثيلاً على ذلك دار الضيافة بالقرية الجبلية في ووبي بمقاطعة فوجيان والتي تمتاز بالنكهة القوية للمساكن الشعبية في شمال فوجيان، وهناك أيضاً دار الضيافة بالقرية الجبلية في يون قو بالجبل الأصفر الذي يمتاز بخصائص المساكن الشعبية في جنوب مقاطعة آنهوي، كما إن هناك برج جينماو في مدينة شنغهاي والذي يعكس روعة الاندماج بين التكنولوجيا العلمية الحديثة والأنماط المعمارية الصينية وغيرها.

تسعى التعددية الحديثة دائما لمواكبة العصر، فقد لعبت دوراً إيجابياً في جلب الأفكار المعمارية الغربية الشائعة في الوقت الحاضر إلى الصين، حيث اشتملت تقريبا على كل التيارات الفكرية الغربية المعاصرة مثل تيار مابعد الحداثة، تيار تكنولوجبا الإنارة، تيار الهيكلية، وتيار التكنولوجية المتقدمة وغيرها جميع أشكال وأنوا ع تيارات المعمار الأخرى التى قد وجدت فى الصين.

ويعد تيار البيئة الجديدة والذى يطلق عليه أيضاً تيار علم التكيف مع البيئة أتجاه أيديولوجى جديد لتطور الهندسة المعمارية فى السنوات الأخيرة.حيث تمكن هذا التيار من المحافظة على استمرار إستراتيجية التنمية وتوفير الموارد الطبيعة وإنشاء بنايات بيئية خضراء وبيئة ذات خصائص بيولوجية، وبذلك بدأ تيار التكيف مع البيئة وغيره من الموضوعات الأخرى تدخل حيز تفكير مهندسى المعمار.

وفى القرن الواحد والعشرين أثارت تلك النهضة العارمة التي حدثت فى المعمار كثير من التفكير والجدل حول الأنماط المعمارية وأتجاهات التنمية فى القرن الحديث، من بينها المسرح الوطنى الصينى واستاد أولمبياد بكين ٢٠٠٨ والمبنى الجديد للتليفزيون المركزى تلك المبانى الأكثر شهرة فى الصين.

ويقع المسرح الوطنى الكبير فى مدينة بكين غرب ساحة تيان آن مين، وفى الجهة الغربية للمسرح تقع قاعة الشعب الكبرى وفى الجنوب يقع طريق تشانغ آن الغربى، ويتكون من المبنى الأساسي للمسرح الوطنى وممرات موجودة تحت المياه فى الجهتيين الجنوبية والشمالية، وجراجات للسيارات تحت الأرض، وبحيرة صناعية ومساحات خضراء، تبلغ المساحة الإجمالية للمناطق المشغولة ١١٨٩٠٠ متر مربع، أما مساحة المبانى الإجمالية فتبلغ حوالى ١٦٥٠٠٠ متر مربع، من بينهم ١٠٥٠٠٠ متر مربع للمبنى الرئيسى و ٦٠٠٠٠ متر مربع هي مساحة المرافق الملحقة تحت الأرض. ويحاط المبنى الرئيسي من الخارج بهيكل



المسرح الوطني الذي يقع في وسط المدينة بكين

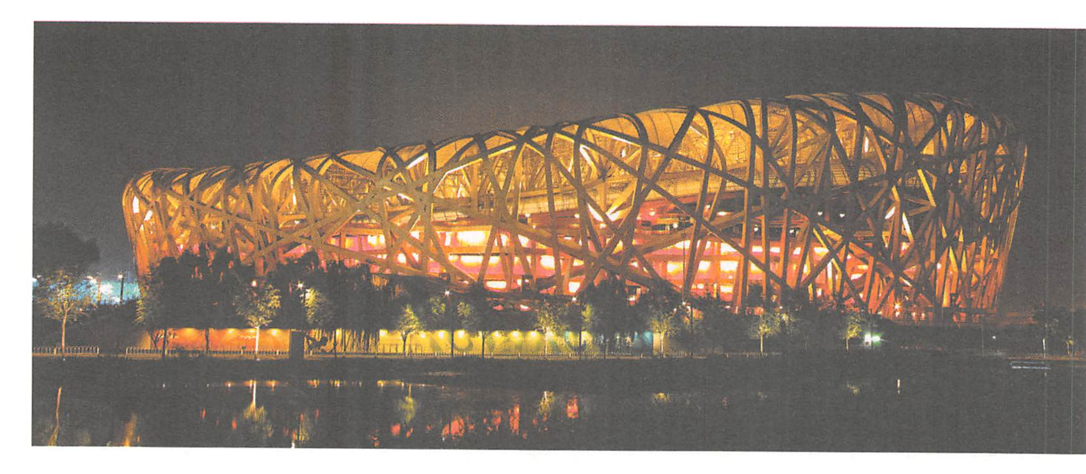


فولاذى مقوس الشكل أما في الداخل فيوجد دار الأوبرا الذي يضم ٢٠٩١ مقعد، وقاعة الموسيقى التي تحتوي على ١٨٥٩ مقعد، والمسرح الذي يضم ٩٥٧ مقعد، بالإضافة إلى القاعة العامة ومجموعة من الغرف الضرورية. ويحاط الهيكل الفولاذى بيضاوي الشكل ببحيرة صناعية، تصل مساحة هذه البحيرة إلى ٣٥٥٠٠ متر مربع، وقد ُصممت كل الممرات والطرق لتكون تحت سطح المياه.

وقد أشرف المهندس المعمارى الفرنسى بول أندرو على تصميم المسرح الوطنى، و بدأ العمل فى اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر لعام ٢٠٠١ وتم الأنتهاء من أعمال البناء فى شهر سبتمبر لعام ٢٠٠٩. ويعد التصميم الأمامى للمسرح الوطنى فكرة فريدة من نوعها حيث يبدو الشكل البيضاوي الخارجي الضخم على طريق تشانغ آن وكأنه « ضيف آتى من خارج السماء» فتناقضه مع البيئة المحيطة به يجعله يجذب الانتباه للغاية. وقد كان هناك جدل مستمر حول مشروع تصميم هذا المبنى وحول تكلفة بنائه ومحافظته على البيئة وعلاقة هذا المبنى بالبيئة المحيطة به وغيرها من النواحي الخاصة بالمبنى التى لم يتوقف الجدل عنها.

وقد قامت شركتا هيرتسوغ، دو ميرون فى سويسرا وهما من أشهر شركات التصميم المعمارى التى أنشئت ملاعب دورة الألعاب الأولمبية لعام ٢٠٠٨ بالاشتراك مع معهد الدراسات المعمارية فى الصين فى تشيد الاستاد الوطنى «عش الطائر» ، وقد اشتركت الشركة الصينية العامة لمشروعات الإنشاء، ومكتب المهندسين المعماريين الأسترالي PTW، والشركة الأسترالية المحدودة ARUP فى تصميم الصالة المركزية الوطنية لألعاب المائية والتى أُطلق عليها « المكعب المائى» .

يقع استاد «عش الطائر» فى جنوب حديقة الألعاب الأولمبية ببكين، وهو الملعب الرئيسى لإقامة الدورة



الإستاد الأولبي الرئيسي ببكين لعام ٢٠٠٨ –«عش الطائر»





المنظر الليلي لمركز السباحة الوطني- «المكعب المائي»

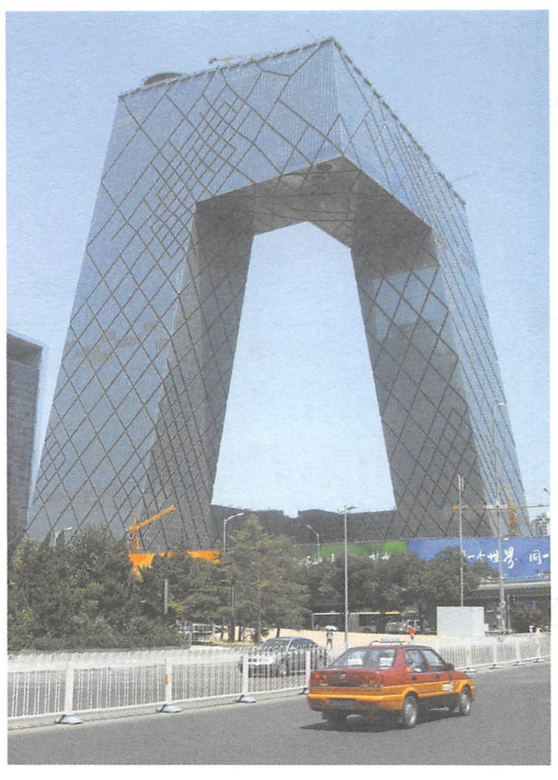
التاسعة والعشرين للألعاب الأولمبية لعام ٢٠٠٨. والمساحة الإجمالية المحتلة لمشروع ٢١٠,٠٠٠ متر مربع، أما مساحة المباني فتصل إلى ٢٥٨,٠٠٠ متر مربع. يصل عدد مقاعد المتفرجين داخل الملعب إلى ٩١,٠٠٠ مقعد، من بينهما ١١,٠٠٠ من المقاعد المؤقتة. والصفة المميزة له بأن الهياكل الفولاذية متشابكة تشبه أعشاش الطيور. وبعد انتهاء دورة الألعاب الأولمبية أصبح ملعب عش الطائر ملعب متخصص وضخم لمشاركة سكان بكين في الألعاب الرياضية والاستمتاع بالرياضة والترفية، كما أصبح منشأة رياضية ذات علامة فارقة وتراث للأولمبياد.

وقد جمع «مكعب الماء» بين التصميم المعمارى والتصميم الهيكلى فى شكل واحد، وهو عبارة عن هيكل خارجي على شكل فقاعات وفقا لترتيب الخلايا. وقام المصممين بتنفيذ الغلاف الخارجي للمبنى على شكل «صندوق مكعب»، فالأشكال الهندسية شديدة الشبه بجزيئات المياة والتي يمتلئ بها سطح المبنى وطبقة الفلورإيثيبين التي تغطي السطح تمنح المظهر الخارجي للمبنى شكل البلورات الثلجية، كما يمكنها أن تمد الملعب من الداخل بمزيد من الضوء الطبيعي، وهذا التصميم جعله يتميز بتأثيرات بصرية ومشاعر فريدة. بالإضافة إلى أن هذا المبنى قد أظهر كثير من السمات العلمية والتكنولوجية والمحافظة على البيئة: فقد كان هناك تنظيم جيد وتهوية طبيعة بالصالة، والتطوير الرشيد لنظام تدوير المياه، واستخدام



مواد البناء ذات التكنولوجيا العالية على نطاق واسع، فتجمعت كل هذه العوامل معا لتضفي على الصالة المركزية الوطنية للألعاب المائية روح العصر.

وقد كان المبنى الجديد للتليفزيون المركزى الصينى (CCTV الذى يقع في المنطقة التجارية CBD فى بكين أيضا أحد المباني الأخرى التي أثارت دراسات على نطاق واسع. وقد قام بتصميم المبنى الجديد لتليفزيون CCTV والذي تبلغ مساحته الكلية حوالي ٥٥٠.٠٠٠ متر مربع المهندس الهولندى كوخاس، حيث يصل ارتفاع المبنى الرئيسى إلى ٢٣٤ متر، وينحنى البرجان بإتجاه الداخل ستة درجات، ويتصلان معا ككيان واحد على ارتفاع ١٦٣ متر على شكل L الذى يشبه الذراع، وقد حطم هذا التصميم قواعد البناء الموجودة حالياً بشكل كامل. فقد أثار الشكل الخارجى للبناء، المؤثرات الفراغية، وفكرة تصميمه، وتكلفة بناؤه وغيرها من النواحي جدل كبير فى الصين، فمنذ وضع تصميم المبنى والبدء فى الإنشاء وحتى الأنتهاء من بنائه يحيط بمبنى التليفزيون المركزي الكثير من «الشائعات»، حتى أصبح بالتدريج موضوعا للرأى العام .



يعتقد العديد من الناس أن مبنى الدوائر التلفزيونية المغلقة الجديد قضى على فكرة المباني التقليدية.

وإذا كانت المبانى العشرة الكبرى في المرحلة الأولى مازالت تحتفظ بالبصمة التقليدية، فإن مجموعة المباني في نهاية هذا القرن قد عكست بوضوح حالة تعايش التعددية التى سادت بعد الإصلاح والانفتاح فى الصين. فكلا من المسرح الوطنى، والملاعب الأولمبية، المبنى الجديد للتليفزيون المركزى الصينى وغيرها من الأنماط المعمارية ذات الأنماط الجديدة وكل أنواع الجدل والنقاش الذي أثير حولها إنما يعكس انتعاش وازدهار العمارة الصينية المعاصرة، ويرمز إلى الأتجاه الحديث للهندسة المعمارية فى المستقبل، ويشير إلى السعى وراء خصائص التيارات الحديثة لهذا العصر.

ملحق: كشف ملحض لتاريخ الصين

العصر الحجري القديم	حوالي قبل ١,٧ مليون سنة—١٠ ألف سنة
العصر الحجري الجديد	حوالي قبل ١٠ ألف سنة—٤ آلاف سنة
شيا	٢٠٧٠ ق.م—١٦٠٠ ق.م
شانغ	١٦٠٠ ق.م—١٠٤٦ ق.م
تشو الغربية	١٠٤٦ ق.م—٧٧١ ق.م
الربيع والخريف	٧٧٠ ق.م—٤٧٦ ق.م
المالك المتحاربة	٤٧٥ ق.م—٢٢١ ق.م
تشين	٢٢١ ق.م—٢٠٦ ق.م
هان الغربية	٢٠٢ ق.م—٨ م
هان الشرقية	٢٥ م—٢٢٠ م
المالك الثلاثة	٢٢٠ م—٢٨٠ م
جين الغربية	٢٦٦ م—٣١٦ م
جين الشرقية	٣١٧ م—٤٢٠ م
تشاو الجنوبية والشمالية	٤٢٠ م—٥٨٩ م
سوي	٥٨١ م—٦١٨ م
تانغ	٦١٨ م—٩٠٧ م
العصور الخمسة	٩٠٧ م—٩٦٠ م
لياو	٩١٦ م—١١٢٥ م
سونغ الشمالية	٩٦٠ م—١١٢٧ م
شيا الغربية	١٠٣٨ م—١٢٢٧ م
جين	١١١٥ م—١٢٣٤ م
سونغ الجنوبية	١١٢٧ م—١٢٧٦ م
يوان	١٢٧١ م—١٣٦٨ م
مينغ	١٣٦٨ م—١٦٤٤ م
تشينغ	١٦٣٦ م—١٩١١ م
جمهورية الصين	١٩١٢ م—١٩٤٩ م
جمهورية الصين الشعبية	المقامة في عام ١٩٤٩ م